غير مخصص للبيع

منبر الإسلام

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

السنة (٦٤) العدد (١) المحرم ١٤٢٦ هـ - فبراير ٢٠٠٥م -

الهجرة المطلوبة فى أيامنا

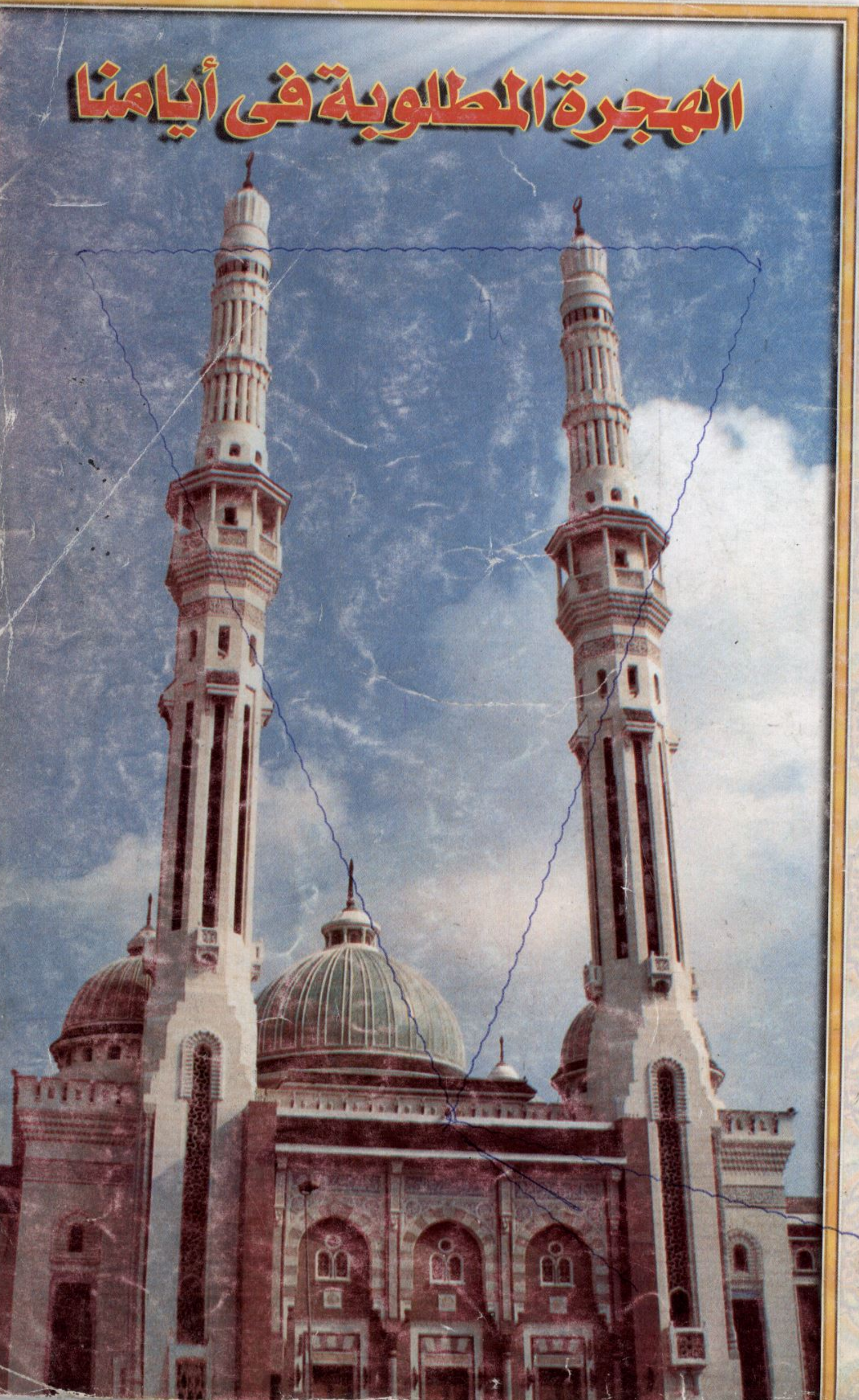

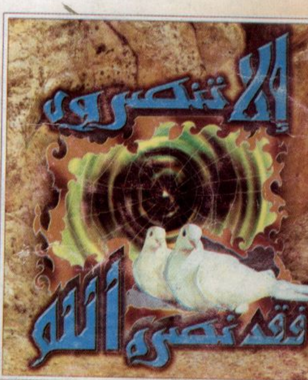

تشار ترجمات معانى القرآن
مشرق العالم ومغربه

ستقبل العلاقة بين
عالم الإسلامى والغرب
وفاق أم صدام ؟

رقابة المالية فى
دولة الإسلامية

حلول إسلامية لمشكلة
لمغالاة فى المهور

صادر التوثيق اللغوى

هذا هو الإسلام
عدل والتسامح الإسلامى

من محتويات العدد

□ تفسير سورة النبأ
أ.د. محمد سيد طنطاوى
□ الهجرة العيد الإسلامى الأكبر
أ.د. محمد عبدالمنعم خفاجى
□ من وحى الهجرة
فضيلة الشيخ محمد عبدالمجيد زيدان
□ محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة
أ.د. عبدالعظيم المطعنى
□ صور تاريخية فى مجلس أسامة بن منقذ
أ.د. محمد رجب البيومى
□ الأمراض المعدية .. أسبابها والوقاية منها
أ.د. عبدالمعبود عمارة
□ لا تعصب فى الإسلام
إبراهيم حسن زعبل
□ مصادر التوثيق اللغوى
أ.د. محمد بلاسى
□ مفهوم التنمية فى الإسلام
فضيلة الشيخ شوقى عبداللطيف

غلاف الشهر

● ﴿ إِلاَّ تنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

التوبة: آية ٤٠

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ - ٧٩٤١٦٢٧ - ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة

منبر الإسلام
تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور : صوفى أبو طالب

الدكتور : أحمد كمال أبو المجد

الدكتور : أحمد هيكل

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

من الأمجاد التى يحفظها تاريخ أمتنا الإسلامية ويتردد ذكراها كلما حل ميقاتها الهجرة المباركة.

ذلك الحدث الذى غيّر مسيرة التاريخ الإنسانى وجعل للدعوة المضطهدة دولة قائمة امتد عطاؤها بالهداية والبر إلى مشارق الأرض ومغاربها فسار المسلمون فى عصر نبيهم الكريم ﷺ، وفى عصر الخلفاء الراشدين من بعده على طريق الدعوة والعمل الإسلامى بروح الهجرة، فكانوا كما أراد لهم الله خير أمة أخرجت للناس، وروح الهجرة تعنى ما ارتبط بأحداثها من قيم ومبادئ منها، ضرورة التضحية فى سبيل القيم وأن الإيمان الصادق بذل وعطاء، ومنها أهمية الأخذ بالأسباب ومنها الثقة فى الله تبارك وتعالى، واليقين بوعده ومنها صدق الصحبة والوفاء بالتزاماتها، ومنها السلوك الدينى بما يتسم به من استقامة ورشد منهج الإسلام الذى يشمل أمور الدين والدنيا معا. وكانت هذه القيم كلها مددا زاخرا يتعلم منها المسلمون الكثير والكثير.

ومن أجمل ما علمه القرآن الكريم لأصحاب النبى ﷺ هذا الدرس من دروس الهجرة وخلاصته التأييد الحتمى من رب العالمين لنبيه الكريم ﷺ فماذا يجب علينا ونحن فى رحاب ذكرى الهجرة؟ علينا أن نعلن تمسكنا بشرع الله ونقيم الدين الحق ليمنحنا الله النصر الذى وعد به المؤمنين.

هذا ما يطالعه معنا القارئ فى هذا العدد إلى جانب الأبواب الثابتة فى القرآن الكريم وعلومه والحضارة والدعوة والأسرة فى التشريع الإسلامى والموضوعات التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريها.

الهجرة المطلوبة فى أيامنا..

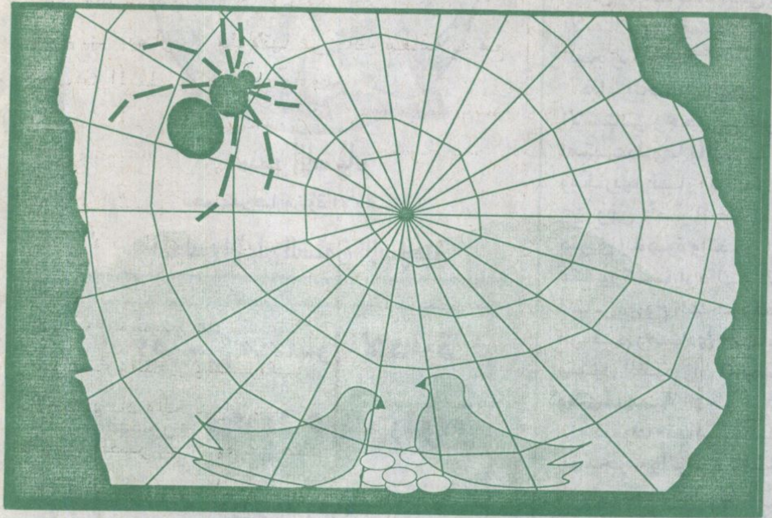

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾

التوبة: آية ٤٠

حديث الشهر

أ. د. عبد الصبور مرزوق

مع اقتراب مطلع العام الهجرى من كل عام يُشرع الكُتاب أقلامهم فى كل جريدة أو مجلة - وأنا أحدهم - ليرصدوا بالتقدير والإعزاز أحداث الهجرة النبوية وما أحاط بها من أمور كان بعضها دافعا للهجرة كذلك العذاب الذى لقيه المسلمون فى مكة قبل الإذن بالهجرة.

ثم ما نزل من الإذن لرسول الله ﷺ ولصحابته بالخروج وما عانوه من مشقة وعذاب قبل أن يتمكنوا من مغادرة مكة.

ثم الإذن لرسول الله ﷺ بالخروج من مكة التى خاطبها عند هجرته حزينا متألما يقول: **«والله إنك لأحب أرض الله إلىّ ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت».**

ثم الوقوف بالتحليل أمام تجربة المؤاخاة التى قام بها الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار وكانت وستبقى من أعظم التجارب الإنسانية فى تأكيد المسئولية لدى الأغنياء عن الفقراء، والمسئولية كذلك عن إعلاء الرؤية الإسلامية للمال والثروة وعلاقة الإنسان وحدود انتفاعه بهما مع مسئوليته عن الفقراء الذين يعيشون حالة الفقر أو المسكنة.

***

لكن هذا كله - على ما فيه من دقة - وبيان لما كان فى أحداث الهجرة النبوية من العطاء العظيم.. لكنه لم يكن كل شىء من حيث تعريف أمة الإسلام بما عليهم من واجب فى دراسة هذا الحدث والإفادة بما جاء فيه.. وهنا أقول:

إن المعنى الواجب العناية به فى أيامنا هو تأصيل معنى هذا الحدث العظيم وتوسيع مدى الانتفاع به بحيث يدرك المسلمون

حين نتحدث بألسنتنا ليت كلمتنا تصدر من القلوب

أن المعانى الكبار التى أصلها وأبقاها حدث الهجرة النبوية يجب أن تكون دستورا يلتزم المسلمون العمل به اليوم قبل الغد.

وعلى هذا فإن تجربة المؤاخاة (مثلا) يجب أن تكون حاضرة دائما فى وجدان وعقل كل مسلم يلتزم بها ويمارس مدلولاتها فى كافة معاملاته مع إخوانه المسلمين باعتبارهم إخوة. بالمعنى الكبير لفكرة الأخوة التى أشار إليها الحديث النبوى الشريف: «**المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه**» أى لا يترك أخاه المسلم الفرد أو إخوانه المسلمين على مستوى الأنظمة والدول يتعرضون للاضطهاد والعدوان دون أن يقوموا بنصرتهم لأنهم فى هذه الحالة يكونون مخالفين لسنة الرسول ويكونون مقصرين فى واجب نصرة المظلوم التى تحدث عنها الرسول ﷺ.

***

هذه واحدة..

والثانية: (من الهجرة المطلوبة اليوم) والتى يجب أن تكون مرعية فى أيامنا هذه: هى الهجرة التى تحدث عنها الرسول ﷺ حين قال بعد عودته والمسلمون معه من إحدى الغزوات قوله: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: جهاد النفس**».

***

وجهاد النفس أو الجهاد الأكبر الذى نفتقده - نحن المسلمين - اليوم فى ظل ما ران على القلوب من ضعف الإيمان وما ران على العقول من ضعف البصائر بحيث أصبحنا نتلو كتاب الله دون أن نستشعر معانيه وما فيه من بواعث الإيمان فى القلوب، وما فيه كذلك من تربية للرجال ﴿**الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون**﴾ الأنفال: آية ٢.

هذه القيم المنسية والمضيعة والتى نحن اليوم فى أشد الحاجة إليها ليستعيد أبناء الإسلام ما كان عليه المسلمون فى صدر هذه الدعوة الذين كان الرجل منهم كأنه أمة، والذين جعل الإسلام الفرد منهم بمثابة السفير الذى يتحدث باسم المسلمين على نحو ما قال الرسول ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم - بمعنى أن يتكلم باسمهم وكأنه مفوض منهم - وهم يد على من سواهم**».

والثالثة: مما يجب أن يدركه المسلمون من المعانى المطلوبة على أيامنا لمعانى الهجرة أن يستذكروا الظروف التى عانى فيها المسلمون ما عانوه قبل الهجرة ثم ما حدث لهم أثناء الهجرة من مصاعب احتملوها صابرين راضين وصبرت بعض النساء - مثلا - على ما حدث لطفلها وأهل أبيه كأنهم يصادرونه فلا يخرج معها - لأنها إذا كانت - كما قالوا لها - قد غلبتهم على نفسها فلن تغلبهم على ولدها الذى أبوته فيهم وظلوا يشدون الطفل من ذراعه حتى أوشكت ذراعه أن تكسر.

أقول: وبالطبع لا أدعو مسلمى اليوم أن يسلكوا مسلك أهل الجاهلية إذا عرض لهم موقف مماثل لما ذكرت لكنى أدعوهم فقط إلى الاعتزاز بالدفاع عن الإسلام بكل ما يملكون، وفرص الدفاع فى زماننا كثيرة وموفورة:

فالذى يجرى فى العراق، والذى جرى ويجرى فى فلسطين وغيرهما مما يستوجب أن نسترعى إلى قلوبنا وعقولنا المعانى الكبار للهجرة لندافع

عن الحق المضيع ونُرى المعتدين أن أمة الإسلام التى ينتمى العراقى والفلسطينى إليها لاتزال حية ولاتزال قادرة على الانتصار لحق أبنائها فى أى موقع كانوا فيه من هذا الكون.

***

والرابعة: مما يجب أن يدركه ويعمل به المسلمون فى عالم اليوم أن يحاولوا العمل بعمل أهل المدينة لما علموا بمقدم الرسول ﷺ والمسلمين معه مهاجرين إلى يثرب فخرجوا يستقبلونه كرماء مرحبين:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع

وأنا لا أطالب المسلمين فى عالم اليوم أن يغنوا كما غنت بنات الأنصار عند استقبال الرسول والمهاجرين وإنما أطالبهم بأن يكونوا على مثل موقف الأنصار فى رفض ما كان عليه أهل الشرك فى مكة الذين عبدوا الأصنام وقدموا لها القرابين والذبائح.

فقط أطالب مسلمى اليوم أن يأخذوا من استقبال الرسول ﷺ بالغناء فى المدينة أن يدركوا الموقف العقلى والإيمانى الذى لم يسألوا فيه الرسول ﷺ وصحبه لماذا جئتم؟ ولم يطلبوا إليه أن يشرح لهم عقيدته.

وإنما أعملوا عقولهم وارتاحت قلوبهم إلى ما قاله فريق المبعوثين من مكة من (الدعاة) الذين سبقوا الرسول ﷺ وصحبه إلى المدينة فبشروا برسالته، ثم كانت الوفود التى انتقلت من المدينة وتحدث إليهم الرسول ﷺ فيما عرف تاريخيا باسم عام الوفود.

والذين عاهدوا الرسول ﷺ على أن يكونوا حماته والمدافعين عنه عند وصوله إليهم فى يثرب.

ونحن بهذا نكون أمام موقف عقلانى وعملى تحدثت فيه الألسنة بما استقر فى القلوب والعقول من الإيمان.

وحينما بلغوا من اليقين هذه المنزلة تقدموا ليعلنوا لكل الآخرين من قريش وغيرها من كفار مكة أنهم حماة هذه العقيدة والمفتدون بأرواحهم لدين محمد ﷺ، وسنحميه بدمائنا إذا دعت الحاجة.

إما أن نستشعر الخطر على الإسلام وإما أن نستعد لغد أسود لا يبقى فيه إسلام ولا يكون فيه مسلمون

***

والخامسة والأخيرة: هى حاجتنا نحن المسلمين فى عالم اليوم وفى ظل الهجمة الشرسة على الإسلام ـ كتابه ورسوله ـ أن نستدبر خلافاتنا ونزاعاتنا وهمومنا التى يكون همّ رعاية الإسلام أولى بالعناية به والعمل لحماية الإسلام دينا ورسالة وأمة من كل ما يدبر اليوم فى علم المادة ودنيا غطرسة القوة وتسخير منجزات العلم للهلاك والتدمير..

أقول:

إن حاجتنا نحن المسلمين فى عالم اليوم أن نختار بين موقفين لا ثالث لهما:

- إما أن نستشعر من الخطر على الإسلام ما يستوجب فداءه بدمائنا وأرواحنا وأن نستشعر أنه إذا فقدنا ـ فى الدفاع عنه ـ مليونا أو ملايين فهذا بعض ما هو واجب علينا.
- وإما أن نستعد لغد أسود لا يبقى فيه إسلام ولا يكون فيه مسلمون.

والله أسأل ألا أكون ولا نكون جميعا من شهود هذا اليوم.

القرآن الكريم وعلومه

- تفســـيـر ســورة «النبــأ»
- انتشار ترجمات معانى القرآن الكريم فى مشرق العالم ومغربه

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «النبأ»

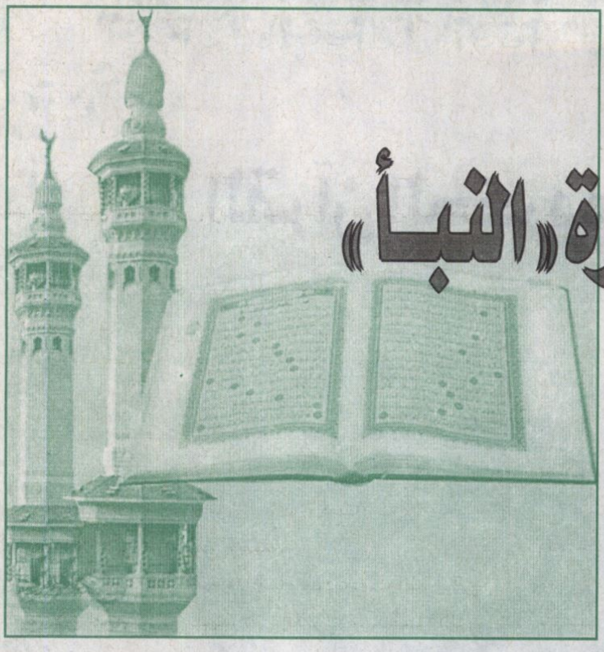

لفضيلة الإمام الأكبر

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر

قال الله - تعالى - : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩)﴾

الآيات: ١ - ٩

١ - سورة «النبأ» هى أول سورة فى الجزء الأخير من القرآن الكريم. وتسمى - أيضا - بسورة «عم يتساءلون» وبسورة «عمّ» وبسورة «المعصرات» وبسورة «التساؤل».

فهذه خمسة أسماء لهذه السورة، سميت بها لورود هذه الألفاظ فيها.

وهى من السور المكية الخالصة، وعدد آياتها أربعون آية، وكان نزولها بعد سورة «المعارج» وقبل سورة «النازعات».

٢ - وهذه السورة من أهم مقاصدها:

توبيخ المشركين على خوضهم فى القرآن الكريم دون علم بمايتفوهون به فيما بينهم، وتهديدهم بسوء مصيرهم إذا ماستمروا فى طغيانهم يعمهون، وفى باطلهم يخوضون، وإقامة الأدلة المتعددة، والبراهين المتنوعة، على وحدانية الله - تعالى - وعلى مظاهر قدرته، وبيان ما أعده الله - تعالى - للمشركين من عقاب وعذاب، وما أعده للمؤمنين من جزاء وثواب، وإنذار للناس جميعا من وجوب تقديم العمل الصالح من قبل أن يأتى يوم القيامة، الذى لا ينفع فيه الندم على ما فات.

٣ - ويبلغ عدد سور هذا الجزء الأخير من القرآن الكريم سبعا وثلاثين سورة، كلها من السور المكية، أى: من السور التى كان نزولها على النبى ﷺ قبل الهجرة، سوى سورة «الزلزلة» وسورة «البينة»، وسورة «النصر» فهن من السور المدنية، أى: أن نزولهن كان بعد الهجرة إلى المدينة المنورة.

وسور هذا الجزء الأخير من القرآن الكريم، تمتاز بقصرها على تفاوت فى هذا القصر.

ومعظمها مشتمل على إقامة الأدلة على وحدانية الله - تعالى - وعلى مظاهر قدرته، وعلى أن هذا القرآن من عند الله - تعالى -، وعلى أن الرسول ﷺ صادق فيما يبلغه عن ربه، وعلى أن يوم القيامة حق، وعلى التذكير بأهواله، وأنه آت لا ريب، وعلى التحذير من الغفلة عن حسن الاستعداد له بالإيمان والعمل الصالح.

كما أن هذه السورة الكريمة تهتم بالمقارنة بين حسن عاقبة الأخيار وسوء عاقبة الأشرار، وبتفصيل الحديث عن النعم والمنن التى منحها الله - تعالى - لعباده بأسلوب بديع حكيم معجز.

ولفظ «عمّ» مركب من كلمتين، هما حرف الجر عن» و«ما» التى هى اسم استفهام.

فأصل هذا اللفظ: «عن ما» فأدغمت النون فى الميم، لأن الميم تشاركها فى الغنة، وحذفت الألف ليتميز الخبر عن الاستفهام، والجار والمجرور متعلق بفعل «يتساءلون».

والتساؤل: تفاعل من السؤال، بمعنى أن يسأل بعض الناس بعضا عن أمر معين، على سبيل معرفة وجه الحق فيه، أو على سبيل التهكم إذا كان الحال يقتضى ذلك.

والنبأ: الخبر مطلقا. ويرى بعضهم أن لفظ النبأ لا يطلق إلا على الخبر ذى الفائدة العظيمة، والشأن المهم.

والمعنى: عن أى شىء يتساءل هؤلاء المشركون؟ وعن أى أمر يسأل بعضهم بعضا؟ إنهم يتساءلون عن النبأ العظيم، وعن الخبر الجليل الذى جاءهم به محمد رسول الله ﷺ، والذى نطق به القرآن الكريم، من أن البعث حق، ومن أن هذا القرآن من عند الله - تعالى - ومن أن الرسول ﷺ صادق فيما يأمرهم به، وفيما ينهاهم عنه.

٤ - والضمير فى قوله: **«يتساءلون»** يعود على المشركين الذين كانوا يكثرون من التساؤل فيما بينهم عن الرسول ﷺ وعما جاء به من عند ربه.

فقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن قال: لما بُعث النبى ﷺ أخذ المشركون يتساءلون فيما بينهم عن أمره، وعما جاءهم به، فنزل قوله - سبحانه -: **عم يتساءلون؟ عن النبأ العظيم.**

وافتتح - سبحانه - الكلام بأسلوب الاستفهام، لتشويق السامع إلى المستفهم عنه، ولتهويل أمره، ولتعظيم شأنه.

وصح عود الضمير على المشركين مع أنهم لم يسبق لهم ذكر، لأنهم معروفون من سياق الكلام، إذ هم - دون غيرهم - الذين كانوا يتساءلون فيما بينهم - على سبيل التهكم - عما جاء به النبى ﷺ.

وقوله - عز وجل -: **﴿عن النبأ العظيم﴾** تهويل لشأن هذا الأمر الذى يتساءلون فيما بينهم عنه.

ووصف - سبحانه - النبأ العظيم، زيادة فى هذا التهويل والتفخيم من شأنه، لكى تتوجه إليه أذهانهم وتلتفت إليه أفهامهم.

فكأنه - سبحانه - يقول: عن أى شىء يسأل هؤلاء الجاحدون بعضهم بعضا؟

أتريدون أن تعرفوا ذلك على سبيل الحقيقة؟ إنهم يتساءلون عن النبأ العظيم، وعن الخبر الجسيم، **﴿الذى هم فيه مختلفون﴾**، ما بين منكر له إنكارا تاما، كما قص علينا القرآن الكريم ذلك فى آيات متعددة منها قوله - تعالى -: **﴿وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾** الجاثية: آية ٢٤.

ومنها قوله - سبحانه - حكاية عنهم: **﴿إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾** المؤمنون: آية ٣٧.

وما بين متردد فى شأن البعث، كما فى قوله تعالى: **﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾** الجاثية: آية ٣٢.

ورحم الله - تعالى - الإمام الزمخشرى - صاحب الكشاف - فقد قال ما ملخصه قوله: «عمّ» أصله عمّا، على أنه حرف جر، دخل على «ما» الاستفهامية.

ومعنى هذا الاستفهام: تفخيم الشأن، كأنه قال: عن أى شىء يتساءلون، ونحوه مافى قولك: زيد ما زيد؟ جعلته لانقطاع قرينه، وعدم نظيره، كأنه شىء خفى عليك جنسه، فأنت تسأل عن جنسه، وتفحص عن جوهره، كما تقول: ما الغول وما العنقاء؟

ويتساءلون: يسأل بعضهم بعضا.. والضمير لمشركى قريش، فقد كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث.

وقوله: **﴿عن النبأ العظيم﴾** بيان للشأن المفخم.

فإن قلت: قد زعمت أن الضمير فى «يتساءلون» للكفار، فما تصنع بقوله: **﴿الذى هم فيه مختلفون﴾**؟

قلتُ: كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث، وكان منهم من يشك فى أمره.

وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين جميعا، وكانوا جميعا يسألون عنه.

أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا، وأما الكافر فليزداد استهزاء وإنكارا.. (تفسير الكشاف: جـ٤ ص٦٨٣).

٥ ـ ثم هدد ـ سبحانه ـ هؤلاء المنكرين لما جاء به النبى ﷺ تهديدا شديدا، وتوعدهم بسوء المصير فى الدنيا والآخرة فقال ـ تعالى ـ: **﴿كلا سيعلمون* ثم كلا سيعلمون﴾**.

ولفظ «كلا» حرف زجر وردع، والمقصود بها هنا: ردع أولئك المتسائلين عن النبأ العظيم، وإنذارهم بالعذاب المهين بسبب عنادهم وجهلهم.

أى: كلا ليس الأمر كما يتوهمه أولئك المتسائلون، من استهزائهم بما جاءهم به الرسول ﷺ من عند ربه، ومن إنكارهم لكون القرآن الكريم من عند الله ـ تعالى ـ أو لكون يوم القيامة حق. بل الحق كل الحق أن الرسول ﷺ صادق كل الصدق فيما يبلغه عن ربه، وأن هؤلاء المتسائلين سيرون قريبا سوء عاقبة استهزائهم وجحودهم.

والجملة الثانية وهى قوله ـ تعالى ـ: **﴿ثم كلا سيعلمون﴾** جىء بها لزيادة التهديد والوعيد، ولبيان أن الوعيد الثانى أشد وأعظم من الوعيد الأول، وهو قوله ـ سبحانه ـ: **﴿كلا سيعلمون﴾**.

وحذف مفعول «سيعلمون» للتعميم والتهويل، أى: سيعلمون علم اليقين ما سينزل بهم من عذاب مقيم، وسيرون ذلك رأى العين عما قريب، كما قال ـ عز وجل ـ: **﴿إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا﴾**.

٦ ـ ثم ساق ـ سبحانه ـ بعد ذلك تسعة أدلة، كلها تدل على وحدانية الله ـ تعالى ـ وقدرته، وعلى صدق الرسول ﷺ فيما يبلغه عن ربه، وعلى أن هذا القرآن من عند الله، وعلى أن يوم القيامة وما فيه من بعث وثواب وعقاب وحساب حق.

وذلك لأن القادر على إيجاد هذه الأشياء التى ذكرتها السورة الكريمة فى الآيات التالية، قادر ـ أيضا ـ على إعادتهم إلى الحياة بعد موتهم، وعلى إعادة غيرهم..

أما الدليل الأول فنراه فى قوله ـ سبحانه ـ: **﴿ألم نجعل الأرض مهادا﴾**؟

والاستفهام هنا للتقرير والتأكيد: أى: والله لقد جعلنا بقدرتنا التى لا يعجزها شىء، هذه الأرض التى تعيشون فوقها، كالفراش الممهد الموطأ، لتتمكنوا من الاستقرار عليها، ومن التقلب فيها، كما يتقلب الطفل الصغير فى فراشه الممهد.

فالمهاد بمعنى الفراش اللين المريح المعد للطفل الصغير لكى ينام عليه وهو هادئ.

ووصفت الأرض به على سبيل المبالغة فى جعلها مكان استقرار الناس وانتفاعهم وراحتهم.

والكلام على سبيل التشبيه البليغ، أو على حذف مضاف. وجعل هنا بمعنى صيّر.

أى: والله لقد صيرنا الأرض بقدرتنا كفراش الصبى بالنسبة لكم ـ أيها الناس ـ، حيث تتقلبون عليها كما يتقلب الصبى فى فراشه.

فالمشركون ـ كما يقول الإمام الزمخشرى ـ لما أنكروا البعث قيل لهم: ألم يخلق من يضاف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال قدرته، فما وجه إنكار قدرته على البعث؟

٧ ـ والدليل الثانى نراه فى قوله ـ سبحانه ـ: **﴿والجبال أوتادا﴾**.

والأوتاد: جمع وتد، وهو ما يشد به الشىء حتى لا يتحرك ولا يضطرب، بل يظل مكينا ثابتا.

أى: لقد صيرنا بقدرتنا الأرض كالمهاد لتتمكنوا من الاستقرار عليها، وجعلنا الجبال كالأوتاد للأرض، لئلا تميد أو تضطرب بكم.

وقد كرر القرآن الكريم منافع هذه الجبال بالنسبة للأرض فى آيات كثيرة..

منها قوله ـ سبحانه ـ: **﴿وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون* وعلامات وبالنجم هم يهتدون* أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾** النحل: الآيات ١٥ ـ ١٧.

وقوله ـ عز وجل ـ: **﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها* رفع سمكها فسواها* وأغطش ليلها وأخرج ضحاها* والأرض بعد ذلك دحاها* أخرج منها ماءها ومرعاها* والجبال أرساها* متاعا لكم ولأنعامكم﴾** النازعات: الآيات ٢٧ ـ ٣٢، وهكذا يلون القرآن الكريم الأدلة على وحدانية الله ـ تعالى ـ وقدرته، وعلى أن الساعة آتية لا ريب فيها، ليجازى كل إنسان على عمله.

انتشار ترجمات معانى القرآن الكريم فى مشرق العالم ومغربه

السيد أحمد أبو الفضل عوض الله

لقد كان ظهور الإسلام حدثا عالميا أوجد حركة إنسانية كبرى، ترتبت عليها نتائج ضخمة لم تقف عند الحدود الجغرافية للبلاد التى شهدت بوادره الأولى، بل لقد تجاوزت هذه الحدود إلى ما وراءها. واستمرت تفاعلاتها الفكرية تنتقل من بلد إلى آخر، ومن زمن إلى زمن، حتى فرضت نفسها على تطور الحضارة العالمية، وأصبحت إحدى الظواهر الأساسية لتطلع الإنسان إلى حياة أفضل، ومن ثم أصبحت ترجمة معانى القرآن، هذا الكتاب الخالد الذى لا يشبع منه العلماء ولا يبلى من كثرة الترداد، هكذا أصبحت ترجمة معانى القرآن الكريم هدفا لمحاولات جادة قام بها العلماء فى مشرق العالم ومغربه، ولاتزال هذه المحاولات قائمة حتى الآن، وكلها تسعى إلى ترجمة النص العربى لمعانى القرآن الكريم ونقله إلى لغات العالم الحية بقدر الإمكان.

ولسنا هنا بصدد تحليل هذه الترجمات ومناقشتها فى قربها أو بعدها عن الغرض الذى تسامت إليه، وإنما نريد أن نعطى القارئ عرضا تاريخيا لهذا الموضوع الخطير، ونضع بين يدى المهتمين بالدراسات القرآنية تعريفا بهؤلاء الأشخاص الذين ندبوا أنفسهم للتصدى لهذا العمل الجليل لكنهم لم يفوا بالغرض المنشود، وفى ذلك يقول المستشرق الألمانى «فيشر»: «لا يداخل الذين تعمقوا فى أسرار العربية شك فى أنه لا يوجد بين تراجم القرآن، سواء أكانت كاملة أم قاصرة على بعض آيات منه ترجمة تفى بالمطالب اللغوية الدقيقة».

القرآن الكريم فى أوروبا:

إن التواتر الدائم الذى كانت تتميز به العلاقات بين الإسلام والنصرانية لاسيما فى أثناء الحروب الصليبية وبعدها، كان يقف حجر عثرة يحول دون اطلاع الأوروبيين على القرآن الكريم، سواء بلغته العربية الأصيلة أو مترجما إلى إحدى اللغات الأوروبية السائدة.

وعندما أقدم العالم الإيطالى «باكانين» على طبع القرآن الكريم فى مدينة البندقية سنة ١٥٣٠ميلادية، بادر البابا بولس الثالث (١٥٣٤ - ١٥٣٧م) إلى إصدار الأمر المشدد بإتلاف جميع النسخ المطبوعة فى الحال. غير أن البابا الكسندر السابع (١٥٥٥ - ١٥٦٧م) عاد فألغى أمر البابا السابق وسمح بطبع القرآن الكريم لمن شاء كما سمح بترجمته والقيام بدراسته(١).

أول ترجمة للقرآن الكريم فى أوروبا(٢):

إن أول ترجمة للقرآن الكريم فى أوروبا كانت بإشارة من بطرس المحترم Abbot of glugny PETRUS VENERABILIS رئيس دير كلونى المتوفى سنة ١١٥٧ميلادية فبعد قيامه برحلة إلى إسبانيا بين سنتى ١١٤١ - ١١٤٣م وبمساعدة ريمون الطيطلى كما هو مظنون، ألف لجنة رأسها روبرت الراتينى (انجليزى) Robert of Riatina الذى كان يشغل منصب رئيس الشمامسة بمدينة بمبلونا يساعده راهب ألمانى يدعى هرمان HERMANN ورجل آخر اسمه بطرس الطليطلى ويرجح أن هذا الأخير هو المترجم الحقيقى لمعانى القرآن الكريم إذ كان يتقن العربية إتقانا تاما.

وتمت هذه الترجمة حوالى سنة ١١٤٣م، وأرسلت بعد إنجازها إلى رئيس ديركلونى العام برندوس الذى وضعها تحت تصرف رجال الكنيسة ليستفيدوا منها فى استكمال دراساتهم اللاهوتية أو القيام بأعمال التبشير وكان ظهور هذه الترجمة بعد الحملة الصليبية بأربع سنوات.

وقد ذكر هذه الترجمة المفهرس الألمانى شتور فى الصفحة (٤٢١ : ٤٢٧) من الفهرس الذى وضعه بعنوان «المكتبة العربية»، وكذلك أشار إليها مفهرس ألمانى آخر هو «بيفان مولر» فى الصفحة (٢١٣) والجدير بالذكر أن هذه الترجمة بالذات هى التى طبعها تيودور بيبلياندر: (Theodor Bibllander) فى بازل سنة ١٥٤٣م(٣) ونقلت بعد ذلك إلى الإيطالية والألمانية والهولندية.

وقد ظهرت فيما بعد طبعات أخرى لترجمة بيبلياندر وذلك سنة ١٥٥٠م وسنة ١٧٢١م فى مدينة ليبزج LEBZIG، كما طبع فى هذه المدينة أيضا ترجمة لاتينية لمعانى القرآن الكريم مع أصله العربى سنة ١٧٦٨م قام بها جوستاس فريدريكوس فورياب (Justas Fredircus Foriep) وثمة اعتقاد بأن الكتاب الذى نشره العالم الإيطالى «أندريا أريفايانيه» سنة ١٥٤٧م بعنوان: «قرآن محمد» «L'alcono de Macometto» لم يكن فى الواقع سوى الترجمة الإيطالية من الأصل اللاتينى الذى وضعه كما ذكرنا من قبل روبرت الراتينى، وهذه الترجمة بالذات هى التى نقلت فيما بعد إلى الألمانية وطبعت سنة ١٦١٦م، وإلى الهولندية سنة ١٦٤٧م وطبعت فى هامبورج.

ولقد ترجمت معانى القرآن الكريم مرة أخرى إلى اللاتينية على يد الأب لويس مراكشى (LOWIS MARRACCI) وذلك فى سنة ١٦٩٨م، وقد تضمنت هذه الترجمة الأصل العربى والترجمة اللاتينية والألفاظ المصححة.

ومن الطريف أن رجال الدين النصارى فى أوروبا حاربوا القرآن الكريم، عن طريق إطلاق الشائعات بأن من يطبعه أو يحاول طبعه فإنه يلاقى الموت الزؤام قبل أن يحل أجله الطبيعى.

القرآن الكريم فى ألمانيا:

على الرغم من حرب الأعصاب التى شنتها الكنيسة على أتباعها، لكى تصرفهم عن الاهتمام بطبع القرآن الكريم، فإنه ما إن حل القرن السابع عشر للميلاد، حتى ظهر هذا الكتاب المقدس فى ألمانيا نفسها على يد المستشرق «هيابل» الذى نقله إلى الألمانية عن الترجمة الإيطالية للنسخة الأصلية التى وضعت فى الأساس باللغة اللاتينية(٤).

محاولات ألمانية لتعميم القرآن الكريم فى ألمانيا:

ولقد جرت، فى ذلك الزمن عدة محاولات جادة لتعميم طبع القرآن الكريم فى ألمانيا، يقول المؤرخ

الألمانى المعروف «ولهلم ايرنست تينتزل من مدينة جونا» فى أحد أعداد مجلته الشهرية «مكالمات شهرية يا أصدقاء» الصادرة سنة ١٦٦٢م: «علمنا من البروفيسور يوهان أندرياس دانتز، أستاذ اللغات الشرقية أنه مزمع على طبع القرآن باللغة العربية.. وقد ذكر «فون أوست» بفايفر من لوبيك بألمانيا عن طبعات القرآن وذلك فى مقدمة كتابه «علوم الدين فى اليهودية والإسلام» الذى ظهر سنة ١٦٨٧م، فى هذا الوقت الذى يسعى فيه كثيرون من الذين يدرسون اللغات الشرقية وعلومها للحصول على نسخ مطبوعة للقرآن، تقرر طباعة مجموعة جديدة للقرآن.. ولكن هذا الحلم لم يتحقق آنذاك لصعوبات وقفت فى وجه كل من الرجلين أ. هـ»(٥).

أول طبعة للقرآن الكريم فى ألمانيا:

كانت أول طبعة لترجمة معانى القرآن الكريم فى ألمانيا باللاتينية، ثم تلتها ترجمات أخرى إحداها لسكويجر (SCHWEIGGER) وكانت عن الإيطالية طبعت فى نورنبرج سنة ١٦١٦م(٦)، وفى سنة ١٦٩٣م، سنحت الفرصة للناشر هينكلمان فى ألمانيا فتم له طبع القرآن الكريم سنة ١٦٩٤م، وتقع هذه الطبعة فى ٥٦٠ صفحة بحجم ١٧,٥×٢١,٥سم، ولقد لقى هينكلمان الاحترام من الجميع، وفى مقدمة هذه الطبعة التى بلغ عدد صفحاتها ٨٠ صفحة ضمّن هينكلمان آراءه الشخصية فى الآداب والعلوم الشرقية والعربية، وفى نهاية هذه المقدمة أبدى أسفه لقلة ما يعرفه الأوروبيون بصورة عامة عن العرب واللغة العربية. ولاتزال نسختان من طبعة هينكلمان للقرآن الكريم موجودتين فى ألمانيا إحداهما فى المكتبة العامة بمدينة هامبورج والأخرى بمكتبة جامعتها(٧).

طبعات قديمة للقرآن الكريم فى ألمانيا:

ثم توالت طبعات القرآن الكريم فى ألمانيا؛ ومن ذلك طبعة لفردريك مجرلين (Fredrick Megrerlin) التى صدرت فى فرانكفورت سنة ١٧٧٢م وطبعة ترجمة سيل (SALE) الإنجليزية التى نقلها إلى الألمانية ثيو أرنولد (THEO ARNOLD) التى طبعت فى لمجو (LEMGO) سنة ١٧٤٦م. على أن أحسن الترجمات الألمانية هى التى قام بها بويسون (BEYSON) سنة ١٧٧٣م، وهى التى نقحها فيما بعد وهل (G. WAHL) سنة ١٨٢٨م. وهناك طبعة أولمان (UILMANN) سنة ١٩٥٣م والتى أعيد طبعها عدة مرات.

عرض سريع للترجمات الأوروبية والشرقية لمعانى القرآن الكريم:

الفرنسية: ترجم معانى القرآن الكريم إلى الفرنسية أندرو راير (ANDREW DURYER) الذى كان يعمل قنصلا عاما لفرنسا فى مصر، وكانت له معرفة طيبة باللغتين التركية والعربية، وطبعت ترجمته عام ١٦٤٧م وفى سنة ١٧٨٣م طبعت ترجمة سفارى Savary، ثم تلا ذلك ترجمة كازيميرسكى KASIMIRSKI التى طبعت مرتين سنة ١٨٤٠م، ١٨٤١م ثم طبعة ثالثة سنة ١٨٧٥م.

وفى سنة ١٨٥٢ طبعت ترجمة يونية.

السويدية: فى سنة ١٨٧٤م تولى تورنبرج (G.G. Tomberg) ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة السويدية.

الأسبانية: فى القرن الثالث عشر الميلادى طلب الفونس العاشر أن تترجم معانى سورة الإسراء إلى اللغة الإسبانية، فقام بهذا العمل طبيبه الخاص الدون إبراهيم، وقد نقلت هذه الترجمة إلى الفرنسية بواسطة بونا فنتورا دى سيف BONNA VENTURA DA SAVE.

الهولندية: وأول ترجمة هولندية نقلت عن ترجمة سكويجر (SCHWEIGGER)، طبعت فى هامبورج سنة ١٦٤١م، ثم ترجمة جلاماكر (J.H. GLASEMAKER) الذى اعتمد فيها على ترجمة راير الفرنسية وقد طبعت فى ليدن (LEYDEN) سنة ١٦٥٨م ثم طبعت هذه الترجمة مرتين

إحداهما فى سنة ١٦٩٨م والأخرى سنة ١٧٣٤م.

وفى سنة ١٨٠٦م قام بترجمة معانى القرآن الكريم الدكتور كيزر (KEYSER) الذى كان يتولى تدريس الشريعة الإسلامية بجامعة دلفت (DELFET) وطبعت هذه الترجمة باللغة الهولندية فى مدينة هارلم.

الروسية: وفى سنة ١٧٧٦م. ظهرت ترجمة روسية لمعانى القرآن الكريم فى مدينة بتراجراد (لينينجراد اليوم).

الإيطالية: وفى سنة ١٥٤٧م قام أندر أريفابين (Ander Arivaben) بنقل ترجمة ببيلياندر اللاتينية إلى الإيطالية. ومن الترجمات الإيطالية ترجمة أكيلو فاراكسى (Aquilio Fracassi) أحد أساتذة الفنون الملكية بميلانو سنة ١٩١٤م، وقدم لها بمقدمة عن التراجم الإيطالية القديمة مع ملخص للسور وشرح أسمائها.

الإنجليزية: كانت أول ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية هى التى قام بها الكسندر روس (ALEXANDER ROSS) التى نقلها عن ترجمة راير الفرنسية ثم ترجمة الدكتور سيل (Sale) وهذا الأخير نقلها عن العربية مباشرة سنة ١٧٣٤م؛ وقد طبعت هذه الترجمة عدة مرات مع مقدمة مسهبة تحت عنوان «مقالة فى الإسلام» وقد وضع المترجم على هامش ترجمته بعض التفاسير عن البيضاوى(٨).

وكذلك ترجم معانى القرآن الكريم إلى الإنجليزية القسيس رودويل (RODWELL) وهو إنجليزى وجعل ترجمته وفقا لترتيب نزول الآيات تاريخيا، وقد طبعت هذه الترجمة على الحجر على هامش القرآن الكريم سنة ١٨٣٣م.

وقد حاول ريتشارد برتن مع آخرين ترجمة معانى القرآن الكريم بالسجع الشعرى ونشرت أجزاء من هذه الترجمة فى مجلة أدنبرج سنة ١٨٦٦م.

بلغة الاسبرانتو العالمية: وقد قام بهذه الترجمة خالد شلدريك (KHALID SHEL-DRAKE).. وظهر بعضها فى مجلة إسلاميك ريفيوا وفيما يلى سورة الفاتحة بهذه اللغة(٩):

SURA. AL Fathah

PRO LA NOMO de dio La indulgema and IMALSEVERA.

Laudo estu al Dio, La majstro de la mondoj

Plena De Kompato, Rego en la Tago De Lajogo

Al vi Servu ni, Kaj al Vi ni prgu.

Knoduleu nin en la gusta vojo

Ne de Tiujj kiu Koleras Koleras Kontrau via vola

Ne de tiujj enaras. Amin

الترجمات الشرقية لمعانى القرآن الكريم

الفارسية: إن هذه اللغة هى أول ما ترجمت إليه معانى القرآن الكريم من اللغات، وقد ذكر الفقيه الكبير شمس الأئمة السرخسى فى كتابه المبسوط (ص٧٣) أن الإمام أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ روى أن الفرس كتبوا إلى مواطنهم سلمان رضي الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية. فكانوا يقرأون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم العربية، وبذلك تكون هذه الترجمة أقدم ما عرف على الإطلاق من ترجمات معانى القرآن الكريم.

وذكر الجاحظ فى «البيان والتبيين» أن موسى بن سيار الأسوارى المتوفى سنة ٢٥٥ هجرية كان يدرّس تفسير القرآن الكريم بالفارسية. ووصل إلينا ترجمة معانى القرآن الكريم على أيدى علماء ما وراء النهر سنة ٣٤٥ هجرية للملك منصور بن نوح السامانى وأضافوا إلى الترجمات تفسير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية.

وفى العصور الحديثة ظهرت نسخة فارسية وعربية وجزءان طبع كل منهما سنة ١٨٣١م وأشار برونيه (BRUNET) إلى ترجمة فارسية أخرى فى أصفهان، وقد طبعت خصيصا للشاه رافع الدين

ترجمة فارسية وعلى هامشها تفسير باللغتين الفرنسية والأوردية (لغة الهند) وباكستان.

السريانية: وأول من ترجم القرآن الكريم من غير المسلمين هم السريان؛ فقد عثر على كتاب جدل، فيه ترجمة لمعانى آيات القرآن بالسريانية، وهو مخطوط على رق، لاتزال محفوظة فى مكتبة مانشستر بانجلترا، ويقول الأستاذ مانكانا إن «هذه الترجمة هى من وضع بارصيليبى المعاصر للحجاج بن يوسف، أى فى الثلث الثالث من القرن الأول الهجرى».

العبرية: ذكرت دائرة المعارف اليهودية أنه توجد بعض ترجمات لمعانى القرآن الكريم باللغة العبرية وأن بعض أجزاء من هذه الترجمات توجد فى المكتبة البودلية بأكسفورد بانجلترا تحت رقم ١٢٢١، وفى فهرست تلك المكتبة، عنوان لكتاب عبرانى يشتمل فى آن واحد على التوراة والترجوم والقرآن الكريم.

وقد ترجم معانى القرآن الكريم من اللاتينية إلى العبرانية يعقوب بن إسرائيل حاخام زنتى (Zante) سنة ١٦٣٤م. ثم ترجمه هرمان ريكندوف (HERMANN REEKENDORF) وطبع فى ليبزج سنة ١٨٥٧م.

الأوردية (الهندية) أقدم الترجمات الأوردية قام بها الشيخ عبدالقادر بن الشاه ولى الله، طبعت فى دلهى سنة ١٧٩٠م، وظهرت فى طبعات مختلفة مع الأصل العربى، وترجم معانى القرآن الكريم إلى الأوردية كذلك الدكتور عماد الدين أمرتسار: (AMRTTSAR)، وقد طبعت ترجمته فى «الله أباد» وهى أول طبعة بحروف أوردية أفرنجية. وهناك طبعة ١٣١٥هـ اسمها: (القرآن الكريم) وفيها الأصل العربى وترجمته بالفارسية والأوردية.

البنجالية (الهند): فى سنة ١٩٠٨م بدأ القس (وليم جلود ساك) ترجمة معانى القرآن الكريم إلى لغة بنجالى فى الهند.

الجاوية: ترجمة معانى القرآن الكريم إلى لغة مالى بجاوة مع تفسير البيضاوى، وظهرت ترجمته باللغة الجاوية سنة ١٩١٣م لرجل كان يسمى نفسه خادم سلطان تركيا.

التركية: كان السلطان عبدالحميد الثانى يمنع منعا باتا ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية وبعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨م بدأ بعض الكتاب الأتراك فى ترجمته إلى اللغة التركية وسط مقاومة بعض المتمسكين من المحافظين على القديم، وأول ترجمة من هذا النوع ظهرت لإبراهيم حلمى، كما ظهرت كذلك ترجمة أخرى فى المجلة التركية (إسلام مجموعة س) لمحررها سليم ثابت بقلم رجل كان يوقع اسمه: خ. ن.

ولابد من الملاحظة بأن هذه الترجمات الشرقية لم تكن فى الواقع ترجمة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة بل هى عبارة عن تفسير لآيات القرآن الكريم. ومن هذا القبيل ما وضع كل من فرجنيل (M.F Fargenel) وبوفات (M.L BOUVAT) من شرح للقرآن الكريم باللغة الصينية فى مجلة ريفودى موند مسلمان (Reveue du Monde Musulman) (جزء ٤ ص٥٤٠).

بعد هذا العرض التاريخى لترجمات معانى القرآن الكريم فى اللغات المختلفة، فإنى أهيب بعلماء المسلمين فى أنحاء العالم العربى والإسلامى كافة وبخاصة فى المملكة العربية السعودية إلى جمع ترجمات معانى القرآن الكريم من مظانها ودراستها ومراجعتها وتمحيصها بالاستعانة بنخبة مصطفاة من المترجمين المسلمين النابهين فى اللغة العربية واللغات المترجم إليها، وذلك لتدارك ما قد يكون قد وقع سهوا أو لعدم قدرة المترجم وتمكنه من النقل عن العربية من أخطاء طباعية أو نتيجة لعدم قدرة المترجم على فهم أسرار اللغة العربية وسبر أغوارها التى قد تخفى أحيانا على أهلها والناطقين بها.. وهذه دعوة أرجو أن تجد سبيلها إلى أسماع قادة المسلمين والمحافظين على كتابها الأعظم.. والله من وراء القصد.

الهوامش:

١ ـ عبدالقادر الأعظمى فى كتابه: تحت راية القرآن، نقلا عن نشرة الرسالة الصادرة فى بون بألمانيا ـ ص٢ عدد ١٩٦٣/٣٨م. بيد أن الدكتور محمد حميد الله ذكر فى مقال له نشرته مجلة الأفكار والفنون الصادرة بألمانيا سنة ١٩٦٥م أن الذى أمر بإتلاف النسخ المطبوعة من القرآن الكريم فى أوروبا هو الكسندر السابع المشار إليه فى متن الكلام.

٢ ـ ويقول الداعية النصرانى القس صموئيل زويمر الذى نقلت عنه جزءا من هذه المعلومات، يقول بأن هذه الترجمة بقيت مجهولة فى أوروبا نيفا وأربعمائة سنة حتى قيض الله لها من يظهرها للوجود مرة ثانية (تراجم القرآن ـ المقتطف ص٥٢٩ مجلد ٤٦).

٣ ـ إلا أن الشيخ عبدالقادر الأعظمى يقول أن ببيلياندر هو نفسه قد ترجم معانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية (ص٢ من نشرة الرسالة فى بون ١٩٦٣م نقلا عن كتاب (تحت راية القرآن).

٤ ـ تحت راية القرآن: للشيخ عبدالقادر الأعظمى ـ نشرة الرسالة الصادرة فى بون سنة ١٩٦٣م ص٢.

٥ ـ نفس المصدر السابق.

٦ ـ القس صموئيل زويمر فى مقال نشره بمجلة المقتطف، مجلد ٤٦ ص٥٢٩ وما بعدها تحت عنوان: «تراجم القرآن».

٧ ـ الشيخ عبدالقادر الأعظمى فى كتابه «تحت راية القرآن» عن نشرة الرسالة الصادرة فى بون ص٢ عدد ٢٨ سنة ١٩٦٣م. ويقول الدكتور محمد حميد الله فى مقال له بعنوان (الألمان فى خدمة القرآن)، نشرته مجلة «الأفكار والفنون» الصادرة فى ألمانيا: إن أول نسخة مطبوعة وصلتنا قام بها إبراهام هينكلمان. أ. هـ. وكان هينكلمان هذا من رجال الكهنوت فى كنيسة القديسة سان كاترين بهامبورج وهو من المنتمين لحركة البيتسم التى تعنى: الاحترام والطاعة والورع.

٨ ـ نقلت هذه المعلومات عن القس صموئيل زويمر فى مقاله المذكور من قبل.

٩ ـ نقلا عن القس صموئيل زويمر الداعية البروتستانتى فى مصر من مقال له نشر بمجلة المقتطف مجلد ٤٦، جزء ٦ ص٥٢٩ سنة ١٩١٥م وما بعدها.

قائمة باللغة التى ترجمت إليها معانى القرآن الكريم وعدد كل منها

اللغة	عددها	اللغة	عددها
١ ـ أرغونية	١	١٤ ـ بوهيمية من تشيكوسلافاكيا	٣
٢ ـ أسيوجية	٦	١٥ ـ تركية ـ باللاتينى	٢٣
٣ ـ أفريقانية (لهجة من الونديزية بالحرف العربى)	٤	بالإيفور القديم ٣ قطعات	٣ قطعات
٤ ـ ألبانية	٢	بالعربي (فى فهرست د. يشاء)	٦٠ تقريبا
٥ ـ الخميادو (إسبانية بالحرف العربى)	٣٥	١٦ ـ دانماركية	٣
٦ ـ ألمانية	٤٢	١٧ ـ روسية	١١
٧ ـ إنجليزية	٥٧	١٨ ـ رومانية	١
٨ ـ أوكرانية	١	١٩ ـ إيطالية	١١
٩ ـ إيسبرانتو	١	٢٠ ـ فرنسية	٣٣
١٠ ـ برتغالية	٤	٢١ ـ فنلندية	١
١١ ـ بلغارية	٢	٢٢ ـ لاتينية	٤٢
١٢ ـ بشنافية (يوغسلافية بالحرف العربى)	٢	٢٣ ـ مجرية (هنجارية)	٦
١٣ ـ بولونية لاتينى	٧	٢٤ ـ نرويجية	١
(بالعربى)	١	٢٥ ـ ولنديزية	٧
		٢٦ ـ أسبانية (بالاتيني)	١٨
		٢٧ ـ اليونانية	٣

«مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامى والغرب.. وفاق أم صدام؟»

أ. د. محمود حمدى زقزوق

تمهيد

لا جدال فى أن هناك ضبابا كثيفا يعكر صفو العلاقة بين العالم الإسلامى والغرب فى الوقت الراهن واجتماعنا اليوم لبحث مستقبل هذه العلاقة وطرح السؤال عما إذا كان المستقبل يدخر لها الوفاق أم الصدام. دليل على أن هذه العلاقة تمر بمرحلة يمكن أن نطلق عليها أنها أزمة ثقة بالغة التعقيد ويبدو أن ذلك يرجع إلى أن كل جانب لا يفهم الطرف الآخر أو لا يعير كبير اهتمام لوجهة نظر الطرف الآخر.

ومن هنا فإننا إذا بحثنا مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب من منطلق الواقع المعاش فى الوقت الراهن فربما ينتهى بنا المطاف إلى شعور عميق بالتشاؤم نظرا لأن كل الشواهد البادية للعيان تشير إلى افتقاد الثقة وتشكك كل طرف فى نوايا الطرف الآخر. ولعل ذلك له ما يبرره على الجانب الإسلامى. فالتدخل المستمر فى شئون العالم الإسلامى بحجة الإصلاح ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان أصبح أمرا مقلقا حتى للمواطن العادى فى العالم الإسلامى.

ولكننا لا نريد أن نكون أسرى اللحظة الراهنة ولا نريد أن نركن إلى نظرية المؤامرة ولا نريد أيضا أن تكون العواطف الجياشة والانفعالات هى التى تحدد مواقفنا. ولابد لنا إذا أردنا أن نصل إلى رؤية موضوعية من النظر إلى هذه العلاقة بشفافية تامة ومصارحة بعيدا عن عبارات المجاملات المتبادلة التى لا تعنى شيئا. وهذا أمر يدعونا إلى أن يمتد بصرنا إلى تاريخ علاقة الإسلام بالغرب فى الماضى مرورا بالحاضر واستشرافا للمستقبل.

وعلى الرغم من أننى لست خبيرا استراتيجيا أو منظرا أو مخططا فإننى من منطلق فكرى وبنظرة عقلانية أطرح رؤيتى لمستقبل علاقة الإسلام بالغرب.

ولكننى لا أخفى فى الوقت نفسه حرصى الشديد على سلامة هذه العلاقة من أجل مصلحة الطرفين ومن أجل سلام العالم الذى نعيش فيه والذى هو عالمنا جميعا.

أزمة الثقة:

وهناك - على ما يبدو - اعتراف من كلا الجانبين بأن هناك أزمة ثقة بين العالم الإسلامى والغرب .وقد كان موضوع إعادة بناء الثقة بين العالم الإسلامى والغرب محور بحث مؤتمر عقد فى شهر مايو الماضى بمقر المعهد السويدى بالإسكندرية(١) وهناك العديد من أمثال هذه المؤتمرات تقام فى كثير من الدول الأوروبية والإسلامية الأمر الذى يعد مؤشرا لمحاولات جادة تبذل من أجل رأب الصدع وإصلاح الخلل الذى أصاب العلاقة بين الإسلام والغرب.

والأمر الذى يلفت النظر فى كثير من هذه المؤتمرات أنها تستخدم مصطلح الإسلام وتقصد العالم الإسلامى ولا يحدث هذا الخلط على الجانب الآخر بين الغرب والمسيحية. وهذا الخلط بين العالم الإسلامى والإسلام أدى فى الغرب إلى اتهام الإسلام فى الإعلام الدولى بالإرهاب والدموية والعدوان.. إلخ فى حين أن الإسلام كدين لا صلة له بما يمارس باسمه من أحداث دموية.

صحيح أن الإسلام كدين فى حاجة إلى من يحمله ويتبنى

تعاليمه. وهذا أمر ينطبق على كل دين آخر فالدين ليس شيئا مجردا يحوم فى الهواء. ولكن الصحيح أيضا أن الدين - أى دين - لا يتحمل مسئولية كل ما يحدث باسمه هنا أوهناك نتيجة خطأ فى الفهم أو فى التفسير أو فى الاستنتاج أو عن سوء نية.

ولعل ذلك الخلط على الجانب الغربى يرجع إلى أيام الحروب الصليبية التى أقحمت فيها أوروبا الصليب تبريرا للحرب على الشرق الإسلامى حينذاك فى حين أن الصليب فى حد ذاته لم يكن له صلة بتلك الحرب ولذلك أطلق عليها المؤرخون المسلمون حرب الفرنجة ولم يجاروا الأوروبيين فى تسميتها بالحروب الصليبية نأيا بالدين المسيحى من الزج باسمه فى حروب دموية لا يرضى عنها بأى حال من الأحوال بل تتناقض تماما مع طبيعته بوصفه دين محبة وسلام.

تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب:

لقد نشأت المسيحية أساسا فى الشرق وأقدم الكنائس المسيحية فى العالم نشأت فى الشرق أيضا ولم تعترف أوروبا بالديانة المسيحية رسميا إلا فى العقدالثانى من القرن الرابع الميلادى. وعندما ظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى كانت مشاعر المسلمين متجاوبة مع المسيحيين وأكد القرآن الكريم أن المسيحيين أقرب الناس مودة للمسلمين. وأشار إلى أن المسلمين قد أصابهم الحزن عندما انهزم الرومان المسيحيون أمام الفرس الوثنيين آنذاك كما جاء فى أول سورة الروم.

فالبدايات بين الديانتين كانت تشير إلى علاقة حميمة بينهما الأمر الذى جعل النبى ﷺ يرسل أول فوج من المهاجرين من أصحابه - فرارا من تعذيب كفار مكة لهم - إلى الحبشة التى كانت تدين بالمسيحية قائلا: **«إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد»** وكان ملك الحبشة حينذاك هو النجاشى الذى رفض رفضا قاطعا تسليم هؤلاء المسلمين إلى أهل مكة الذين ألحوا فى إعادتهم إلى مكة.

ولم يتغير شىء منذ ذلك التاريخ حتى الآن من موقف الإسلام كدين إزاء المسيحية التى يعد الإيمان بها وبعيسى عليه السلام جزءا لا يتجزأ من عقيدة المسلم. ومن أجل ذلك لا يجوز بأى حال من الأحوال وضع الإسلام فى موقف عداء وكراهية للمسيحية.

إن الإسلام يؤكد تأكيدا واضحا على القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية واليهودية. ومن أجل ذلك فإن محاولات تعميق الخلاف بين هذه الأديان فى القضايا الاعتقادية يعد أمرا مرفوضا تماما من الإسلام. فلكل أن يعتقد ما يشاء فلاإكراه فى الدين وكل فرد مسئول فى النهاية عما يعتقد والذى سيفصل بين الجميع يوم القيامة هو الله وليس البشر(٢).

وقد أردت بإبراز ذلك أن أؤكد من بادئ الأمر أن الإسلام كدين والمسيحية كدين يعدان دينان شقيقان.

وقد أدرك ذلك النجاشى ملك الحبشة حينذاك بعد أن استمع من المسلمين إلى عقيدتهم مؤكدا على المصدر الواحد لهذه الأديان.

والأمر المؤسف أن المتعصبين على كلا الجانبين قد استطاعوا على مرالتاريخ أن يفتعلوا خصومة بين الإسلام والمسيحية. وهذه جريمة تاريخية كان لها آثار بالغة الخطورة على الجانبين.

ولا تزال بعض آثار هذه الخصومة المصطنعة مترسخة فى المعلومات الخاطئة التى يدرسها الأطفال فى الكتب المدرسية فى الغرب حتى اليوم وذلك بدلا من التركيز على ثقافة السلام.

العلاقات الثقافية:

وعلى الرغم من كل النزاعات والحروب التى دارت بين المسلمين من جانب والغرب من جانب آخر فإن الصلات الثقافية بين الجانبين ظلت متواصلة دون انقطاع على مدى التاريخ وقد استمر التأثير المتبادل والتفاعل بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية حتى اليوم.

ويمكن القول بأن هذا التواصل الحضارى كان ولا يزال يمثل صورة رائعة من الحوار الحضارى الصامت - إن صح التعبير - بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

فمن المعروف أن المسلمين قد اهتموا منذ البداية بالحضارات الأخرى ودرسوا بصفة خاصة المؤلفات الفلسفية والعلمية اليونانية التى ترجموها إلى اللغة العربية وأثروها بتعليقات هامة .ومن خلال البحث المستقل فى كل ما تعرفوا عليه من ثقافات استطاعوا أن يضيفوا أفكارا وتصورات جديدة وأن تكون لهم ثقافتهم وفلسفتهم الخاصة بهم.

وأوروبا من جانبها قامت خلال القرون الثلاثة الأولى من الألفية الثانية بترجمة مؤلفات العلماء والفلاسفة العرب إلى اللغة اللاتينية. ومن الجدير بالذكر فى هذا الصدد أن أوروبا قد تعرفت على الفلسفة اليونانية لأول مرة عن طريق المؤلفات العربية. وفيما بعد فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر بدأ الأوروبيون ترجمة المؤلفات اليونانية مباشرة من اليونانية إلى اللغة اللاتينية.

ولا ننسى فى هذا الصدد أن الأندلس وجزيرة صقلية كانا يمثلان قناتين هامتين لنقل الثقافة الإسلامية إلى أوروبا. والأمر الجدير بالذكر فى هذا المقام أن الطلاب الأوروبيين كانوا يتوافدون على الأندلس فى العصور الوسطى للدراسة فى الجامعات الإسلامية وبالمثل لا يزال الطلاب المسلمون يلتحقون بالجامعات الأوروبية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن دون انقطاع.

ولا شك فى أن الوعى بهذا التلاحم الثقافى والدينى فى الماضى بين الجانبين من شأنه أن يتيح أمامنا الفرصة إلى النظر فى المستقبل بتفاؤل له ما يبرره.

مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب:

ومن نافلة القول أن نؤكد أن مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب ليس قدرا محتوما لا دخل للبشر فيه وليس أمرا مجهولا تماما لا يمكن الخوض فيه. إن المستقبل نصنعه نحن بأيدينا على كلا الجانبين فإذا توفرت النوايا الحسنة والإرادة الصادقة والتصميم على إزالة كل المعوقات فإن التنبؤ بالعلاقة المستقبلية بين الإسلام والغرب لن يكون ضربا من الخيال. وإنما يكون قائما على التخطيط المشترك وهذا أمر يتوقف على معرفة هذه المعوقات أولا والبحث عن حلول مشتركة لها على أساس من الاحترام المتبادل والفهم المشترك والمصالح المشتركة أيضا.

وإذا كان المقام لا يسمح بالكثير من التفاصيل فإننى أود أن أشير فى هذا الصدد إلى بعض الأمثلة من المشكلات التى ينبغى التغلب عليها أولا لإزالة ما يعترض صفو العلاقة بين الإسلام والغرب من عقبات .وتتلخص هذه العقبات فى قضايا أساسية ثلاثة وهى:

١ ـ القضية الفلسطينية.

٢ ـ الإرهاب.

٣ ـ التدخل المستمر فى شئون العالم الإسلامى ومحاولات فرض صور معينة للإصلاح. وبتعبير آخر الآثار المترتبة على العولمة.

أما القضية الأولى وهى القضية الفلسطينية فقد آن الأوان لأن يقوم الغرب على نحو فعال بحل هذه القضية حلا عادلا فقد مضى عليها حتى الآن حوالى٥٧عاما تعقدت فيها يوما بعد يوم.

وإن ما حدث ولا يزال يحدث فى فلسطين من قتل وتشريد وتدمير للبشر والمنازل والمزارع والأشجار وكل وسائل الحياة تحت سمع وبصر العالم وبصفة خاصة تحت سمع وبصر القوى الفاعلة فى العالم على الجانب الغربى أمر يفوق التصور.

لقد تحركت كل هذه القوى الفاعلة لحماية سكان تيمور الشرقية وحماية استقلالها عن إندونيسيا وتحركت لحل النزاع فى جنوب السودان وفى البلقان وفى غيرها من أماكن كثيرة فى العالم. فلماذا تتجاهل هذه القوى ثلاثة ملايين فلسطينى يعيشون فى سجن كبير دون أى حماية دولية؟ أليس هذا أمرا يصدم مشاعر المسلمين فى العالم الإسلامى ويثير الكثير من علامات الاستفهام؟

إن الغرب مسئول عن حل هذه المشكلة لأن بداياتها كانت على يديه عام ١٩١٧م بوعد بلفور الشهير كما يعلم الجميع.

أما قضية الإرهاب التى ألصقت

فى الإعلام الدولى بالإسلام ظلما وعدوانا فإن الإسلام على مدى تاريخه لم يعرف الإرهاب. ونود أن نؤكد أن الإسلام الذى يشجع العنف والإرهاب والذى تتحدث عنه وسائل الإعلام الدولية إسلام لانعرفه نحن المسلمين ولم يكن للمسلمين دينا فى يوم من الأيام. إنه إسلام غريب على التاريخ وغريب على خُمس سكان العالم من المسلمين. ودون توزيع للاتهامات فإن الغرب يعرف تماما أنه هو الذى احتضن العناصر المتطرفة فى العالم الإسلامى وأتاح لها حرية الحركة والتنظيم وجمع الأموال حتى اشتد ساعدها وانقلبت عليه فى نهاية الأمر أو كما يقال انقلب السحر على الساحر.

وتوسيع دائرة الإرهاب بفتح جبهة جديدة فى العراق لم يحدث على يد المسلمين بالقطع وإنما حدث نتيجة لغزو غير مشروع للعراق.

وقد أصاب رئيس الكنيسة الكاثوليكية فى بريطانيا كبد الحقيقة حين صرح فى الشهر الماضى بأن الأموال الطائلة التى أنفقت على الحرب فى العراق لو كانت قد أنفقت على فقراء إفريقيا والشرق الأوسط لكان فى ذلك الخير كل الخير للإنسانية.

ولست أريد الخوض فى ذلك فالحديث فيه يطول ولكنى أود أن أشير إلى أن معالجة الإرهاب على النحو الحادث حتى الآن لن تقضى على الإرهاب لسبب بسيط وهو أن هذه المعالجة تقتصر على علاج الظاهرة على نحو سطحى تماما. والمعالجة الفعالة تقتضى أن نبحث على نحو جدى عن الأسباب الحقيقية للإرهاب ونقضى عليها من الجذور. وهذا أمر لم يحدث حتى الآن.

كما لا يجوز الخلط بين الإرهاب والكفاح المشروع للشعوب المضطهدة من أجل الحصول على حقوقها المشروعة التى تكفلها القوانين والمواثيق الدولية.

ولست أبالغ إذا قلت إن حل القضية الفلسطينية سيكون كفيلا بالقضاء على ٩٠٪ من مشكلة الإرهاب لا لأن الفلسطينيين إرهابيون وإنما لأن كثيرا من الجماعات الإرهابية خارج فلسطين تتمسح فى القضية الفلسطينية وتتخذ منها ستارا لأفعالها.

وترى عالمة الاجتماع الإسبانية الخبيرة فى الشئون الإسلامية جيما مارتين مونوث Gema Martin Muno أن الإرهاب سوف تتسع دائرته إذا استمر تيار التخويف من الإسلام فى الغرب وإذا لم تحل مشكلات الشرق الأوسط السياسية والعسكرية الملحة بأكبر سرعة ممكنة.

أما النقطة الثالثة وهى المحاولات المستمرة للتدخل فى شئون العالم الإسلامى فإن الغرب يتعامل مع المسلمين كما لو كانوا أمة بلا حضارة لا تفهم ما يصلحها أو يضرها أمة قاصرة فى حاجة إلى وصاية. ويتصور الغرب أن صلاح هذه الأمة لن يتحقق إلا بالأخذ بالتصورات الغربية فى جميع المجالات.

ويتجاهل الغرب أنه يدعو إلى التعددية سياسية كانت أم دينية أم ثقافية أم اجتماعية وأن التمايز الحضارى أمر مقرر منذ فجر التاريخ ولا يجوز إجبارشعب من الشعوب على تبنى قيم شعب آخر. وعلى سبيل المثال يعاب على العالم الإسلامى محاربته للشذوذ الجنسى ويراد له أن يوقف العمل بنصوص قطعية فى القرآن الكريم وغير ذلك من مطالب غربية غريبة. أليس ذلك ضد حرية الإنسان وحقوقه المشروعة فردا كان أم جماعة.

إن محاولة حضارة من الحضارات الهيمنة على الحضارات الأخرى وفرض قيمها ونظمها على هذه الحضارات وإلغاء خصوصياتها ومحو ذاتيتها أمر يعد ضد طبيعة الأشياء ويعد جناية على الشعوب المنضوية تحت هذه الحضارات لأنها ستجد نفسها بلا هوية وستجد نفسها مقطوعة الجذور وفى الوقت نفسه لاتنتمى إلى حضارة الآخرين وفى ذلك قتل للشخصية الحضارية المعتدى على خصوصياتها لصالح الحضارة الساعية للهيمنة.

آفاق المستقبل:

إن العالم الإسلامى لا يميل إلى الصدام مع أى حضارة من

الحضارات ولايجوز لنا على الجانبين - الإسلامى والغربى - أن نظل أسرى نزاعات وحروب قديمة أو حديثة معظمها أصبح فى ذمة التاريخ.

ومن هنا فإننا نتطلع إلى رأب التصدعات فى العلاقة بين الإسلام والغرب ومداواة الجروح التى لم تلتئم بعد. ويمكن أن يتم ذلك عن طريق حوار جاد على جميع المستويات يسوده الاحترام المتبادل من أجل الوصول إلى استعادة الثقة بين الجانبين بهدف تحقيق التعاون المثمر بينهما. وفى هذا الصدد نود أن نشير إلى أن ما يجمع بينهما من قواسم مشتركة أكثر مما يفرق بينهما. ولذلك فنحن نرفض مقولة الأديب الإنجليزى المعروف كبلنج Kipling التى يقول فيها: «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا» كما نرفض أيضا دعوى صدام الحضارات التى قال بها صمويل هنتجتون والتى استغلت لتبرير الهيمنة على الشرق الأوسط.

وإذا كان العالم الإسلامى فى حاجة إلى الغرب للاستفادة من تجاربه وخبراته فى مجالات التنمية الشاملة وغيرها من مجالات أخرى على جميع المستويات فإن الغرب بدوره فى حاجة إلى العالم الإسلامى ليس فقط للاستفادة من موارده وثرواته ولكن لأن سلام العالم لن يتحقق بدون تعاون الطرفين.

وهذا يذكرنا بحديث للنبى صلى الله عليه وسلم يصور فيه البشر على أنهم يجتمعون فى سفينة بعضهم فى أعلاها وبعضهم فى أسفلها .وقد قرر الذين فى أسفلها أن يخرقوا لأنفسهم خرقا فى أسفل السفينة للحصول على حاجتهم من الماء. ويقول النبى إن هؤلاء لو تركوا يفعلون ذلك سيغرق الجميع وإن تعاون الجميع فى منعهم مما يريدون سينجو الجميع. فهل نترك بعض الحمقى والمتعصبين على كلا الجانبين يتحكمون فى مصير عالمنا إن المسئولية مشتركة والمصلحة مشتركة أيضا والمصير بالنسبة للجميع واحد.

إن الصدام أو التجاهل أو القطيعة بين العالم الإسلامى والغرب لن يكون فى مصلحة أى منهما فضلا عن أنه يمكن أن يحمل عواقب وخيمة لأطراف أخرى تشاركنا العيش فى هذا العالم.

ولست أريد بما عرضته على حضراتكم أن أضع كل المسئولية على الجانب الغربى وحده وأعفى الجانب الإسلامى من المسئولية. إن المسئولية فى حقيقة الأمر مشتركة - كما سبق أن أشرت - وإن كانت أبعادها على كل جانب مختلفة. ومن هنا لا يفوتنى أن أؤكد أن العالم الإسلامى ينبغى عليه أن ينتقل من مواقف ردود الأفعال إلى موقف الأفعال الهادفة. فكثيرا ما يفتقد المرء المبادرات الخلاقة على المستويات الاقتصادية والسياسية والحضارية والاجتماعية التى من شأنها أن تخرجه من أزماته الداخلية وتجعله أقدر على المشاركة فى حل المشكلات المشتركة مع الغرب.

وأعتقد - وأنا بطبعى متفائل - أن هناك فرصة سانحة أمام الطرفين لفتح صفحة جديدة من علاقات التعاون البناء والتفاهم المشترك من أجل بناء مستقبل أفضل للأجيال الجديدة فى العالمين الإسلامى والغربى فنحن مدينون لهذه الأجيال الجديدة بأن نهيئ لها مستقبلا خاليا من النزاعات والصراعات. فهذه الأجيال لم يكن لها ذنب فيما حدث من صراعات فى الماضى. ومن الظلم البين أن نحملها وزر هذه الصراعات القديمة التى أولى بها أن تحتل مكانها فى متاحف المقتنيات القديمة حتى إذا اطلع عليها زائرو هذه المتاحف أمكن لهم أن يستخلصوا منها الدروس والعبر.

وأعتقد أيضا أن صوت الحكمة والعقل سينتصر فى النهاية من أجل ترسيخ أسس الوفاق بين الجانبين.

إننا فى حاجة لترسيخ ثقافة السلام فى عالمنا من أجل أن ينعم البشر - كل البشر - بحياة يسودها الأمن والاستقرار •

• محاضرة ألقيت فى الجلسة الافتتاحية للندوة الدولية حول «مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب .. وفاق أم صدام؟» والتى قام بتنظيمها المجلس المصرى للشئون الخارجية ومركز الدراسات العربية بلندن فى ١٥ يناير ٢٠٠٥ م بالنادى الدبلوماسى المصرى

صـــــور تاريخـــــية

فى مجلس أسامة بن منقذ

أ. د. محمد رجب البيومى

تسامع علماء دمشق بمرض الأمير الفارس الشاعر الكاتب أسامة بن منقذ، وكلهم يعرف مكانته فى الفروسية النادرة، والشعر الصادق المؤثر، والتأليف الجامع المتنوع، ومنهم من حضر مجلسه، وحرص على أن يعدّه فى سجل أساتذته، فجعلوا يفدون للسؤال عنه زرافات ووحدانا، وفى أصيل يوم من أيام الربيع ذهب العماد الأصفهانى مع صديقه الحافظ ابن عساكر، والحافظ المقدسى لعيادة الشيخ المريض، وكان قد جاوز التسعين، ولم يزل صحيح العقل قوى الذاكرة، حاضر النادرة، إلا أن جفاف يده، ورعشة أصابعه قد حالا دون الكتابة بالقلم، فاتخذ له كاتبا، يسجل ما يرويه، وألف بعد التسعين كعادته فى زمن الكهولة وما قبلها، وهذا ما أدهش وحيّر.

وقد جلس الأصدقاء الثلاثة فى ردهة المنزل العامر، ينتظرون خروج الطبيب ابن بطلان من عيادة الأمير الأديب، وكان ابن بطلان ذا دراية بالأدب والطب معا، فجعل يطيل حديثه مع المريض الشيخ مؤنسا مسامرا، دون أن يحفل بتقدم الوقت! فكان طول الزيارة مدعاة قلق للأصدقاء، إذ ترهوا شدة المرض وأخذوا يسلون أنفسهم بحديث عن أسامة، وكلهم خبير به عليم.

قال العماد: ما تصفحت ديوان الأمير إلا شعرت بنبرة آسية، وبلفح هادئ يثير مشاعرى، فالأمير على جلال مقامه وحسن بلائه، وجلوسه مجلس المشورة من الملوك والرؤساء، وذهاب صيته إلى كل مكان ينطق باللغة العربية، كان يطوى الطلوع على شجن مبرح نراه فى مثل قوله:

وما أشكو تلوّن أهل ودى
ولو أجدت شكايتهم شكوتُ
مللت مقالهم ويئست منهم
فما أرجوهمو فيمن رجوتُ
إذا أدمت قوارصهم فؤادى
صبرت على أذاهم وانطويت
ورحت إليهمو طلق المحيا
كأنى ما رأيت وما سمعتُ
تجنّوا لى ذنوبا ما جنتها
يداى، ولا أمرت ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرا
كما قد أظهروه ولا نويت
ويوم الحشر موعدنا وتبدو
صحيفة ما جنوه وما جنيتُ

فهذا الشعر وأمثاله كثير يصور ضيقا عنيفا بمن؟ بأهل ودّه، وذوى محبته، فكيف يكون ضيقه بالبيداء الأقاصى، وفيهم من تاوله بالقدح ظالما، وآثر الأمير فى شيخوخة السلامة فأغفى على أسف.

فراسة لا تخطئ:

قال الحافظ بن عساكر: إن حياة الأمير ذائعة الأدوار مشتهرة المواقف، وكلنا نعرف ما قاسى من ذوى وده، لقد أخلص لعمه كل الأخلاص، وكان يقتحم المهالك دفاعا عن حصنه فى شيزر، ويهاجم الصليبيين فى بسالة دار حديثها بين الناس، ظانا أن مواقفه البطولية ستتيح له مكانة فى قلب عمه، وهو رئيس الأسرة، وسيد الحصن وحاكمه، ولكنه رأى فى إعجاب الناس به، ما يطمس بريق ولده، وهو يعدّه للرئاسة من بعده، فأخذ يتبرم بمكانه، ويضايقه بمخالفته، ويهجن ما يأتيه من صالح الأعمال، وللأمير فراسة لا تخطئ، فعرف ما يدور بنفس عمه، وأدرك إلى أى غاية يرمى! إنه يحاول إبعاده كيلا يصبح زعيم الأسرة من بعده! وإذ ذاك غلبته حميته، ففارق موطنه كارها، وترك من الذكريات به ما كان حديث الناس، وبنفسه ما جعل يؤرقه ويضنيه!

رحلة المعاناة:

قال العماد! ليس هذا وحده ما كابد أسامة من أهل وده، بل إنه المشهد الأول من رواية متصلة، فقد رحل إلى دمشق، وتأكدت صلته بالوزير معين الدين، فكان صاحب مشورته السياسية والشخصية، وقد خاض الحروب معه ضد الصليبيين كما كان يخوضها مع عمه من قبل! ورأى الناس أن البطل الوافد أصبح رئيس الأبطال جميعا، فنقم من حقد، وغار من نافس! ثم تجهم الحظ للوزير، فعُزل، وأفل بأفوله من كان يحيطه بالصداقة والمشورة، لأن أمير دمشق شهاب الدين بن مورى رأى فى أسامة ساعدا أول لوزير جافاه وباعده، فتحرش به، وهجم الرعاع على منزل أسامة فنهبوا داره، وسرقوا كتبه، وصادروا سلاحه، واضطر إلى الفرار من دمشق كما اضطر من قبل إلى الفرار من شيزره فرحل إلى مصر خائفا يترقب!

قال الحافظ المقدسى: أكمل حديثك عما شاهده فى مصر، فأنا أرى اليوم شبيها بالأمس!

قال العماد: وكيف أحدثكما بما تعلمان، أنا أعرض ما أعلم لأجد تصحيحا لبعض ما أقول إن أخطأت، وأنتما تعلمان أن مقامه فى مصر لم يكن بالهنئ المرئ، لأن فساد السياسة بها، قد جعل الخلفاء والوزراء والجنود يتشاجرون ويتنافسون، وقد عرف الأمير بمصافاة من رآهم أهل الصدق فدارت عليهم الدائرة، وبلغت الدسائس أفحش ما تبلغ من السوء، حيث قتل الابن أباه، وحارب الأخ أخاه، واستعان المسلم بالصليبى، وتعددت أدوار المأساة، ولابد أن يطير شرارها ليحاصر الأمير الوافد، فعمل جاهدا على الرحيل، تاركا أسرته بمصر، لتصل إليه بعد أن يستقر مقامه بالشام محاربا فى جيش نور الدين، ولكن سوء الحظ قد لازم الأسرة فى رحيلها من بعده، إذ داهم مركبها الفرنجة، فنهبوا ما حرصت على حمله من سبائك الذهب، ونفائس المؤلفات، وقد جزع الأمير جزعا شديدا على مكتبته المنهوبة، ولكنه حمد الله على سلامة الأهل، ولا يدرك أحد حسرة العالم على كتبه، كما ندركها نحن، وأسامة الشاعر العاطفى أرق إحساسا، وأبلغ تأثيرا .. ولكنه كظم وساير عن استسلام لقدر لا حيلة له فى صنيعه، وقال من الشعر ما يبكى الجماد:

ضحك الحافظ بن عساكر، وقال: الحافظ المقدسى، صار مؤرخا مثل العماد! فقال العماد:

> **كان أسامة بن منقذ صادقا كل الصدق فما كتب عن حياته ولم يترك مؤرخه يقع فى حيرة**

ومثلك يابن عساكر!

فابتسم الحافظ المقدسى، وقال إذا كان حديثى عن الأمير يجعلنى مؤرخا، فهذا من بركاته، وإن كنت أعلم من نفسى غير ما تعلمان! وسأسكت لتتحدثا أنتما بإشباع وإمتاع!

قال العماد: من فضل الله على الأمير أنه دون صحيفة حياته، فلم يترك مؤرخه فى حيرة معه، على أنه كان صادقا كل الصدق فيما كتب، فنحن شهود الوقائع، وما ذكره مما شهدناه يدل بصدقه، على إخلاصه فى رواية مالم نشهد، وكلنا يعلم ما كان من أمره مع نور الدين ثم مع خليفته صلاح الدين.. لقد كان صاحب مشورة الرجلين، وفارس مواقعهما، وصادق وخاصم، وصافى وجافى، ثم أدركته الشيخوخة المتأخرة فحتمت عليه الانزواء، انزواء البطل المحارب، لا انزواء العالم الأديب! إذ مازال عطاؤه الفكرى يتدفق ويفيض!

وهنا خرج الطبيب يوحنا بن بطلان وجاء خادم الأمير، يفسح للزائرين مجال اللقاء، فدهش أسامة حين رأى صفوة أصدقائه يجتمعون، وحاول النهوض من مكانه مرحبا، فأقسموا عليه أن يستريح، ولكنه عنف بخادمه قائلا: قلت لى بعض الزائرين، ولم تذكر الأسماء، ولو علمت أن أحبائى ينتظرون لدعوتهم سريعا لنشترك فى الحوار مع ابن بطلان!

قال الحافظ المقدسى: وأى حوار لى مع مثل ابن بطلان! إن ألذ الحوار حوار الأمير الفارسى، وهو ما نسعى إليه على شوق أكيد!

فرد أسامة، أعرف أن ابن بطلان لن يفيدك شيئا فى علم الحديث، وأنت أحد أعلام الكبار، ولكن الطبيب قد لابس الحياة، وخابر الناس، وله تجاريبه الرائعة فلماذا لا نستمتع بمثله يا مقدسى!

قال العماد، أنا أعرف ابن بطلان معرفة القارئ الدارس، إذ قرأت رسائله فى الطب، ووقفت على محاوراته مع ابن رضوان طبيب مصر، ومثله ذو فضل لا يجحد! ولو كان لدى الحافظ المقدسى فراغ لقرأ بعض ما كتب ابن بطلان، ولكن معضلات علم الحديث، قد استغرقت جهده، وله تلاميذ لا يتركونه يستريح!

قال ابن عساكر: وهل حدثك ابن بطلان بما يطمئن فى سير العلاج! لتخف إلى ميدانك كعهدك من قبل!

فابتسم أسامة ابتسامة تكشف عن ألم سافر، وقال فى هدوء: معاذ الله أن أخدع نفسى يابن عساكر، إن جهد ابن بطلان معى أن يمنع شدة الألم، لا أن يزيله، لأن من جاوز التسعين لا يطلب البرء، وإذا توهمه، فقد ودع عقله، وللأمور خواتيم ومبادئ، ونحن فى وقت الختام، ولكل أجل كتاب!

من حق الأجيال الناهضة أن تتلقى دروس الشجاعة وتجارب الحياة عن الأبطال لتكون نبراسا لهم فى المستقبل

قال العماد: حفظ الله مولانا الأمير! إن الغيب كتاب مستور، ولا ندرى من مكنونه شيئا، فلنترك حديثه إلى طرف تاريخية أو قصائد شعرية تعودنا أن نسمعها من الأمير.

طرائف ونوادر:

قال أسامة، لم يخل حديث ابن بطلان معى من طرف نادرة، تصلح أن تكون مادة للمراجعة لدى الأطباء، وطرائف للسمر لدى الأدباء! وأذكر أنه قال لى من ذكرياته: «إن مريضا بالاستسقاء قد استحكم داؤه، وورم بطنه، حتى يئست منه، ثم اجتاز بى مرة، وقد زال عنه كل ما يجد، فقلت له ألست الذى شاهدتك من قبل مريضا بالاستسقاء وقد انتفخت وورمت ودقت رقبتك، فبماذا تداويت

حتى زال ما بك، فقال والله ما تداويت بشىء، أنا رجل فقير صعلوك لا أملك شيئا أتداوى به، وليس لى غير والدة عجوز، رأت ما أنا فيه من السوء، وعندها دنٌّ ملىء بالخل، فأخذت تسقينى منه الشىء بعد الشىء، حتى شفيت، قلت: وهل بقى من الخل شىء فأراه، قال نعم، فذهبت عجلا إلى منزل العجوز، ورأيت دنّ الخل، فأفرغته فى وعاء لأرى ما به، فوجدته فى أسفله ثعبانين ميتين، وقد تهرأ جسمانه، ولم تبق غير الضلوع والرأس، فقلبت كفا على كف، وقلت يابنى، ما يقدر أحد أن يداويك بخل يحمل سم الأفعى إلا الله عز وجل!

قال الحافظ المقدسى: هذا عجيب! ويكاد يكون مستحيلا.

فرد أسامة: الرجل صادق، وليس له نفع فى الكذب والاختلاق، وربما كانت سموم الأفعى قاتلة لجراثيم الجسم، فبدأ المريض فى الشفاء، وأقول ربما لأننى لا أجزم! ولأسرتى معه مواقف متعددة، فقد ظهرت بعض البقع البيضاء فى جسم إحدى عماتى، وهى صغيرة فخاف والدى أن تكون برصا، ودعا ابن بطلان لمداواتها، فابتسم بعد أن قام بالكشف وقال لوالدى، أريد خمسمائة دينار، حتى أداويها، فظهر الغضب فى وجه أبى، وقال، لو طلبت ألفا أو ألفين ما منعت شيئا، فلماذا تشترط، فقال ابن بطلان فى لطف: يامولاى، أنا خادمك وعبد فضلك، قلت لك هذا على سبيل المزح، لأن هذا البريق ليس مرضا، بل علامات تظهر فى هذه السن، ومتى تقدم الزمن، ذهب كل شىء وسترى، ثم مضت شهور وزال البريق، فسر والدى وعرف للرجل نبوغه وإخلاصه.

قال ابن عساكر، وعندى لابن بطلان نادرة

سجل التاريخ للمحاربين من المسلمين والصليبيين مواقف نادرة من البطولات فى حيدة وإنصاف

أذكرها، فقد أتاه مريض، وهو فى دكانه بحلب، يكاد لا يتكلم من انقطاع نفسه، فسأله ابن بطلان: ما صناعتك؟ فقال: أنا مغربل، فقال بعض تلاميذه: أحضر لى نصف رطل من الخل، وقدمه للمريض، وقال له: اشربه على عجل، فشربه ومضت لحظات، فتقيأ الرجل، وبقيئه طين كثير مزج بالخل، فارتاح وعاوده نشاطه، وأخذ يتكلم بسرور، وكأنه لا شىء به، فالتفت ابن بطلان إلى جلسائه من التلاميذ، وقال إياكم أن تداووا بهذا الدواء أحدا فتقتلوه، هذا الرجل مغربل، يصعد الغبار إلى صدره كل يوم، فتراكم بالمرىء حتى حجب نفسه، فقلت لابد أن يتقيأ بالخل، ليذهب ما علق به وقد كان، فهى حالة خاصة لا عامة.

فقال أسامة: عندى له طرف كثيرة، أوصيته بتسجيلها، لأن الطب تجربة، وبتسجيل هذه التجاريب بقلم نابغة كابن بطلان يستفيد الناس، ويتخرج على يده الكثيرون، ولكن ليس كل قارئ يصلح للطب، فلابد من الدراسة أولا على يد نابغة متمرس، ليعرف الدارس أنواع العقاقير وخصائص الأعشاب من ناحية وليرى المواقف العملية من مشاهداته لأستاذه، ومن يدرى فقد يسير فى الطريق ويبرع التلميذ شيخه الكبير.

الطب عند الإفرنج:

ثم واصل أسامة حديثه فقال: إن من نرى من الإفرنج لا يعتمدون فى أمور المريض إلا على رجل الدين فى الكنيسة، باستثناء ملوكهم وأمرائهم إذ لكل منهم طبيبه الخاص، ومهما عظم اطلاعه، فلن يبلغ مبلغ ابن بطلان وابن رضوان، ومن انتشر صيتهم لدينا من الأطباء، أذكر لكم عجيبة من غرائبهم حدثنى بها كليام دبور صاحب طبرية،

فقال كان لدينا فارس شجاع داهمه مرض أشرف به على الموت، فذهبنا إلى قسّ كبير، قالوا عنه إنه ذو بصر دقيق بمسائل الطب، وأنه إذا عالجه عوفى سريعا، فلما رآه القسّ قال أعطونى شمعا، فأحضرنا له ما أراد، فأذابه ولينه وجعله مثل عقدة الأصبع، وأتى بعقدتين، فجعل كل عقدة من الشمع فى أنف الفارس المريض، ومضى وقت قصير فمات الفارس مختنقا، فقلنا له: ما هذا لقد مات الرجل مختنقا على يدك، فقال: كان يتعذب فأحببت أن أقطع نفسه ليموت فيستريح، قلت: وماذا صنعتم بالقس، فقال (كليام) لا شىء، طبيب أخطأ، وخطأ الأطباء مغفور!

فرد العماد، أعرف ما يشبه ذلك، فقد أصيب فارس من فرسانهم بخراج خطير فى قدمه، فعمل له أهله لبخة، ووضعوها على الدمل فكاد يبرأ، ولكن سوء الحظ أوقعهم فى طبيب إفرنجى مرّ بالمنزل، فعرضوا الأمر عليه، فقال لهم، الأمر خطير ثم سأل الفارس: أيهما أحبّ إليك، تعيش برجل واحدة، أو تموت برجلين، فقال أعيش برجل واحدة، فقال أحضروا لى فأسا قاطعا وفارسا قويا، فجاء ما طلب، وتقدم إلى الساق فقطعها بضربة حادة سال منها مخ الساق فمات الرجل لساعته، فقال له أهل المريض، لقد خف المرض بعد اللبخة، فلماذا صنعت هذا؟ فقال أنتم لا تعرفون شيئا، أجله قد جاء فهل أؤخره؟

تجارب الحياة:

ما كاد العماد ينتهى من حديثه، حتى قال الحافظ المقدسى: مالنا نسهب فى ذكر المرضى والأطباء، لقد جئنا لنتحدث مع الأمير عن مشاهداته الحربية، ومعاركه النضالية، بالله عليكم فارقوا هذا الجو، وافتحوا بابا آخر، فابتسم أسامة وقال: أعرف ما ترمى إليه يا صديقى، ولكن ثق أن تجربتى فى الحياة علمتنى شيئا واحدا هو أن الأعمار بيد فاطر السماوات والأرض، فكم تعرضت للموت المحقق، وهجمت على ضوارى السباع، وتهدم السقف فوق رأسى ثم نجوت، بل كم حز فىّ السيف، وتغلغل الخنجر، ثم ظنّ أهلى أن الفراق محتوم، ولكن البرء كان يسعف، فأعود للحياة، وكأنى رجعت من القبر، وفى الجهة الأخرى، كم رأيت فارسا صنديدا، يهجم على الكتيبة المدججة فيفرقها وهو وحيد، ثم يموت من شكة إبرة فى إصبعه، وكم هرب إنسان من وحش كاسر ليلدغه ثعبان حيث لا يتوقع وجوده! والحياة لغز معقد لا يحله إلا من خلق الحياة، فلا خوف على نفسى من حديث الطب والمتطببين.!

فرد الحافظ المقدسى، كل ما قاله الأمير مسلمّ لا شك فيه، ولكن سيرته البطولية يجب أن تذيع وقائعها لتكون مثالا يحتذى، فنحن لانزال نواجه الصليبيين ولهم شراسة لا تحتمل، ومن حق الأجيال الناهضة أن تتلقى دروس الشجاعة عن الأبطال المغاوير.

قال العماد، معى دفترى وقلمى لأقيد ما سأسمع، إن لم يكن الأمير عازما على الاستراحة الآن، فابتسم أسامة قائلا: أقسم بالله أن ضعف الشيخوخة قد فارقنى الآن، لأن حديث العلماء يمدنى بنشاط حىّ، ولو عزمتم على الخروج الآن لعاودنى الضعف! لقد تحدثتم عن أنجع وسائل التربية الحربية للنشء المجاهد، وأنا أقول إن تجربتنا فى حصن شيزر قد أعطت مثالا للفروسية المتيقظة، فإن الحصن المشيد، كان فى أيدى الروم، وقد انتزعه جدى ببسالة نادرة، إذ جمع آل منقذ، وكوّن منهم جيشا هاجم الروم فى غسق الليل، وأدار المعركة حتى أجبرهم على الجلاء بشروط تقدموا بها فكانت موضع التنفيذ، ومنذ حللنا الحصن، والروم طامعون فى استرداده، والاسماعيلية كذلك يرغبون أن يكون مأوى أمينا لمكايدهم، وفرنجة أوروبا يهجمون علينا المرة بعد المرة فيرتدون خائبين، فى هذا الموقف المتأزم أمر جدى ووالدى من بعده، أن يكون كل فرد من أفراد الحصن بطلا يحارب فى ميدان، لا يفارق سلاحه فى مشهد أو مغيب، فإذا فاجأنا الخطر تقدم

الشيوخ والشبان والأطفال، حتى نساء آل منقذ كان لهن دورهن، فتنشأ المعركة، ويدور القتال متكررا عدة مرات فى العام الواحد، بل فى الشهر الواحد أحيانا، ولكن التدريب الحربى بالحصن لا ينقطع، والعبيد كالسادة أبطال يعرفون واجبهم فى الدفاع، وأقول أبطال، لأن تقاليد أسرتنا لم تكن لتفرق بين سيد وعبد، مادام كل إنسان يؤدى دوره، وقد مكث الحصن فى أيدى آل منقذ، ولم يذهب به، غير الزلزال وهو مالا حيلة لنا فيه!

قال ابن عساكر: نعرف هذا ولا ننكره، وقد دونت بعض وقائع آل منقذ فى صحفى التى أكتبها عن الأعلام من الأبطال، ومواقف آل منقذ ذائعة تتردد!

الحرب سجال:

فقال أسامة من حقى أن أقول لكم إن الحرب سجال، وأننا كنا نلقى الصليبيين خارج الحصن فننتصر ونهزم، ولفرسانهم بطولة لا تنكر، إذ أن أظهر خصائصهم الشجاعة! وقد كنا ذات مرة ثمانية من الفرسان فغلبنا صليبى واحد، أذكر هذا ليعرف الناس أن الهزيمة أمر محتمل، وأنها لن تكون هزيمة إذا عوجلت بالرد السريع.

قال العماد: أدهش كثيرا حين أسمع أن ثمانية من أبطال آل منقذ، قد غلبهم صليبى واحد، فكيف كان كذلك!

قال أسامة: إذا كنت تصدقنى فى أنباء النصر، فيجب أن تصدقنى فى أنباء الهزيمة، ومؤرخوا العرب، وأنتم فى طليعتهم يعرفون للشجاع منهم دوره، وقد سجلوه فى حيدة وإنصاف! بل منهم من سجل مواقف البطولة للمحاربات من الصليبيات، كما سجلوا بطولات بناتنا ونسائنا، لأن التاريخ تاريخ!

فرد ابن عساكر: أعرف عن إحدى الصليبيات قصة عجيبة، كان والد الأمير أسامة أحد أبطالها، فقد وقع فى أسره جماعة من الصليبيات، فيهن فتاة بارعة الجمال، فقال لقهرمانة داره، أدخلى هذه الحمّام، وأصلحى كسوتها، لأنها ستسافر هدية لصديق أمير، فلما أخذت الفتاة زينتها بعث بها إلى الأمير شهاب الدين صاحب قلعة جعبر، ففرح بها كثيرا، واتخذها زوجة له، وولدت له عدة أمراء، منهم ولده بدران الذى جعله وليا لعهده، وتولى بدران شئون البلدة، وكان أميرها الحاكم الناهى، وأمه صاحبة الكلمة عليه، ولكن عواطفها الصليبية كانت تعتادها فتتغص عليها ماهى فيه من نعيم وجاه، ثم واعدت نفرا من أهل ملتها، وتدلت من القلعة فى الظلام بحبل متين، ومضوا بها إلى بلدة سروج، وهى يومئذ مع الإفرنج، فتزوجت بإسكاف إفرنجى لا يملك قوت يومه دون صعوبة، وابنها بدران بن الأمير شهاب الدين حاكم قلعة جعبر!

قال أسامة ذكرتنى هذه القصة بقصة امرأة ذات أريحية وحماسة دينية، فقد كان أحد من كتب الله عليهم الشقاوة من المسلمين، يؤجر نفسه خادما لتوفيق الإفرنجى صاحب كفر طاب حيث يمكر بالمسلمين ويسوقهم إلى الحتف على يد هذا الطاغية بالخديعة والاحتيال، فكانت امرأته تضيق بما يصنع، فلما طفح بها الكيل أحضرت أخاها وأخفته فى المنزل وحين جاء الليل قامت معه، وذبحا الخائن وهربا تحت ستار الليل إلى قلعة شيزر، وحين جاءت إلينا ناقشتها فيما صنعت بزوجها، فقالت ليس زوجى وهو يقتل المسلمين، ويخدم الكفار، هو فى النار، وأنا فى الجنة بإذن الله!

وحادثة أخرى أرويها وقد شاهدتها مشاهدة العيان، حيث قدم جماعة من الفرنجة إلى حصن شيزر فى غيبتنا، وكانوا ما بين سبعمائة وثمانمائة من الرجال والنساء، فاحتلوا الحصن، وكنا جميعا فى قتال العدو على بعد كبير، وبقيت بعض النساء منا، فكانت إحداهن وهى التى تسمى (نضرة) تعمل الحيلة، فتفتح باب منزلها، وتشير إلى صليبى فيأتى فرحا، ظانا أنها اختارته، فإذا جاز عتبة البيت أوصدت الباب وراءه وعاجلته بالسيف، ثم استدعت غيره، فاجتمع لديها فى هذه الليلة عدة جثث لقيت الحتف بتدبيرها، ثم عدنا فى

منتصف الليل ودارت الحرب بيننا وبينهم، فكانوا هم الخاسرين، إذ قتل من قتل، وفر من فرّ فى ذعر شديد، وكانت خيلنا تعثر بجثث القتلى فى الظلام حتى وصلت الدماء إلى ما فوق الأرجل.

أخلاق الفرنج:

قال ابن عساكر: نسينا أن نتحدث عن أخلاق الفرنج، وعلاقتهم بأزواجهم، وقد قرأت للأمير فى بعض كتبه طرائف من هذا الباب!

فقال أسامة: إذا كنت قرأت فتذكر، وأساعدك بالتكملة إن اسطعت!

فرد ابن عساكر: قرأت ما قلته عن فقد الغيرة، إذ قد يسير الرجل مع زوجته، فيقابلهما إفرنجى يعرفهما، فيظل يحدث الزوجة وحدها قرابة الساعة، والزوج ساكت لا يتكلم، ثم يطول الوقت، فيسرع الزوج بالرحيل، ويقول لزوجته سأسبقك إلى المنزل، فتعالى بعد فراغ الحديث، ولا يرى فى ذلك ما يعاب.

فابتسم العماد الأصفهانى، وقال: قرأت للأمير ماهو أطرف! إذ تحدث عن أمر شاهده بنفسه، فقال إنى كنت فى نابلس أنزل دارا لها عدة نوافذ، بحيث أطل فأجد دور الفرنجة أمامى، فجاءنى خادمى يروى لنا قصة طريفة وقعت فى البيت المقابل، إذ دخل بعض أصحابه فرأى زوجته نائمة على الفراش وبجانبها صليبى غريب عنها، فقال بهدوء للرجل: من أدخلك إلى بيتى، فقال: كنت متعبا وجئت لأستريح، فقال ومن صعد بك إلى الفراش، فرد عليه: رأيته وقد اشتقت للنوم فاستلقيت عليه، قال وكيف تنام جوار امرأتى، فقال: وجدتها نائمة أأطردها من فراشها، نامت ونمت! فقال له: لا تعد إلى ذلك مرة أخرى. وإذا فعلت تخاصمت أنا وأنت، وانتهى النقاش بما قال الزوج! أما الإفرنجى الذى صحب زوجته إلى الحمام ليحلق لها الحجام (شعر العانة) فأمره معروف! والحديث فى هذا الوادى لا ينقطع، فلنتركه إلى سواه.

قال الحافظ المقدسى، أطلنا الحديث يا قوم، ومن حق الأمير أن يستريح، فقد أتينا لنطمئن ونسير، ولم نجئ لنتعب الأمير بالسهر، وهو قريب عهد بالطبيب.

فقال أسامة، ماذا تقول يارجل؟ والله إن العافية دبّت إلىّ منذ أخذنا نتسامر، وكثيرا ما جاش الكلام بخاطرى، عقب كل لفظ تتفضلون بقوله ولكنى آثرت الاستماع لأغنم.

فرد الحافظ، ومادام الأمير - عافاه الله - مستعدا للحديث، فكلنا آذان!

مكارم الأخلاق:

فقال أسامة، لندع فضول اللغو عن النساء، ولنتحدث عن المكارم، فالله يعلم أنى أقدر المروءة حيث كانت، وأهيم بمكارم الأخلاق حيث تبدو، وسأتحدث عن طرفة خلقيّة سمعتها ممّن وقعت له أحداثها، فقد حدثنى أحد ساكنى الطور أثناء إقامتى به، قال: كنت أقوم بالصيد فى الصحراء، وتباعدت غير متئد، فوقعت فى يد جماعة من الفرنجة، فأخذونى إلى موضع يسمى بيت جبريل، وسجنونى به، وقالوا إن هيئتك تدل على اليسار، ولن نفرج عنك حتى تفدى نفسك بألفى دينار، قلت: أنا ابن والى المدينة، وفى طوقه أن يدفع ما تريدون إذا أطلقتمونى، وبعثتم معى من يقبض الفداء، فاستهزءوا بى، وقالوا أأنت مجنون أم نحن؟ لابد أن يأتى الفداء قبل أن تطلق، وبعد يومين جاء إلى السجن بدوىّ وقع فى أيديهم، ففرضوا عليه خمسين دينارا، وليس معه شىء، فقال لى بعد أيام. أستطيع أن أخلصك لو ضمنتنى بالخمسين، فخلصنى حتى أخلصك، فقلت، وماذا علىّ، وقدمت إلى السجان فقلت له أطلقوا البدوى، ويكون فدائى ألفين وخمسين، ليذهب إلى والدى فيأتى بالمبلغ جميعه وأطلقه، فطمع السجان وأطلق البدوى، ومضى شهر طويل لم يأتنى شىء عن أبى، فيئست، وفى ليلة من الليالى رأيت ثقبا يفتح علىّ من السجن، وقد أطل البدوى برأسه وهو يقول: ارفع معى الطوب، لتهرب قبل الفجر، فعاونته، وانطلقت من الجدار

فقال لى: والله إنى أحفر هذا السرب من قرية خربة منذ أطلقتنى بضمانك، وظللت أحفر حتى وصلت إليك، ثم صحبنى حتى أوصلنى إلى منزلى، وجعلت لا أدرى أأعجب من طول صبره ولطف حيلته أم من حسن وفائه، وصدق عهده، وقد دعوته للبقاء معى فقال، لا أعيش إلا فى البادية مع أهلى، وتركنى دون أن يقبل دينارا واحدا، إذ رأى ذلك نقصا فى مروءته!

حكى الأمير أسامة قصته، وعيناه تبرقان، ووجهه يتألق بالبشر، فقال العماد: الحمد لله لقد رجعت إلى شبابك ياسيدى إذ بدت علائم العافية عليك بما نحمد الله عليه!

قال أسامة: وأنا أحسّ بذلك، وسأروى لكم مروءة نادرة بطلها شاب نصرانى يسمى يونان حيث أرسلت ذات عام مملوكا لى فى شغل مهم إلى دمشق، وفى الطريق عرف شابا نصرانيا فاكترى منه بغلا ليمضى به إلى طرابلس، فسار معه الشاب إلى المدينة، وأخذ أجره ثم رجع بالحيوان إلى مقره، وانتظم المملوك فى القافلة المسلمة الذاهبة إلى دمشق، فلقيهم شاب عربى وحذرهم من المسير لوجود عصابة تقطع الطريق من الفرنجة، وهى مدججة بالرماح والحراب، قال المملوك فوقفت القافلة فى ارتباك، لا يدرى أناسها ما يعملون، وقد يعودون من حيث جاءوا فتتعقبهم العصابة، وفى هذه الحيرة رأينا شابا يتجه إلى القافلة مع فريق من قومه، فنادى باسمى، فتوجهت إليه فى ذعر، فقال: علمت أن عصابة ستقطع الطريق، ولى معها عهد، وسأحميكم جميعا، ثم تقدم القافلة، فهجمت العصابة بعد مسير ساعة، فتصدى يونان لها، وقال: هى فى حمايتى، وأنا أحفظ عهدكم فلابد أن تحفظوا عهدى، فتراجعوا على أعقابهم، وعانقنى يونان، ثم ارتحل، كل من بالقافلة يتوجهون إلىّ بالشكر، ويقولون نجونا بك! نجونا بك! قال العماد، لقد اتسعت الليلة لذكر مفارقات كثيرة، فشاب نصرانى ينقذ قافلة مسلمة من الهلاك، ومسلم يستأجره أمير صليبى ليقتل المسلمين بالخداع، فتسخط امرأته، وتغتاله فى جنح الظلام! وبدوى يحفر فى الأرض شهرا طويلا لينقذ سجينا وفاء لعهد قطعه! وإفرنجية تترك زوجها الأمير لتتزوج بإسكاف لا يجد قوت يومه! أليست هذه غرائب!

قال أسامة: وغريبة الغرائب أن يصر إنسان أعمى على أن يركب الفرس، ويأخذ السيف، ويندفع إلى قتال الأعداء، فابتسم الحافظ المقدسى، وقال هات هذه الطرفة لتكون مسك الختام، فقال الأمير:

كان بالقدس شاب عربى متين القوى، شديد البأس، فأخذ يدعى أن أمه متزوجة من إفرنجى، ويصاحب الصليبى إلى منزله فيقتله، ويجرده من سيفه وماله، وقد ظهر أمره ظنا لا حقيقة، إذ تحيّر الفرنجة فيمن يقوم باغتيال رجالهم واتهموا الشاب بمزاولة الجرائم دون دليل، وقد تكاثروا عليه، وكان لديهم جبٌّ ملىء بالماء فرموه به، وقالوا إن كان بريئا خلص ونجا، أو متهما أراحنا الله منه! وتلك عادتهم مع كثير من المتهمين! ولكن الشاب قد تعلق بما أنقذه، وأخذ يصعد فى الظلام فاصطدم بعمود حديدى ذهب بعينيه، فقالوا: لقد أخذت جزاءك، ثم سار الشاب الضرير إلى دمشق متجها إلى الأمير معين الدين، فعرض عليه قصته، فقال له: سنأمر بمن يعلمك القرآن، وتعيش مع العميان، فبكى الأعمى، وقال، هاتوا لى فرسا، واتركونى، وسأشترك معكم فى القتال، ناظرا بنور الله! وتعجب معين الدين مما سمع، ولكنه حقق رغبة الشاب، فكان يهجم بفرسه، ومعه السيف، ثم يعود مرتاح النفس متشوقا للنضال.

قال العماد، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب! لقد أمتعنا الأمير بما يسجل ويروى على الأحقاب وسنكرر هذه الزيارة لنستفيد!

فرد أسامة، تتكرر دائما فلا يتغير لها ميعاد! بإذن الله.

قال الجميع بإذن الله، وخفوا منصرفين.

الطريق إلى محمد صلى الله عليه وسلم

للكاتب الأمريكى كارل إيرنست

فتحى الإبيارى

●● كلما ازداد الضعف فى الأمة الإسلامية والعربية، انفتحت شهية الموتورين المتآمرين على الإسلام، وعلى نبع الحب فى هذا الوجود سيدنا محمد ﷺ.. الداعى إلى عبادة الله الواحد الأحد، دين الحب والسلام، وكان الرسول الحبيب المصطفى ﷺ، يخشى أن يصل المسلمون إلى حد حب الدنيا وكراهية الموت!!

وعندما انفجرت أحداث الحادى عشر من سبتمبر (المشبوهة) كانت فرصة العمر للموتورين والحاقدين على الرسول الكريم ﷺ وعلى الإسلام، واندفعت القوى الباغية لتدك أرض العراق، وتعطى الضوء الأخضر لسحق شعب فلسطين.. بعد أن دكت الأراضى الأفغانية، وإزاء هذه الأحداث هرع الآلاف من الأمريكيين إلى البحث عن حقيقة الإسلام، بعد أن ألصقت الأصابع الخفية كلمة الارهاب للإسلام!!

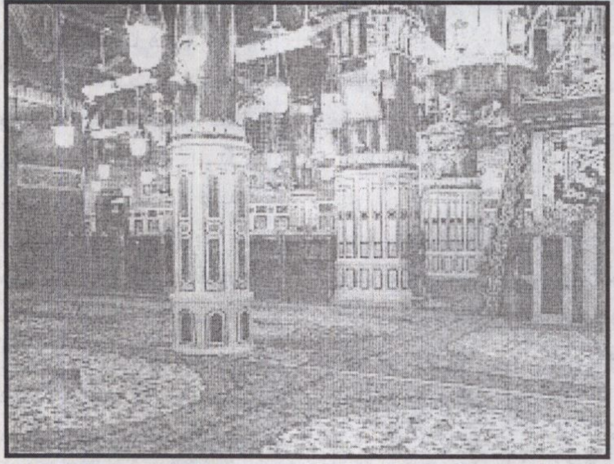

ومن هؤلاء الأمريكان، انبرى كاتب أمريكى للبحث عن حقيقة الإسلام، وأصدر كتابا مهما أخيرا بعنوان **«الطريق إلى محمد.. إعادة التفكير فى الإسلام فى العالم المعاصر»**.. وهذا الكاتب هو «كارل إيرنست» وهو كاتب أمريكى متخصص فى الدراسات الدينية.

البحث عن حقيقة الإسلام

وتقول الدكتورة سهام الفريح من جامعة الكويت: «فى ظل هذا التهويل والصخب ضد الإسلام، ترتفع أصوات تأتينا من أقصى الغرب، ومن الولايات المتحدة تحديدا، تتسم بالموضوعية والاتزان، بعد أن سعت جاهدة إلى فهم هذا الدين فهما حقيقيا بعيدا عن الهوى، والنزعات المغرضة، بإجراء الدراسات الرزينة تبذل لأجلها السنين الطويلة فى البحث والتقصى فى سبيل كشف الحقيقة حول الإسلام، من خلال معرفة وفهم كل ما يتصل بالإسلام، وبأهله، فى حياتهم من جوانب متعددة.

وتقول الدكتورة سهام الفريح.. كنا نقرأ لهذه الأصوات بعض أعمالها، حتى التقيت بأحدهم فى أحد المؤتمرات فى إحدى الجامعات الأمريكية، وهو «كارل إيرنست»، وكان جلّ اهتماماته فى دراساته حول الدين الإسلامى، فقد قرأ القرآن الكريم،

والسنَّة الشريفة، واطلع على قدر كبير من المصادر وكتب التراث التى أعانته على فهم هذه العقيدة فهما صحيحا».

وقد أشار «إيرنست» إلى وجود دراسات عديدة حول الإسلام إلا أن معظمها لم يكن متاحا بشكل مناسب للقارئ الغربى، وتحديدا فى الولايات المتحدة الأمريكية.

لذا أراد المؤلف كما أشار فى مقدمته التعريف بالدين الإسلامى. وإلقاء الأضواء على جوانبه المختلفة، التى تهدف إلى إنقاذ الإنسان من الوثنية، وإلى الترابط الإنسانى بين الأخوة، وأصحاب العقائد الأخرى تحقيقا لما جاء ذكره فى القرآن الكريم.. **﴿لكم دينكم ولى دين﴾**، وأن يبتعد الإنسان عن الخمر والميسر، وأن يكون عونا لأخيه، ومساعدا له فى حل أزماته ومشاكله، وأن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأن الإسلام يرتكز على أساس الحب والخير للإنسانية.

وأتذكر أننى دعوت زملائى من الأساتذة والباحثين الكبار فى لجنة السيرة والتاريخ، عندما تم غزو العراق واستسلام بغداد فى صورة غريبة، سيتم الكشف عنها فى السنوات القادمة، دعوت زملائى إلى مواجهة الحملات الشرسة ضد الإسلام، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام فى أسلوب علمى، ومنطقى، ووافق الزملاء وصدرت هذه الدراسات القصيرة فى كتاب «نور الإسلام.. ومؤامرات الموتورين»، وتم توزيعه مجانا، وتم إرساله إلى أمريكا، وألمانيا، وهولندا، لترجمة فصول الكتاب، وتكون بين أيدى الآلاف من الذين يبحثون عن حقيقة الإسلام. وهناك محاولة لترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية من جهات مسئولة.

محمد ﷺ خاتم الأنبياء:

وكم كانت فرحتنا بصدور كتاب كارل إيرنست، وهو كاتب وباحث وأستاذ أكاديمى أمريكى يكشف حقيقة الإسلام، فى هذه الدراسة العميقة، مرشدا الآخرين للسير فى طريق محمد ﷺ خاتم الأنبياء.

وقد كشف لنا «إيرنست» المعوقات التى تواجه المهتمين بالدراسات الإسلامية من الغربيين، وهو يؤكد حقيقة هى أن الدارس المتعمق فى القرآن الكريم يجد أن هؤلاء المتطرفين الموتورين لهم دور كبير فى تشويه صورة الإسلام.

وكان خلال إعداده لهذا الكتاب يسعى إلى أن يعرض للأمريكيين ما يبين الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين، ومنها ما أشار إليه فى ورشة العمل التى أقيمت فى عام ١٩٩٢م، فى إحدى الجامعات الأمريكية، وكيف أشار فى كثير من المناسبات إلى الكشف عن مدنية المسلمين فى عيون غير المسلمين.

وأشار «كارل إيرنست» إلى أنه سعى جاهدا إلى أن يضم كتابه بشكل يمنح المطلعين بأنفسهم إقامة علاقة جديدة بين الغربيين وموضوع الإسلام بواسطة نقد مستقل!

وذكر «إيرنست» أنه قد اعتمد على السياق التاريخى فى الفرز بين ماهو دينى وماهو اجتماعى واقتصادى ويسعى أيضا إلى فض التداخل بين الدين والتاريخ لمواجهة المعالجة الإعلامية، وقال إن المعرفة بالتاريخ تحرر العقل.

وتعمد التصريح بأن ما يذكره ليس تبريرا للدفاع عن الدين الإسلامى، حين قال: أنا لست مسلما، وإنما هى حقيقة أردت الكشف عنها لأن المسلمين أقوام لهم تاريخ وعقيدة، لذا أدعو إلى التعامل معهم من هذه المنطلقات.

وفى الفصل الثالث من الكتاب، تناول «كارل إيرنست» شخصية الرسول ﷺ بعنوان «خاتم الأنبياء النبى محمد ﷺ» يؤكد فيه (إيرنست) على ضرورة الاستناد إلى منهج شمولى فى دراسة الجوانب المتعددة لحياة النبى ﷺ، إذ لابد من النظر إلى المقومات البيئية والعقائدية والثقافية فى المجتمعات الإسلامية المختلفة، والتى أحاطت شخصية النبى محمد ﷺ بصور متعددة أو متنوعة. وقد تنوعت لتعدد الموروثات الثقافية

والاجتماعية، والعقائدية والجيوسياسية فى هذه المجتمعات.

وقد اهتم «كارل إيرنست» فى هذا الجانب بالسيرة النبوية وأن الاهتمام بحياة محمد ﷺ تجاوز سيرة الحياة إلى مفهوم القدوة. وأن سيرة محمد ﷺ كانت أكثر توثيقا لذا فهى لا تمثل مشكلة حقيقية، حيث تم التوثيق فيها مما جاء فى القرآن الكريم، وكذلك ما سجله الشعر العربى القديم وبعض الفنون الأدبية الأخرى.

وصف الرسول ﷺ:

ومن أمتع ما سجله «كارل إيرنست» الصفات الخلقية لمحمد ﷺ، كما جاء فى حديث أم معبد.. لم يكن ممتلئ الجسم، وكان له وجه أبيض دائرى تزينه عينان نجلاوان برموش طويلة، فكان وجهه كالبدر المكتمل. وجمال الهيئة، وعظمة الخلق، وعذوبة الحديث، وفى لحيته كثافة، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، له رفقاء يحفون به، وإن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، لا عابس ولا ضاحك.

وقد نقل المؤلف ذلك من حديث أم معبد لزوجها عندما كان الرسول ﷺ فى هجرته إلى يثرب، ومعه رفاقه، نقل المؤلف ذلك من المصادر التى سجلت ذلك، كقولها: **«أنا رأيت رجلا تقيا وسيما»..**

ثم انتقل فى هذا الفصل الثالث إلى الحديث عن مفهوم خاتم الأنبياء. وتناول أيضا اختلاف نظرات المجتمعات الإسلامية إلى مناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف. والتى قد قام على شكل احتفالات شعبية موسعة كما فى دول مثل مصر وتركيا، أو أن تكون النظرة إلى هذه الاحتفالات كأنها بدعة محدثة فى الدين والتى يجب اجتنابها، ويقدم المؤلف مجموعة من البراهين الدالة على مظاهر هذا التباين أو الاختلاف والتى هى نتيجة الرؤى المختلفة نحو شخصية محمد ﷺ، والتى جاء الاختلاف فى رسم شخصيته طبقا لاختلاف التيارات الثقافية والإطار الجغرافى لها.

فبينما أبدع مسلموا تركيا العثمانية فى تسخير فن الكتابة كفن يعبر تعبيرا رمزيا لنواح فى سيرة محمد ﷺ اضافة إلى ابتداع بعض الزخارف الفنية.

بالمقابل فإن التيارات الإصلاحية تعتبر هذه الإشارات غريبة على طبيعة الدين الإسلامى.

وتناول «كارل إيرنست» أيضا الأدوار العديدة التى تميز حياة النبى محمد ﷺ، فهو رسول الله الكريم، والقائد الروحى، والقائد السياسى، بالإضافة إلى كونه نموذجا وقدوة.. كزوج، وكأب، ويختم المؤلف ذلك الفصل بقوله، إن محمدا ﷺ قد أسس لأمته منهجا دينيا ودنيويا ظل محفورا فى تاريخ الإنسانية.

القرآن الكريم.. كتاب الله

وفى نفس الفصل الثالث، عالج «كارل إيرنست» بعض التصورات الخاطئة التى يكنها الغرب نحو القرآن الكريم، ويعقد مقارنة بين الكتب السماوية الأخرى (التوراة والإنجيل) وبين القرآن الكريم، فيذكر أن التوراة والإنجيل جمعا ورتبا فى أمكنة وأزمنة متباعدة، وكتبا بأيد متعددة، بينما القرآن الكريم الذى نزل على الرسول خلال ٢٣ ثلاثة وعشرين عاما من حياته، كان متجانسا ومتحدا فى أسلوبه وفى موضوعاته.

ولا يغفل «كارل إيرنست» دور الإعلام الغربى فى التركيز على الجانب الأصولى فى المجموعات الإسلامية وتجاهله للتيارات الأخرى المعتدلة والناشطة فى الفكر الإسلامى.

وتعرض أيضا إلى مشكلة الحدود وآثارها. ومشاكل أخرى عرضها فى حيدة علمية، معتمدا على الأحداث والشواهد، والمواقف.

وأتساءل أين المنظمات الإسلامية فى العالم من هذا الكتاب؟ ولماذا لا تقوم بشراء المئات من النسخ، وتوزيعها على مصادر الإعلام الغربى، من صحافة وإذاعة وتليفزيون، وعقد الندوات حوله فى الأندية والمراكز الخاصة، ليعرف الآخر كل شىء عن سماحة الإسلام، وأن محمدا ﷺ رسول الحب والإخاء، والسلام، وأن دعوته كانت لإنقاذ الإنسانية من براثن الوثنية، والموتورين الحاقدين، عبدة الشيطان الرجيم.

في رحاب الهجرة النبوية الشريفة

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾

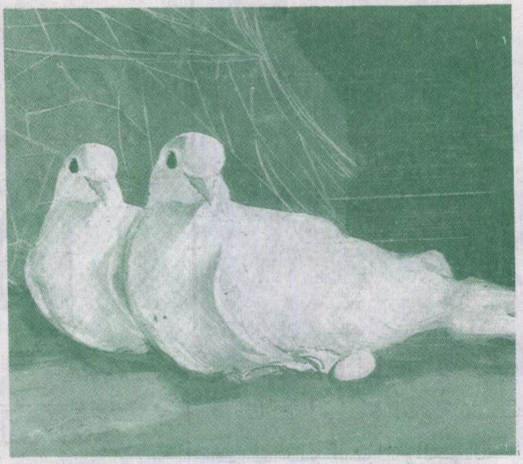

- الهجرة.. العيد الإسلامى الأكبر
- من وحى الهجرة
- دروس من الهجرة
- أم سلمة ذات الهجرتين
- الأرقم بن أبى الأرقم ودار الإسلام الأولى

فى ذكرى الهجرة النبوية

الهجرة
العيد الإسلامى الأكبر

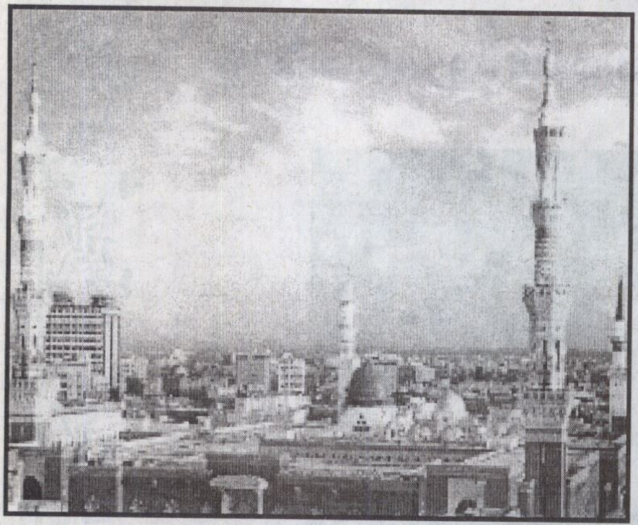

د. محمد عبدالمنعم خفاجى

- ١ -

يستقبل المسلمون فى جميع بقاع الأرض عامهم الهجرى الجديد فرحين مستبشرين، لأنهم إذ يحتفلون به إنما يحتفلون بذكرى مجيدة عزيزة على المؤمنين، ذكرى الهجرة النبوية المباركة التى جعلها الله فاتحة خير للإنسانية والتى خرجت بالإنسانية من ظلمات الجهل إلى نور الهداية، وقضت على الشرك وأهله، فعمت المعرفة، وعز الحق، وتحررت النفوس من ذل العبودية.

وهم إذ يذكرون الهجرة المباركة يذكرون حادثا من أهم الحوادث خطرا فى مغزاه وفى أثره، حادثا تجلت فيه العظمة الخالدة للنبى الأمين، وتجلت صفات الإيثار والصبر والإيمان على المؤمنين الصامدين.

كانت الجزيرة العربية تسودها الأوهام والضلالات، وتتخبط فى دياجير الشرك والجهالة، إلى أن أراد الله بها خيرا. فبعث فيها سيدنا محمد ﷺ بدين الهدى ودين الحق، يدعو الناس إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فأنقذها من ضلالها، وأقالها من عثارها، وهداها سواء السبيل. ولكن على ما جاء به من خير وهدى ونور، لم يلق من قوميه، وعشيرته إلا جحودا ونكرانا، فجاهدهم على غيهم، وكافحهم فى سبيل تحقيق دعوته، واحتمل آذاهم بصبر جميل. ولقد بدأ - عليه الصلاة والسلام - يدعو من الناس من يتوسم فيه الخير سرا، حتى إذا أمر بالجهر جهر بدعوته، وقد استجاب لها نفر قليل ممن أنار الله بصائرهم وشرح صدورهم للإيمان، فأمنوا بما أنزل إليه، وما جاء به من رسالة، ووقفوا إلى جانبه يشدون أزره. أما سواد الناس من قريش فقد عميت بصائرهم، وران على قلوبهم غيهم، فاشتدوا فى الحملة على رسول الله ﷺ، وكادوا له وأسرفوا فى إيذائه.

بسم الله الرحمن الرحيم: **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾** الصف: آية ٨.

وقد كان رسول الله ﷺ يقابل كيد الكائدين، واعتداء المعتدين، وظلم الباغين، بإيمان قوى مكين، فلم يزده أذاهم إلا استمساكا بدعوته، ومنافحة عن عقيدته، حتى إذا عدل المشركون عن الشدة إلى الملاينة، وعن العداوة إلى المصانعة، وبذلوا له الوعود، ومنوه بالأموال والجاه والملك والشرف، أجابهم - صلوات الله وسلامه عليه - بقوله المأثور لعمه أبى طالب: **«والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»**.

ومضت قريش فى جبروتها وغرورها وشركها ومقاومتها لدعوة الإسلام، دين الله المنزل من السماء على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، محمد - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين - ومضى رسول الله فى طريقه، من تبليغ رسالة الله، والدعوة إلى الإسلام دين الله وشريعته إلى الناس أجمعين.

وتعرض الرسول ومن آمن به لتعذيب قريش واضطهادها وفتنتها؛ وامتحن المسلمون امتحانا شديدا، وهم صابرون على - اللأواء - صامدون فى معركة الجهاد فى سبيل الله.

ولم يَنْثَنِ عزم رسول الله، ولا عزم صحابته فى أيَّة لحظة من اللحظات، عن الدعوة للرسالة العظمى، والتبليغ لشريعة الإسلام.

جهاد متواصل، وسعى دائب، لدعوة الناس إلى ناموس الله وشرعه ودينه الحكيم.

ويقول الله - عز وجل - فى شأن قريش وموقفها من رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - فى كتابه الكريم: **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا* أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا* أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا* أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا﴾** الإسراء: الآيات ٩٠ - ٩٣.

بدأ الإسلام بعد الهجرة يملأ الآفاق ويضىء الدنيا وأحاطت بالمسلمين العزة والفوز المبين

وفى سورة الفرقان يقول - عز وجل - عن قريش ومشركى مكة: **﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا* أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾** الفرقان: الآيتان ٧، ٨.

وهكذا بلغت قريش المدى فى الصد عن دين الله، ومقاومة دعوة رسول الله.

- ٢ -

واجتمعت قريش ذات يوم عند ظهر الكعبة بعد غروب الشمس، وهؤلاء هم زعماؤها الذين كفروا بدين الله: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارس، وأبوالبخترى بن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بُن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبدالله بن أبى أمية، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف.

فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه، حتى تعذروا فيه. فبعثوا إليه: إن أشراف قريش قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم. فجاءهم رسول الله، وهو يظن أن قد بدا لهم فى الدين رأى جديد، وكان عليهم حريصا، يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، وجلس إليهم، فقالوا له: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك: لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة فما بقى أمر قبيح إلا وقد جئته فبما بيننا وبينك.

فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا.

وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا. وإن كنت إنما تريد به ملكا ملكناك علينا.. وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك بذلنا لك من أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

قال لهم رسول الله ﷺ: **«ما بى تقولون، ما جئت بما جئتكم به، اطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا، وأنزل على الكتاب، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربى، ونصحت لكم، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وأن تردوه على اصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بينى وبينكم».**

قالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا، ولا أقل ماء، ولا أشد عيشا منا، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهارا لنا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى، فإنه كان شيخ صدق، فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولا كما تقول. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه علىَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم.

تعرض الرسول ﷺ ومن آمن به لتعذيب قريش واضطهادها وامتحن المسلمون وهم صامدون فى معركة الجهاد

قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جنات وقصورا، وكنوزا من ذهب وفضة، يغنيك بها عما نراك تبتغى، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: **«ما أنا بفاعل، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا، وما بعثت بهذا، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه علىَّ أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بينى وبينكم»**، قالوا: فاسقط علينا كسفا كما زعمت أن ربك لو شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل. فقال لهم

رسول الله ﷺ: **«ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل»**.

قالوا: يا محمد، أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ماهو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئت به، إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا - والله - لا نؤمن بالرحمن أبدا؛ فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا.

-٣-

هذه هى عقلية قريش وكبرياؤها، وعنادها وكفرها برسالة الله.

ولما اشتد بالمسلمين الكرب. وعظمت عليهم البلية، أمرهم رسول الله بوحى من الله بالهجرة بعدا عن إيذاء قريش ومن تابعها، ولكن قريشا أبى عليها شيطانها إلا أن تزداد أذى لمحمد، ولم تلن قريش لدعوة الإيمان؟ ولم تكف عن الجهر بسب محمد وأصحابه وإيذائهم، وانتهى بها الأمر إلى أن تجمع على قتل رسول الله وزين لهم شيطانهم أن فى ذلك إطفاء لنور الله، الذى آن له أن يشرق على الكون فيضيئه، وبيتوا قتل الرسول ﷺ فى ليلة حددوها بيد عدد من شباب قريش كى يتفرق دمه الطاهر فى القبائل، فتحتار قبيلته فى الثأر له، لأنها لا تقوى على معاداة القبائل كلها، إن هى شنت الحرب عليهم جميعا، ولا هى تعرف أية قبيلة قتلت الرسول فتثأر له منها؛ وكان الرسول ﷺ قد أحيط بما اعتزمه المتآمرون، إذ أطلعه الله على مكرهم، وعلى الليلة التى حددوها لتنفيذ جرمهم، فقابل الرسول ذلك الفضل من الله بشكر عميق، وإيمان كامل، وقلب سليم، لا ينفذ إليه فزع ولا جزع، ونفس مطمئنة مهيأة لإبلاغ الرسالة، حتى إذا التف المتآمرون بدار الرسول ﷺ، وراحوا يتباهون بما آلتووه ويتفاخرون بما عسى أن تضفيه عليهم قبائلهم من المدح والثناء لقاء شنيع صنعهم، إذ بالرسول ﷺ يخرج من داره، فيغشيهم الله، فلا يبصرون، وأحاطه الله برعايته، وشمله بعنايته ونصره نصرا كريما، وخذل المشركين ومن وراءهم، وباء المتآمرون على قتل رسول الله بالخزى والخيبة والفشل الشنيع، وحمى الله رسوله من بطش المشركين وعدوان الجبابرة المتآمرين، والله أكبر من كل معتد أثيم، وطاغية زنيم.

كان رسول الله ﷺ يقابل كيد الكائدين وظلم الباغين بإيمان قوى مكين استمساكا بدعوته ومنافحة عن عقيدته

ويمضى رسول الله ﷺ إلى منزل أبى بكر الصديق رضي الله عنه، وكان قد تواعدا على اللقاء به، بعد أن أذن الله لرسوله بالهجرة إلى يثرب، فرافقه الصديق فى يوم أبلج أغر، ويصبح المتآمرون ويدخلون دار الرسول يبغون تنفيذ ما بيتوا النية عليه، فلا يجدون فى مضجعه إلا عليا - كرم الله وجهه - متشحا رداءه، معرضا حياته للخطر فى سبيل صاحب الدعوة، وحامل الرسالة، فيقيه الله مكر الماكرين، ويحفظ حياته وحياة الرسول الأمين، ليتم نعمته على العالمين. وكان الرسول ﷺ ورفيقه الصديق قد رتبا أمر الهجرة، وأعدا كل وسائل النجاح والنجاة لهما.

وما كاد الرسول ﷺ يخرج من مكة مع الصديق رضي الله عنه، ميممين شطر غار ثور، حتى أحاط الصديق بالرسول، فيسبقه مرة ويمشى خلفه مرة، ويسير عن يمينه تارة، وعن يساره أخرى، فلما استوضحه

الرسول جلية الأمر، أجابه: أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك، لا آمن عليك، فلما بلغا الغار تقدم أبو بكر فاستبرأه، ودخل الرسول ﷺ.

أقام الرسول والصديق فى الغار أياما.. جدت قريش فيها فى طلبه والبحث عنه، وبذلت غاية جهدها للحاق به؛ ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم﴾** التوبة: آية ٤٠.

-٥-

جد المشركون فى متابعة الرسول والصديق، فلم يفوزوا بما أرادوا، بل رجعوا على أعقابهم خاسئين، وانقلبوا إلى أهلهم خاسرين، وأتم الله نعمته على رسوله ﷺ، ووصل هو وصاحبه إلى المدينة المنورة، فحف المسلمون لاستقبال الرسول ﷺ، وكبروا فرحا بقدومه، وحيوه تحية النبوة. قال البراء: ما رأيت الناس فرحوا بشىء كفرحهم برسول الله يوم جاء المدينة. وقال أنس: شهدته يوم دخل المدينة، فما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا.

-٦-

وتمت الهجرة، ونصر الله دينه ورسوله، وأعز كلمة الحق والهدى والنور، وبدأ الإسلام بعد الهجرة يملأ الأفاق، ويضىء الدنيا، ويعم الشعاب والبوادى والحواضر. وتمت كلمة الله، وقامت دولة الإيمان، وارتفعت راية الإسلام، وأحاطت بالمسلمين العزة والعلية والفوز المبين.

-٧-

هذا هو صدق إيمان الرسول، ومضاء عزمه، وقوة احتماله فى سبيل الدعوة إلى الحق؛ وهذا هو وفاء صحبه، وتفانيهم فى نصره. فإذا أحيينا نحن المسلمين ذكرى الهجرة المحمدية، فإنما نتمثل الرسول ﷺ، فى قوة إيمانه، ونفاذ بصيرته، ومبلغ وفائه فى سبيل نشر الدعوة لدين الله، فقد أعز الله المسلمين بهجرة الرسول ﷺ وهجرة المؤمنين بشريعته من مكة إلى المدينة، فألف بين قلوبهم، فكانوا وحدة قوية متماسكة، وجبهة متراصة، أرعبت المشركين فى مكة، وطوحت بأطماع اليهود فى يثرب، ودخلت قبيلتا الأوس والخزرج فى دين الله، فتآخوا، واتحدت كلمتهم، وزال ما كان بينهم من عداء سابق دام عشرات السنين، وساهموا فى إعلاء راية الإسلام، ونشر لوائه، ثم قضى المسلمون على الدس والغدر والفساد والكيد والخبث والنفاق، وحاربوا اليهود وغلبوهم على أمرهم، وأجلوهم من المدينة وما جاورها من القرى، وتتابع الوحى الإلهى على الرسول الكريم - صلوات الله عليه - حتى شملت شريعة الله جميع مظاهر الحياة: من العبادات والمعاملات، ومحاسن الأخلاق والآداب، ونظام الأسرة والقضاء والمواريث، والحروب والمعاهدات، وغير ذلك من كل ما يكفل للمسلمين - إذا عملوا به - حياة سعيدة فى الدنيا والآخرة.

واليوم يقبل عيد الهجرة والمؤمنون فى شرف الجهاد من أجل الدين المجيد، دين الهدى والحق والإنسانية، ومنَّ الله جلت قدرته على المؤمنين فوحد قلوبهم، وجمع كلمتهم على الدفاع عن كلمة الله، وسيكتب لهم بإذنه تعالى النصر المؤزر، والفوز المبين، بفضل تآخيهم وتماسكهم، ومهما طالت المحنة فإن الله ناصر دينه، وشريعته، شريعة الهدى والحق والسلام.

من وحى الهجرة النبوية

فضيلة الشيخ
محمد عبد المجيد زيدان

إن فى تاريخ الأمم والجماعات أعمالا ظاهرة خالدة لا يقتصر أمرها على بعد النظر أو عبقرية البشر أو الوسائل الأرضية الأخرى بل تؤيدها قوة السماء وتلحظها عناية الله وتحفها ملائكة الرحمة وفى مقدمة هذه الأحداث الخالدة حادث الهجرة النبوية.

إذ فيه نرى الحق الأعزل يخلص كريما من بين مخالب الباطل ونرى النبوة الراشدة تعلو على السفاهة الكافرة ونرى القلة المستضعفة تفوز وتتغلب على الكثرة المستبدة الطاغية وليس هذا بالطبع من عمل الإنسان ولكنه من تدبير الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

وذو العقل الرشيد والقلب البصير هو الذى يستفيد من الأحداث والوقائع ليصل حاضره بماضيه ويقف على سنن الله تعالى فى نصر الحق ومقاومة الباطل فيدرك الحقائق ويميز بين الأمور ويوازن بين الأضداد ويتبصر ويتدبر ويحسن الادكار والاعتبار.

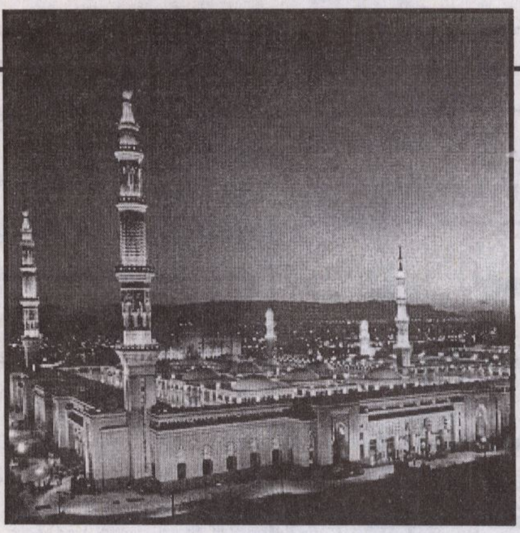

ومن أبرز حوادث الهجرة النبوية حادث غار ثور الذى لبث فيه الرسول ﷺ وصديقه الحميم أبو بكر الصديق ثلاث ليال فقد دخل هذا الغار وهو مكشوف لا يستره شىء معروف للمشركين غير مجهول أعزل لم يحصن بسلاح مباح لا باب ولا إغلاق ولا حرس ولا حجاب. فماهو إلا أن دخله النبى ﷺ وصاحبه حتى يحصنه الله تحصينا عجيبا تلمح فى تحصينه البرهان على قدرة الله تعالى والدليل القاطع على صدق رسوله الكريم والعبرة البالغة والتأثير الشديد وبتلك المعجزة الباهرة كانت سلامة رسول الله ﷺ بل وسلامة العالم كله حيث سلمت دعوة الحق من كيد الشرك وانتصر الإيمان على جيش الكفر والفساد والخسران.

نعم لقد حصن الله هذا الغار تحصينا تعجز عن مثله آلات الحرب الحديثة حصنه بخط دفاع تخجل منه خطوط الدفاع الحربية وتصغر أمامه وسائل الدفاع فى أشد الدول تسلحا، فتلك الدول لن تأمن على نفسها مع ما قامت به من تحصين

من دروس الهجرة الأخذ بالأسباب وحسن الاستعداد والتسلح بقوة الإيمان

ولاتزال فى خوف دائم وقلق مقيم.

أما نزيل هذا الغار ﷺ فكان فى أمان شامل وسكون وثقة بربه الرحيم الذى أنزل عليه **﴿والله يعصمك من الناس﴾** المائدة: آية ٦٧، وقوله: **﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا..﴾** الطور: آية ٤٨. وقوله: **﴿أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد﴾** الزمر: آية ٣٦، وقوله: **﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم..﴾** المائدة: آية ١١، ولهذا عندما وصل الكفار إلى الغار سمع أبو بكر وقع أقدامهم قال يارسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا أو لأبصرنا فقال له الرسول الكريم ﷺ يأبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، يأبا بكر لا تحزن إن الله معنا.

وصدق الإمام البوصيرى فى قوله:

وقاية الله أغنت عن مضاعفة

من الدروع وعن عال من الإطم

نعم استخفى النبى ﷺ بهذا الغار عن أعين المشركين مع أشد أصحابه تصديقا له وهنا أيضا تنطق الشجاعة وتتجلى الثقة الكاملة بوعد الله له بالحفظ والنصر غار معروف لقريش ليس له باب ولا قفل ولا حرس ولا جند يأوى إليه الرسول ﷺ وهو يعلم أن العرب يقصون الأثر وسيبلغون الغار حتما فهل هناك وسيلة بشرية يمكن بها دفع الشرور والمشركين؟ وهل هناك حيلة تنفع أو عمل ينجى؟ لم يبق إلا نصر سماوى وفتح إلهى ومعجزة ربانية مادامت لا تغنى وسيلة بشرية.

وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم﴾** التوبة: آية ٤٠ وقد كان من جنود الله على باب الغار عنكبوت نسج خيوطه وحمامة باضت وشجرة مال غصنها بمدخل الغار.

ولقد قرأنا عن تحطم الخطوط العسكرية وفرار الجنود ولكن الخط الربانى بغار ثور لم يتحطم بل تحطمت عليه آمال المشركين فى اقتناص رسول الله ﷺ وثبت جند الله وانهزم جند الشيطان ونجا نبى الإسلام وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾**، وهكذا تكون سنن الله تعالى مع أنبيائه ورسله يتداركهم برحمته إذا دقت ساعة الخطر وينجيهم بقدرته إذا نفدت الوسائل ولم تبق حيلة ولا سبيل.

إن من تمام الإعجاز أن ينجى الله نبيه بعنكبوت لا يدفع عن نفسه، فيدفع الله به الشر عن نبيه وبحمامة لا تحمى نفسها فحمى الله بها رسوله، وبفرع شجرة لا يرد كاسره رد الله به قوما أولى قوة وبطش شديد ولكن لا يجوز رد المعجزات إلى نظائرها من مخترعات فمرد المعجزة قدرة الله تعالى الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، نعم المخترعات تزيدنا تصديقا بالمعجزات ولكن لا تشبهها بحال، فالمعجزات من صنع الله تعالى والمخترعات من صنع البشر والمعجزات

ليست على وفق السنن الطبيعية التى يسير عليها الكون بل هى خرق لتلك السنن. أما المخترعات فهى على وفق السنن وطبق قواعد العلم، والمعجزة لا تظهر إلا على يد نبى مرسل. أما الاختراع فيظهر على يد كل من بحث وقارن ودرس فعرف، والمعجزة الواحدة لا تتكرر بذاتها أما الاختراع فيتكرر ويتعدد ويكثر وينتشر، والمعجزة لا تفهم كيفيتها ولا يدرك كنهها. أما الاختراع فيعرف كيفيته كل من أراد ويدرك حقيقته كل باحث، والمعجزة يعجز العقل عن تحليلها وإن صدق بها وخضع لها ولكنه لا يعجز عن تحليل الاختراع والمعجزات انتهت بوفاته ﷺ. أما الاختراعات فباقية ومتجددة وآخذة فى الترقى والإتقان.

ومن حوادث الهجرة البارزة أمر سراقة بن مالك الذى تأهب وتسلح وأخفى غرضه فى اللحاق برسول الله ﷺ ليأتى به حيا أو ميتا ليفوز بمائة ناقة جعلتها قريش مكافأة لمن يقوم بهذه المهمة الخطيرة بعد أن نجا الرسول من أيديهم وأخرج سراقة فرسه إلى بطن الوادى حتى لا يشاركه أحد فى هذه المكافأة السخية وأدرك سراقة النبى ﷺ بالفعل ولكن فرسه انكفأت به مرارا وأيقن سراقة أن الله مانع نبيه وحاميه فتطير وأيقن بالهلاك وطلب الأمان من رسول الله ﷺ وأخذ منه كتابا يكون له حجة يوم ينصر الله نبيه ويظهره على من أخرجوه.

لقد رجع سراقة وأخفى كتاب النبى ﷺ له رجع مدافعا يرد من لقيه من الباحثين بعد أن كان مدفوعا وعاد يستر أمر النبى ﷺ عمن يتبعه من المشركين. أليس هذا لأن سراقة أيقن بأن السماء تنصر سفيرها فى الأرض ولو ناوأه جميع أهل الأرض؟! فالهجرة لنصرة الحق وسيلة من وسائل النصر فقد انتهت هجرته ﷺ بفتح مكة المكرمة والمهاجرون رجال أخلصوا لله طواياهم وترفعت عن المآرب هممهم فلقد كانت هجرته ﷺ ثورة على الفساد فى العقائد والضلال فى الأفكار والطغيان فى الحكم والاستبداد فى الاقتصاد. كما كانت ثورة على الإجحاف فيما يستوجب الانصاف فهى درس ومعلم ورائد لكل عشاق الطهر والشجاعة والصدق والوفاء.

كما كانت هجرته ﷺ خروجا من الجمود إلى الحركة ومن الحصار إلى الحرية ومن الانغلاق إلى الانطلاق، فلقد أراد الرسول ﷺ أن يسمو بالإنسانية ويحررها فهى هجرة من أجل البشر جميعا كما أنه ﷺ هاجر من بلد تقتل فيها الطفولة المبكرة، يقتلون أولادهم خشية الفقر وبناتهم خشية العار فمن أجل هؤلاء الأطفال وهم باكورة الكبار هاجر النبى ﷺ إلى قوم وجد عندهم الاستعداد لنصرة مبادئه وهاجر من بلد محكومة بجبار العرب (أبى جهل) الذى وصفه الرسول ﷺ بأنه فرعون الأمة إلى قوم آخرين ليعينوه على هذا الجبار فكان لهم الفضل فى القضاء عليه فى أول معركة، معركة بدر الكبرى، هاجر من بلد تسكنها الأصنام والناس لها سجود إلى قوم أعانوه على تحرير قومه من جاهليتهم، فهجرته ﷺ تؤكد للمسلمين اليوم بأن حقوقهم المغتصبة لا تسترد إلا بالكفاح الدائم والجهاد المستميت وأن قضيتنا مع عدونا قضية حق ووجود يمدها تاريخ وتغذيها حضارة ويقودها على درب النضال صوت الحق من كتاب الله وهدى النبوة.

والله المسئول أن يحقق وعده لجنده بالنصر وذلك بفهم المسلمين لسنن الله فى نصرة الحق ومقاومة الظلم والاستعانة بالأسباب التى أيد بها رسوله ونصر بها عباده من قوة الإيمان وسلامة الخلق وحسن الاستعداد لكل حالة أمة متأهبة دائما سلاحها على أكتاف بنيها دفاعا عن الحق وردا للعدوان، تصنع سلاحها بيدها تنتج قوتها من أرضها شعبها قوى فى اتحاده واستعداده أمة آخذة بأسباب العلم النافع والتكنولوجيا الحديثة متفاعلة مع مستجدات العصر إن الأمة التى يكتمل لها هذا يكتب لها النصر والتأييد من الله القوى الحميد.

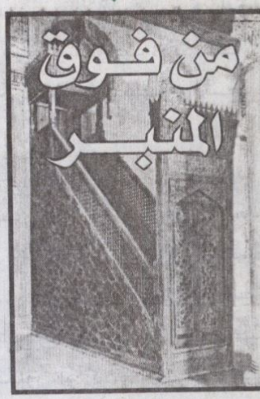

دروس من الهجرة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، الحمد لله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، أرسله بالحنيفية السمحة، والحجة الواضحة، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ناصر أوليائه المخلصين الصادقين، وقاهر أعدائه الظالمين المعتدين، كلمته هى العليا وسلطانه هو القاهر، ذو القوة المتين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد فى الله حق جهاده، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون.. أما بعد:

فضيلة الشيخ / فكرى حسن إسماعيل

فيا أيها المسلمون:

قال الله تعالى فى سورة التوبة: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم﴾** آية ٤٠.

كلما مضى عام هجرى، وأقبل عام جديد تذكر المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها حادث الهجرة النبوية، وما أحاط به وما انطوى عليه من آيات بينات، وعظات بالغات ودروس نافعات، وما أنتجه للعالم أجمع من تحول سعيد، وعهد جديد، ارتفع فيه صوت الحق عاليا وبرزت فيه القيم الإنسانية الفاضلة، والمثل العليا وعاش فيه المسلمون حياة عزيزة كريمة أرادها الله لخير أمة أخرجت للناس قوامها الإيمان بالله، وعمادها الإخاء الصادق، والتكافل الواقعى التطبيقى وروحها التضحية والفداء فى سبيل الحق والحرية والمساواة، وشعارها التمسك بالمبادئ الحقة والذود عنها، والتفانى فى سبيل تحقيقها.. ومما لا جدال فيه أن وقائع الهجرة النبوية تعتبر دروسا عملية نافعة فى جميع نواحى الحياة. كما أنها تعلم المسلمين جميعا إلى يوم الدين الصبر على المكاره، والثبات على المبدأ.

وتؤكد لهم أن الحق مهما بطشت به يد الباطل أو حاولت أن تُسكت صوته، أو تعطل موكبه عن السير فى الحياة لإعطاء كل حق حقه، فهو بإرادة الواحد القهار سيهزم الباطل ويدمغه لأن من قوانين السماء الخالدة مع الزمن **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾** غافر: آية ٥١.

إن الهجرة النبوية لم تكن فرارا من أذى المشركين لرسول الله ﷺ، أو هروبا من ظلمهم وبطشهم فما كان رسول الله ﷺ وهو المثل الأعلى فى الشجاعة والفداء. ليخش الأذى أو يهرب من الطغيان. وهو الذى ظل يكافح ثلاثة عشر عاما فى قوة وصلابة وإباء لأنه صاحب رسالة إنسانية تدعو إلى العدالة وتنشر راية السلام والأمن والاستقرار - لقد كانت الهجرة تنفيذا لخطة مرسومة، ونزولا على بيعة أُخذت فيها العهود والمواثيق بالدماء والأرواح، وبذل المهج دون الإيمان بالله ورسوله، وتطهير العالم من الشر والطغيان.. ومن المؤكد أن الإيمان الحق متى امتزج

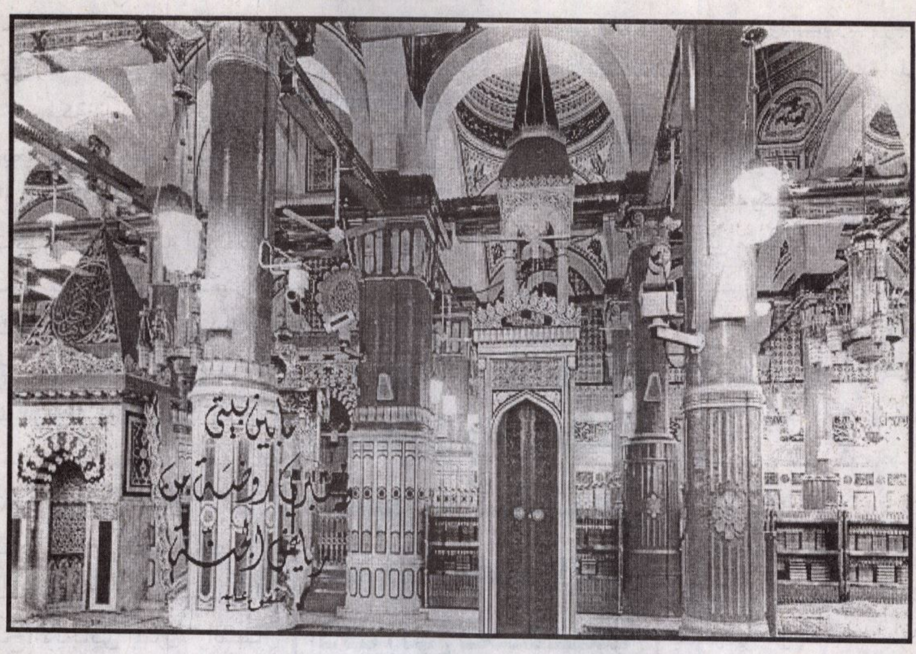

بالقلب ملأه محبة صادقة، والمحبة الصادقة تورث الغيرة التى تدفع إلى التضحية بالأهل والولد والمال والنفس حتى يصير الله ورسوله أحب إلى المؤمن من كل ما سواهما..

لقد اتضح أثر ذلك فى تلك الثُّلَّة - أى القلة - الفدائية المؤمنة التى قامت على أكتافها الهجرة وعلى أساسها كان تأييد الله لرسوله ﷺ، فهذا أبو بكر مع صاحبه فى الغار، وعلى الفدائى الأول الذى تسجى ببردة رسول الله ﷺ مفترشا مكان نوم رسول الله. وعبدالله بن أبى بكر صاحب مخابرات مكة وتدبير القوم ضد رسول الله ﷺ حتى يكون على بصيرة بما يدبره القوم. وأسماء بنت أبى بكر التى عرضت حياتها للخطر حفاظا على سر رسول الله ﷺ وأبيها وعاونتها فى حفظ الأسرار وإعداد الطعام أختها عائشة - رضى الله عنهم جميعا -.

لم تكن الهجرة النبوية طمعا فى مال أو جاهٍ بل كانت فارقا بين عهد الانكماش وعهد القوة والانطلاق

لقد كان صدق الإيمان وقوة اليقين وحب الله ورسوله أهم العناصر التى أدت إلى تحقيق النصر فى هجرة رسول الله وأبى بكر والمسلمين قبله إلى المدينة المنورة، ولهذا قال الله تعالى: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله..﴾** حقا لقد تحقق النصر الذى هو بيد الله تعالى الذى يقول فى كتابه الكريم..**﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾** الروم: آية ٤٧.

أيها المسلمون:

لم تكن الهجرة النبوية طمعا فى مال، أو رغبة

فى جاه أو سلطان، ولقد ذكر لنا علماء السيرة أن رسول الله ﷺ عرضت عليه الدنيا بكل أشكالها وهو فى مكة فلم يفتتن بها ولم يتأثر بشهواتها، ولم يخدعه ما فيها من ملك وشرف وسيادة ومال. بل رفض ذلك كله فى إباء وعزة وكرامة قائلا قولته المشهورة لعمه أبى طالب **«والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»**.. وإنما كانت الهجرة من مكة إلى المدينة مرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية اتسمت بالتحول الشامل من المقاومة السلبية إلى الكفاح الإيجابى المتزن، والنضال الجماعى المتحد الذى انطلق بالدعوة الإسلامية من المدينة إلى آفاق الدنيا كلها، التى استظلت براية التوحيد الخالص والإيمان الصادق، ومن أجل ذلك كانت الهجرة النبوية فيصلا بين عهد الضعف والانكماش، وعهد القوة والانطلاق.. وقد تجلى رب العالمين على المسلمين بالنعمة الكبرى والفتح المبين ـ حيث إنهم كانوا على مستوى المسئولية فمكّن لهم دينهم الذى ارتضاه لهم وبدّلهم من بعد خوفهم أمنا ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.. سيدى رسول الله.. إن يوم هجرتك فى صبرك وشجاعتك وتضحيتك قصة يالها من قصة. لقد ماتت الدنيا عندك حين عزت عقيدتك وحقرت الدنيا فى نظرك حين عظم مقصدك.. رسمت غايتك.. فاستبسلت فى مواطن البأس واستمسكت فى مزالق المحنة، فما وهنت لما أصابك فى سبيل الله، وما ضعفت وما استكنت ولكنك صبرت وصابرت. وجاهدت وناضلت وتحملت مالم يتحمله إلا سيد أولى العزم من الرسل فكانت حياتك ـ يارسول الله ـ فى مكة درسا عمليا للمجاهدين ألا يهنوا ولا يحزنوا لما أصابهم فى سبيل الله ـ كما كانت حياتك فى المدينة بعد الهجرة فى ميادين النضال والشرف وفى غزوات بدر وأحد والخندق وحنين وغيرها مظهرا واضحا لقوة إيمانك واعتزازك بدينك، وثبات يقينك وصدق جهادك. وستبقى سيرتك على مدى الزمن نورا يستضاء به ومشعل هداية يهتدى به..

صدق الإيمان وقوة اليقين وحب الله ورسوله كانت من أهم العناصر التى أدت إلى تحقيق النصر فى الهجرة

فهل آن للمسلمين الآن ـ أن يستلهموا كل طاقات العزة والقوة ـ وكل معانى البطولة والتضحية من جهادك المقدس فى مكة وفى المدينة، ومن فدائية أصحابك الميامين الذين حرصوا على الموت واستهانوا بالحياة دفاعا عن دينهم، وصيانة لعقيدتهم وحماية لمقدساتهم فكان لهم من وراء ذلك كله النصر العظيم والفتح المبين.

فاتقوا الله أيها المسلمون واتخذوا من كتاب الله منهاجا. ومن تعاليم الإسلام علاجا. ومن حياة وسيرة نبيكم قدوة وصدق الله تعالى حيث يقول: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾**. ويوم أن نطبق هذا قولا وفعلا فإن الله لن يتخلى عن المؤمنين الصادقين. قال رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام البخارى وغيره: **«لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية..»** وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

أم سلمة: ذات الهجرتين

سعيد صالحة

أم سلمة احدى أمهات المؤمنين - رضى الله عنها - أبوها سيد من سادات مخزوم المرموقين وجواد من أجواد العرب، كان يلقب بـ(زاد الراكب) لأن الركبان تتزود إذا قصدت منازله أو سارت فى صحبته، وأما زوجها فعبد الله بن عبد الأسد أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، واسمها هند لكنها كنيت بأم سلمة ثم غلبت عليها الكنية.

نظرة إلى المجتمع القرشى

لقد كان المجتمع القرشى منحلا شديد الفساد بينه وبين الفضائل تنافر وخصام رهيبان وبرغم كرم الرجال وجودهم ونداهم ومسارعتهم إلى النجدة والغوث وتسابقهم نحو المكرمات فقد كانوا سادرين فى غيهم وضلالهم لا عرف ولا دين ولا توقير للعبادات بل إباحة لكل خطيئة وترحيب بكل إثم جاور بيت الله العتيق فجعل منه معرض أصنام وحجارة شوهاء، بلغ من سفاهة الناس وجهلهم أن سعوا إليها حاجين وأقاموا لها مواسم وأعيادا وأفراحا وسوامر كانت تهرق فيها دماء كل فضيلة ويباح كل محظور.

وفى هذا المجتمع دوى صوت رسول الله ﷺ إليهم جميعا يدعوهم إلى نبذ الشرك والكفران بالصنم وعبادة الواحد الذى لا إله غيره وأسرع أبو سلمة إلى داره وراح يقص على مسامع زوجته النبأ العظيم الذى سمع به من قريش وأنصتت «هند» فى ذهول وارتاحت إلى دعوة محمد ﷺ وقد استقرت فى أعماق وجدانها فإذا هى تشهد بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهكذا آمنت أم سلمة (هند) وأمن زوجها أبو سلمة عبدالله بن أسد ثم ذهبا إلى محمد ﷺ لمبايعته وإعلان إسلامهما بين يديه وما إن شاع نبأ إسلام أم سلمة وزوجها حتى هاجت قريش وجعلت تصب عليهما من نكالها الكثير، فلم يضعفا ولم يهنا، ولما اشتد عليهما الأذى وأذن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة كانا فى طليعة المهاجرين.

مضت أم سلمة وزوجها إلى ديار الغربة وخلفت وراءها فى مكة بيتها وعزها ونسبها العريق محتسبة ذلك كله عند الله، وعلى الرغم مما لقيته أم سلمة وصحبها من حماية النجاشى، فقد كان الشوق إلى مكة مهبط الوحى والحنين إلى رسول الله ﷺ يفرى كبدها وكبد زوجها ثم تتابعت الأخبار على المهاجرين بإسلام عمر بن الخطاب فاشتد أزرهم وعزم فريق منهم على العودة إلى مكة يحدوهم الشوق، فكانت أم سلمة وزوجها فى طليعة العائدين لكن سرعان ما اكتشف العائدون أن ما نُمى إليهم من أخبار كان مبالغا فيه وأن الوثبة التى وثبها المسلمون بعد إسلام حمزة وعمر قد قوبلت بهجمة أكبر فافتن المشركون فى تعذيب المسلمين وترويعهم وأذاقوهم من بأسهم مالا عهد لهم به. عند ذلك أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة فعزمت أم سلمة وزوجها على أن يكونا أول المهاجرين فرارا بدينهم وتخلصا من أذى قريش ومرة أخرى تركت أم سلمة المجاهدة الصابرة الديار والأهل والأحبة ورحلت ليستقر بها المطاف فى يثرب فكانت بهذا أول مسلمة تدخل المدينة مهاجرة من مكة، وسميت عن جدارة بلقب «ذات الهجرتين»، وأحست أم سلمة بأنه لابد وأن يكون وراء هذا الخروج الجرىء ما وراءه.

فلنترك الكلام لأم سلمة لتروى لنا قصة مأساتها، قالت أم سلمة: لما عزم أبو سلمة على الخروج إلى المدينة أعد لى بعيرا ثم حملنى عليه وجعل طفلنا سلمة فى حجرى ومضى يقود بنا البعير وهو لا يلوى على شىء وقبل أن ننتقل عن مكة رآنا رجال من قومى «بنى مخزوم» فتصدوا لنا وقالوا لأبى سلمة إن كنت غلبتنا على نفسك فما بال امرأتك هذه وهى بنتنا فعلام نتركك تأخذها وتسير بها فى البلاد ثم وثبوا عليه وانتزعونى منه انتزاعا وما إن رآهم قوم زوجى «بنو عبدالأسد» يأخذوننى وطفلى حتى غضبوا وقالوا لا والله لن نترك الولد عند صاحبتكم بعد أن انتزعتموها من صاحبنا انتزاعا فهو ابننا ونحن أولى به، ثم طفقوا يتجاذبون طفلى سلمة بينهم على مشهد منى حتى خلعوا يده وأخذوه.

تجرعت أم سلمة كأس مرارة الفراق وتمزيق الشمل.

وتضيف: فزوجى اتجه إلى المدينة فرارا بدينه ونفسه وولدى اختطفه بنو أسد من بين يدى. أما أنا فقد استولى علىَّ قومى بنى مخزوم وجعلونى عندهم ففرق بينى وبين زوجى وابنى فى ساعة، ومنذ ذلك اليوم أخرج كل غداه إلى الأبطح وأستعيد اللحظات التى حيل فيها بينى وبين ولدى وزوجى وأظل أبكى حتى يخيم على الليل، ومضت على ذلك سنة أو قريبا من سنة إلى أن مرّ بى رجل من بنى عمى فرقَّ لحالى ورحمنى وقال لقومى ألا تطلقون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وولدها ومازال يستلين قلوبهم ويستدر عطفهم حتى قالوا لى إلحقى بزوجك إن شئت.

ولكن كيف ألحق بزوجى فى المدينة وأترك ولدى وفلذة كبدى فى مكة عند بنى عبد الأسد ورأى بعض الناس ما أعانى فكلموا بنى عبدالأسد فى شأنى واستعطفوهم علىَّ فردوا إلىّ ولدى فأعددت بعيرى ووضعت ولدى فى حجرى وخرجت متوجهة إلى المدينة.

لقد اجتمع الشمل بعد طول فراق وقرت أم سلمة بزوجها وسعد أبو سلمة بصاحبته وتمضى الأحداث سراعا فهذه (بدر) يشهدها أبو سلمة وهذه (أُحد) يخوض غمارها بعد بدر وقد جرح جرحا بليغا فمازال يعالجه حتى بدا إنه اندمل لكن الجرح قد رمّ على فساد، ومضى أبو سلمة يعالج من جرحه. قال لزوجته سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يصيب أحدا مصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول: «اللهم عندك احتسب مصيبتى هذه اللهم اخلفنى خيرا منها إلا أعطاه الله خيرا منها»، ظل أبو سلمة على فراش المرض أياما،وذات صباح جاءه الرسول ﷺ ليعوده حتى فارق أبو سلمة الحياة فأغمض النبى بيديه الشريفتين عينى صاحبه ورفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المقربين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين، وافسح له فى قبره، ونوره له فيه.

ومشاركة لأم سلمة فى حزنها تقدم إليها رسول الله ﷺ ليخطبها فقالت: يارسول الله إن فىَّ خلالا ثلاثا فأنا امرأة شديدة الغيرة فأخاف أن ترى منى شيئا يغضبك فيعذبنى الله به، وأنا امرأة قد دخلت فى السن، وأنا امرأة ذات عيال فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ أما ما ذكرت من غيرتك فإنى أدعو الله أن يذهبها عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابنى ما أصابك وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالى.

ثم تزوجها رسول الله ﷺ فاستجاب الله دعاءها وأخلفها خيرا من أبى سلمة، ومنذ ذلك اليوم لم تبق هند المخزومية أما لسلمة وحده وإنما أُم لجميع المؤمنين وعاشت أم سلمة حتى بلغت الرابعة والثمانين، تروى الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ وعن الزهراء ابنته وعن عائشة ثم ماتت عام ٦١ من الهجرة ودفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هرير وطويت بوفاتها صفحة من أنضر وأطهر صحائف الجهاد فى سبيل الله، نضر الله وجه أم سلمة فى الجنة ورضى الله عنها وأرضاها.

الأرقم بن أبى الأرقم ودار الإسلام الأولى

د/ الشبراوى محمد عبد الهادى الجهورى

عندما انبثقت أنوار الدعوة الإسلامية على يد سيدنا محمد (ﷺ) فى مكة المكرمة كانت هناك نفوس مهيأة لتلقى الخير والتفاعل معه مثلها مثل الأرض الخصبة التى تتلقى الماء العذب فتنبت النبات الذى يفيض بالخير على الناس، وإذا كانت الأرض الخصبة لا تحتاج إلى معاناة ومشقة كى نحصل منها على الثمرات الشهية والخيرات الوفيرة لأنها بطبيعتها مهيأة للإنبات فإن النفوس السوية لا تحتاج إلى مجهود لتؤمن بالله لأنها بفطرتها مهيأة لتلقى خبر السماء بالإذعان الكامل واليقين الصادق، وهذا ما كان من السابقين الأولين فى الإسلام الذين عرض عليهم رسول الله (ﷺ) الإسلام فأمنوا بالله دون تردد، فحق عليهم قول الله تبارك وتعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ الأنعام: آية ١٢٥.

ومن هؤلاء النفر الذين تلقوا دعوة الحق من رسول (ﷺ) فآمنوا بها دون تردد أو ارتياب الصحابى الجليل الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى.

وقبل أن نتحدث عن إسلام الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى. وأسبقيته فى الإسلام نعرف به باعتباره علما من أعلام الإسلام وصحابيا جليلا من أصحاب رسول الله (ﷺ).

أما اسمه فهو: عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى[١]

كان يكنى أبا عبد الله[٢] فهو قرشى مخزومى لم يختلف فى اسمه أحد من الرواة وإن كانوا قد اختلفوا فى اسم أمه فقيل اسمها: تماضر بنت خذيم من بنى سهل، وقيل اسمها: أميمة بنت عبد الحارث، وقيل اسمها: صفة بنت الحارث بن خالد بن عمير بن غبشان الخزاعية[٣].

كان الأرقم بن أبى الأرقم من السابقين الأولين فى الإسلام اسلم قديما وحسن إسلامه وهاجر مع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة المنورة وآخى (ﷺ) بينه وبين أبى طلحة زيد بن سهل[٤] وشهد مع رسول الله (ﷺ) بدرا وأحدا والمشاهد كلها[٥].

إسلامه:

اجمع الرواة على أسبقية الأرقم بن أبى الأرقم إلى الإسلام ولكنهم اختلفوا حول تحديد هذه الأسبقية فبينما نجد ابن الأثير فى كتابه (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) يقول: «كان الأرقم بن أبى الأرقم ثانى عشر فى الإسلام»[٦] إذا بنا نجد ابن حجر العسقلانى فى كتابه (الإصابة فى تمييز الصحابة) يعده حادى عشر حيث يقول: كان - الأرقم بن أبى الأرقم - من

السابقين الأولين فى الإسلام اسلم بعد عشرة[٧] أما ابن سعد فى طبقاته الكبرى فيأخذ بقول عثمان بن أبى الأرقم الذى كان يقول مفتخراً بأسبقية أبيه فى الإسلام: (أنا ابن سبعة، اسلم أبى سابع سبعة)[٨].

ويمكن التوفيق بين هذه الأقوال بالرجوع إلى كتب السيرة التى تتحدث عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه الأطهار).

فابن هشام يذكر فى سيرته ثمانية رجال سبقوا الأرقم بن أبى الأرقم إلى الإسلام وهم «أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن ابن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وعبيدة بن الجراح وأبو سلمة.»[٩].

فإذا أضفنا إلى هؤلاء الثمانية الغلامين علياً بن أبى طالب وزيد بن حارثة والسيدة خديجة بنت خويلد باعتبارها أول سيدة آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح الأرقم بن أبى الأرقم ثانى عشر فى الإسلام كما قال ابن الأثير فقد جعل الأرقم بن أبى الأرقم ثانى عشر فى الإسلام.

وإذا أخذنا عنصر الذكور فقط (الرجال والصبيان) دون النساء يصبح الأرقم بن أبى الأرقم حادى عشر فى الإسلام كما قال ابن حجر العسقلانى، وإذا نظرنا إلى السابقين الأولين فى الإسلام من الرجال فقط دون النساء والصبيان نجد الأرقم ثامن ثمانية. فكيف قال عثمان بن الأرقم بن أبى الأرقم (أنا سابع سبعة)؟

والجواب على ذلك يسير فعثمان بن أبى الأرقم عندما قال قولته هذه مفتخرا بأبيه لم يكذب وما كان لرجل يعتز بأسبقية أبيه فى الإسلام ليكذب أو يدلس وتوضيح ذلك فيما يلى:-

أولا: يمكن اعتبار الأرقم بن أبى الأرقم سابع سبعة ممن أسلموا على يد أبى بكر الصديق فقد كان رجلا مؤلفا قام بدور بارز فى الدعوة إلى الإسلام وأسلم على يديه عدد كبير من الصحابة.

ثانيا: يمكن أن يكون الأرقم ابن أبى الأرقم أعلن إسلامه مع صحابى آخر ممن ذكرهم ابن هشام فى مجلس واحد فى آن واحد وبذلك يصبح الأرقم بن أبى الأرقم سابع سبعة كما قال ابنه عثمان.

كانت دار ابن الأرقم مدرسة يتلقى فيها الصحابة تعاليم الإسلام على يد خير الأنام

دار الإسلام الأولى:

نال الأرقم بن أبى الأرقم شرف السبق إلى الإسلام وكان على بينة من أن لكل دعوة تضحياتها ولكل عمل تبعاته، وأن المؤمن لكى يكتمل إيمانه لابد أن تبرهن أفعاله على أقواله وأراد الأرقم أن يكون إيمانه عمليا فقدم داره لتكون مقرا للدعوة الإسلامية ومدرسة يتلقى فيها الصحابة تعاليم الإسلام على يد خير الأنام سيدنا محمد بن عبد الله (ﷺ)، ولقد أقدم الأرقم على هذا العمل وهو يعلم مدى الخطر الذى يمكن أن يتعرض له إذا ما علمت قريش بذلك، فالدعوة الإسلامية فى بداية أمرها والمسلمون أقلية والمشركون يرصدون كل من يتبع الدين الجديد فيصبون عليه جام غضبهم وينزلون به ألوانا من العذاب كان الأرقم بن أبى الأرقم على علم بكل ذلك ولكنه لم يأبه له لأن قوة الإيمان لديه كانت اكبر من كل تهديد وأقوى من

كل وعيد فهو ممن يصدق فيهم قول الله عز وجل: **﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل* فانقلبو بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾** آل عمران: الآيتان ١٧٣، ١٧٤.

ولكن لماذا اختار رسول الله (ﷺ) دار الأرقم بن أبى الأرقم لتكون مقرا للدعوة الإسلامية ومكانا يلتقى فيه رسول الله ﷺ بأصحابه؟.

لعل الجواب على ذلك يتضح عندما نعرف أن رسول الله(ﷺ) كان يحاول ما أمكنه أن يجنب أصحابه إيذاء قريش وبطشهم ولذلك كان يتخير المكان والزمان الذى يحدثهم فيه ويسدى إليهم توجيهاته موضحا لهم أمور الدين الجديد وتعاليمه السامية، وكانت دار الأرقم بن أبى الأرقم انسب مكان لهذه المهمة (فهى تقع على الصفا)[١٠] بل هى تقع فى أعلى الصفا[١١] فهى بموقعها هذا بعيدة عن أعين قريش، ومن هنا كان رسول الله (ﷺ) ينطلق إليها ليلتقى بأصحابه ممن دخل الإسلام فعلا أو ممن هداه الله للإسلام على يد بعض الصحابة كأبى بكر الصديق وغيره فيقرأعليهم رسول الله (ﷺ) القرآن الكريم معلما وموجها ومرشدا بعيدا عن أذى قريش وجبروتها.

ومن هنا نالت دار الأرقم بن أبى الأرقم شهرتها ومكانتها فى الإسلام حتى عرفت بدار الإسلام يقول ابن سعد: (دار الأرقم بن أبى الأرقم بمكة على الصفا وهى الدار التى كان النبى (ﷺ) يجلس فيها أول الإسلام، وفيها دعا الناس إلى الإسلام واسلم فيها قوم كثير، وقال رسول الله (ﷺ) ليلة الاثنين: اللهم اعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام فجاء عمر بن الخطاب من الغد فأسلم فى دار الارقم بن أبى الأرقم وخرجوا منها فكبروا وطافوا فى البيت ظاهرين ودعيت دار الأرقم دار الإسلام)[١٢]

حبس الأرقم داره هذه على الإسلام يأوى إليها الوافدون ويؤمها الزائرون يلتمسون شرف الجلوس فى دار شرفت بجلوس رسول الله (ﷺ) فيها، وأجاز بنوه ما فعله أبوهم وجاء أحفاده من بعده فباعوها إلى أبى جعفر المنصور أمير المؤمنين[١٣]

اختار الرسول ﷺ دار الأرقم لتكون مقرا للدعوة الإسلامية ومكانا للقاء أصحابه

محاولة الأرقم الذهاب إلى بيت المقدس:

كان الأرقم بن أبى الأرقم كسائر الصحابة محبا لرسول الله (ﷺ) مترسما بخطاه، يحاول ما وسعه جهده أن ينال شرف النزول إلى كل مكان نزل فيه رسول الله (ﷺ)، فبعد الهجرة المباركة إلى المدينة المنورة واستقرار أمر المسلمين فيها أراد الأرقم بن أبى الأرقم أن يزور بيت المقدس وان يحظى بالصلاة فى هذا المسجد الذى صلى فيه رسول الله (ﷺ)، فلما فرغ من جهازه جاء إلى النبى (ﷺ)، ليودعه فقال له رسول الله (ﷺ)، ما يخرجك يا أرقم؟ أحاجة؟ أم تجارة؟ فقال الأرقم: لا يا رسول الله بابى أنت وأمى ولكن أريد الصلاة فى بيت المقدس فقال رسول الله (ﷺ): صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فجلس الأرقم[١٤] مستجيبا لتوجيهات رسول الله ﷺ.

ولعل السر فى منع رسول الله(ﷺ) للأرقم من

هذه الزيارة فى هذا التوقيت بالذات يرجع إلى ما يأتى:-

١- خوفه (ﷺ) على المسلمين من أن يظن أحدهم أن زيارة المسجد الأقصى من مناسك الإسلام متخذين من إقرار رسول الله (ﷺ) للأرقم دليلا على ذلك لو أقر الرسول (ﷺ) هذه الزيارة فيكلفون أنفسهم مالم يأمر به الشرع الحنيف.

٢- أن المسجد الأقصى كان تحت أيدى غير المسلمين وكان كثير من المسلمين حديثى عهد بالإسلام فخاف رسول الله (ﷺ) أن يفتتن هؤلاء المسلمون خاصة من كان يدين باليهودية أو المسيحية قبل الإسلام فى دينهم إذا ما ذهبوا إلى هذه الديار واستمعوا إلى أقاويل وافتراءات من يقيمون فيها من أصحاب الديانات الأخرى.

آخر ما وصى به الأرقم بن أبى الأرقم:

عندما أحس الأرقم بن أبى الأرقم بقرب منيته جمع أولاده وأوصاهم أن يصلى عليه الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص وكان الأرقم من المعمرين فقد توفى سنة ثلاث وخمسين وهو ابن ثلاث وثمانين سنة وقيل سنة خمس وخمسين وهو ابن بضع وثمانين سنة فلما فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها طلب بنوه سعد بن أبى وقاص ليصلى عليه كما أوصاهم أبوهم وكان سعد بن أبى وقاص فى قصره بالعقيق فاحتبس - أى تأخر فى المجىء - فقال مروان بن الحكم وكان واليا على المدينة من قبل معاوية بن أبى سفيان: أيحبس صاحب رسول الله (ﷺ) لرجل غائب؟ وأراد الصلاة عليه فأبى عبيد الله بن الأرقم وقامت معه بنوا مخزوم[15] وأصروا على تنفيذ وصية الأرقم ثم جاء سعد فصلى عليه وودعه الصحابة إلى مثواه الأخير. رحم الله الأرقم بن أبى الأرقم وجزاه عن الإسلام خير الجزاء آمين يارب العالمين

كان ابن الأرقم على بينة من أن لكل دعوة تضحياتها وأن المؤمن لابد أن تبرهن أفعاله على أقواله

الهوامش:

١ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ج١ ص٧٤ طبعة دار الشعب

٢ - الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى ج١ ص٤٣ طبعة دار الجيل

٣ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج١ ص٧٤.

٤ - الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الثالث ص١٧٤ طبعة دار الصحابة للتراث.

٥ - الإصابة فى تمييز الصحابة ج١ ص٤٤ والطبقات الكبرى ص١٧٤.

٦ - انظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج١ ص٧٤.

٧ - الإصابة فى تمييز الصحابة ج١ ص٤٣.

٨ - الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الثالث ص٧٢ ج١ دار الصحابة للتراث.

٩ - سيرة ابن هشام ج١ ص٢١٢ تحقيق جمال ثابت ومحمد محمود طبعة دار الحديث بمصر.

١٠- أسد الغابة ج١ ص٧٤ وانظر الإصابة فى تمييز الصحابة ج١ ص٤٣.

١١- انظر الطبقات الكبرى ج٣ ص١٧٣.

١٢- المرجع السابق ج٣ ص١٧٣.

١٣- المرجع السابق ص ١٧٤.

١٤- أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج١ ص٧٤.

١٥- انظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج١ ص٧٥، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ص١٧٤.

الأسرة فى التشريع الإسلامى

- مشكلة المغالاة فى المهور وكيف حلها الإسلام
- محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة

مشكلة المغالاة فى المهور وكيف حلها الإسلام؟

أ. د. أحمد عمر هاشم

تتكون الأمة من مجتمعات متعددة وتتكون المجتمعات من أسر كثيرة وأساس الأسرة الزوجان وأساس ارتباط الزوجين هو الزواج.

ومن هنا ندرك أهمية الزواج كأساس أصيل من أسس الحفاظ على النوع الإنسانى وبناء الأسس وقيام المجتمعات ونشأة الأمة. ومن أجل هذا عنى الإسلام عناية فائقة بشأن الأسرة وحث على تكوينها عن طريق الزواج. فقد خلق الله تعالى لنا من أنفسنا أزواجا وجعل الهدف من وراء ذلك السكن حيث يسكن الرجل إلى امرأته ويتبادلان المودة والرحمة اللتين تنعشان حياتهما الزوجية وتسعدان الأسرة بعد ذلك قال سبحانه: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ الروم: آية ٢١، وحض الإسلام على الزواج أيضا ابتغاء الولد. ليسعد المجتمع بالبنين والحفدة وليكون طريق العفة والأمان والأدب والسعادة ويقول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». رواه الشيخان.

ولهذا كان الامتناع عن الزواج خروجا عن الفطرة والسنة والدين وفى الحديث: **«فمن رغب عن سنتى فليس منى»**، وفيما رواه البيهقى: يقول رسول الله ﷺ: **«من كان موسرا لأن يتزوج ثم لم يتزوج فليس منى»**، وحتى لو كان الامتناع عن الزواج للعبادة والتخلى عن متع الحياة بما فى ذلك الزواج، فإن الإسلام يكره ذلك ولا يبيحه ولا يستحسنه، وقد أعلن رسول الله ﷺ رفضه لهؤلاء النفر الذين اعتزموا على التخلى عن متع الحياة وراحتها وعن الزواج حين أراد بعضهم ألا يتزوج وأراد الآخر أن يصوم ولا يفطر وأراد الثالث أن يصلى الليل ولا يرقد، فقال لهم - صلوات الله وسلامه عليه -: **«أنتم الذين تقولون كذا وكذا أما والله أنى لأخشاكم لله وأتقاكم له. ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى»**، بيد أن قضية عدول بعض الشباب عن الزواج أو تأخيرهم فيه مازالت قائمة وبصورة واضحة رغم ما فى تعاليم الإسلام ومبادئه التى قررها من الحث والدعوة إلى الزواج، والتحذير من العزوف عنه وما يتبعه من أضرار.

> **حض الإسلام على الزواج ابتغاء الولد وليكون طريق العفة والأمان**

ولكن وراء المشكلة أسباب اقتصادية كثيرة أهمها: عدم توفر المال الكافى فى يد الشاب الذى يقدم على الزواج

ومطالبة أهل من يخطبها لمهر كبير يغالون فيه إلى جانب العديد من التقاليد التى تولد بعضها من التفاخر والتكاثر ووفد بعضها مع المدنية الحديثة كل ذلك دفع بمشكلة الزواج فى نفوس البعض إلى ما يشبه التعقد، فقد أصبحت عند بعض الشباب نظرة نفسية قائمة ربما يتهيب معها أن يفتح بيتا وأن ينشئ أسرة وأن يكون أبا. وأن يحتمل الأعباء فيرى أنه أضعف وأقل يدا من أن يقوم بكل هذا.

ومع تطور المشكلة بتطور المدنية والتكاثر فى الجهاز وفى أثاث المنزل وكثرة المهور والمغالاة فيها مع كل هذا فقد وضع الإسلام ما فيه علاج لتلك النظرة القائمة وعلاج للناحية النفسية فقد وعد الله سبحانه وتعالى، راغبى الزواج بأن يغنيهم الله من فضله ووعده الحق لا يتخلف بقول الله سبحانه **﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾** النور: آية ٣، وكان أبو بكر ـ رضى الله تعالى عنه ـ يقول: **«أنجزوا ما أمركم به الله ومن الزواج ينجز لكم ما وعدكم من الغنى»** وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عجبى ممن لا يطلب الغنى فى الزواج وقد قال الله تعالى: **﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾**.

وعد الله راغبى الزواج بأن يغنيهم الله من فضله ووعد الحق لا يتخلف

وأما نظرة الإسلام إلى الزواج، فهى نظرة دقيقة حكيمة تقوم على أساس أنه رابطة وثيقة، ميثاق غليظ لا ينهض إلا على أساس من الدين والخلق لا على كثرة المال والجاه والمنصب والتكاثر والتفاخر. ففى الحديث: **«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير»**.

وفى يسر الإسلام وسهولة تعاليمه ما يحل مشكلة التوقف عن الزواج. إذ أنه لم يشترط على غير القادر إلا ما يستطيع أن يؤديه حتى ولو كان أبسط شىء أو أقل ما يتمول ففى الحديث: **«التمس ولو خاتما من حديد»**. بل إنه إذا لم يكن معه أقل ما يتمول فحسبه ما يحفظه من كتاب الله فعندما رجع الرجل إلى رسول الله ﷺ وقال له التمست فلم أجد ولو خاتما من حديد فقال له النبى ﷺ: **«هل معك شىء من القرآن قال: نعم. قل هو الله أحد والمعوذتان، فقال ﷺ زوجتكما بما معك من القرآن»**، ويروى أبو نعيم فى «الحلية» يقول: خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم فقالت: أما أنى فيك لراغبة وما مثلك يسرنى ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة. لا يحل لى أن أتزوجك. فقال ما دهاك يا رميصاء؟ فقالت: وماذا دهانى قال أين أنت من الصفراء والبيضاء يريد الذهب والفضة ـ قالت: لا أريد صفراء ولا بيضاء فأنت امرؤ تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا. أما تستحى أن تعبد خشبة من الأرض يجرها لك حبشى بنى فلان إن أنت أسلمت فذلك مهرى ولا أريد من الصداق غيره. قال ومن لى بالإسلام يارميصاء قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ، فاذهب إليه.

فانطلق أبو طلحة يريد النبى ﷺ وكان جالسا فى أصحابه فلما رآه قال: جاءكم أبو طلحة غرة

الإسلام بين عينيه. وأسلم أبو طلحة أمام رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - وأخبره بخبر الرميصاء فزوجه إياها على ما شرطت وهذا مثل رائع للمرأة المسلمة التى لا تنشد فى زوجها ذهبا ولا فضة ولا مالا ولا عرضا من أعراض الحياة الدنيا إنما تنشد فيه الدين أولا وأخيرا.

ومن كل ما سبق تتضح لنا حقيقة الزواج فى الإسلام أنه لا تكلف فيه ولا عسر ولا مشقة. بل إن تعاليم الإسلام تقضى - تماما - على مشكلة المغالاة - فى المهور ومشكلة التفاخر والتكاثر فى إجراءات الزواج أثاثه: لتفتح الباب أمام راغبى الزواج وطلاب العفة. ليكونوا أسرا طاهرة كريمة أساسها الإسلام.

وحتى لا يتفاخر البعض بكثرة الصداق وحتى لا يتكاثر الناس ويغالوا فى مقداره نجد أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يبين أن خيره أيسره فيقول: «**خير الصداق أيسره**» رواه أبو داود والحاكم وصححه.

وكذلك حتى لا يتفاخر الناس فى إجراءات الزواج والاحتفال به والمغالاة فى الأثاث والتكاليف التى تثقل كاهل الرجل بين أيضا أن أعظمه أيسره مئونة فقال ﷺ: «**إن أعظم الزواج بركة أيسره مئونة**» رواه أحمد.

وعندما سأل ﷺ رجلا تزوج وقال له على كم تزوجتها قال: على أربع أواق فقال له النبى ﷺ: على أربع أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عرق هذا الجبل؟

المغالاة فى المهور معول هدّام يقضى على رغبات الكثيرين من أهل العفة فى الزواج

وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة فى المهور. ويقول: ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين هذا: وإن المغالاة فى المهور معول هدام يقضى على رغبات الكثيرين من أهل العفة الراغبين فى الزواج، وفى نفس الوقت دعوة باطلة تساعد على ضياع قسط كبير من أعمار الشباب دون تحقيق سنة الإسلام بل قد تكون سببا من أسباب انتشار الرذيلة والفوضى الأخلاقية التى تهدد المجتمع بالتصدع والانهيار ولا مبرر لها إلا تفاخر بعض الأسر.

وليس معنى هذا أن الإسلام يدعو إلى أن يكون حق المرأة فى الصداق قليلا بل إنه يكره تلك المغالاة التى حادت من الجادة وأصبحت عقبة أمام الزواج.

أما إذا توفر المال وكان الزوج ذا يسر وغنى فإن الإسلام يجيز كثرة المهر. أخرج عبدالرزاق من طريق عبدالرحمن السلمى قال: قال عمر: لا تغالوا فى مهور النساء، فقالت امرأة: ليس هذا لك يا عمر. إن الله تعالى يقول: ﴿**وآتيتم إحداهن قنطارا**﴾. قال وكذلك هى ابن مسعود فقال عمر امرأة خاصمت عمر فخصمته. وبعد: فإنا لنرجو الله تعالى أن يوفق الأسر الإسلامية إلى الأخذ بمبادئ الإسلام التى لا علاج لمشكلة الزواج إلا بها، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

محاسن الإسلام ومزاياه في تشريعات المرأة (١٠)

أ.د. عبدالعظيم المطعنى

﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ النساء: آية ٤.

كانت الآية السابقة على هذه الآية مباشرة تتحدث عن تحقيق العدل ليتامى النساء على النحو الذى ذكرناه والذى اقتضى الحديث عن أدنى حد فى تعدد الزوجات وأوسطه وأعلاه مع القدرة ومعاملة الزوجات بالعدل بينهن، وإذا لم تتحقق شروط إباحة التعدد وجب الاقتصار على واحدة.

وهذه الآية تتحدث عن إنصاف الزوجات مطلقا، سواء كن أكثر من واحدة حتى الأربع، أو واحدة فقط، وتستهل هذه الآية بالأمر لمريدى الزواج من الرجال فى قوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ والصدقات بضم «الدال» جمع «صدُقة» بضم الدال، كذلك، والمراد بها «الصداق أو المهر»، أو «الفريضة» كما أطلق عليها القرآن من قبل فى قوله تعالى: ﴿وقد فرضتم لهن فريضة﴾.

والفرق بين «الصدُقات» بضم «الدال» والصدقات» بفتح «الدال» أن المفتوحة «الدال» هى ما يعطى للفقراء والمساكين من المال ابتغاء وجه الله - عز وجل - فى غير عِوض إلا الطمع فى الأجر من الله، وفيها يكون المحسن إليه غير مشغول الذمة بشىء نحو المتصدق.

أما الصدُقة المضمومة «الدال» التى جمعها: «صدُقات» بضم «الدال» فهى فى مقابلة امتلاك باذلها لـ«بُضع» المرأة، دون غيره من الناس ودون غيرها من النساء.

فهى بذل مال مقدم شرعا فى نظير إنشاء العلاقة الزوجية بين الخاطب والمخطوبة.

و«الصدُقة» بضم «الدال» ملك خالص للمعقود عليها، تتصرف فيه كيف تشاء، دون أن تكون ملزمة بإنفاق أى شىء منه على تكوين منزل الحياة الزوجية أو الإنفاق منه على حاجيات المنزل بعد الزواج وما يجرى الآن من تعاون الزوج والزوجة على تأثيث المنزل، وإعداده للمعيشة. هذا عرف قد تعارف الناس عليه، والشرع لا يمنعه، لأن المهر حق للزوجة، والحقوق يجوز التنازل عنها أو عن بعضها إذا

كان هذا صادرا عن إرادة حرة من صاحب الحق.

والتعاون - عموما - فى الخير خُلق مأمور به من أخلاق الإسلام.

﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ المائدة: آية ٢.

ويكون التعاون على الخير بين من تربطهم صلات حميمة آكد وأعظم، وفيه تأليف القلوب وتقوية الأواصر ما فيه ومعنى «نحلة» فريضة.

وبعض العلماء جعل الأمر فى قوله تعالى: **«وآتوا»** لأولياء أمور الزوجات، لأنهم هم الذين يتسلمون «المهور» من خاطبى فتياتهم، وفى هذا توكيد لما تقدم من أن «المهر» حق خالص للزوجة، لا يشاركها فيه أب ولا أخ من أولياء أمورها، ونرى أن الأمر يعم الاثنين معا:

- الأزواج العاقدين عقد نكاح.

- وأولياء أمور المعقود عليهن، ولا يجوز لأحد مشاركة الزوجة فى الانتفاع بما تستحقه من المهر فهى صاحبة التصرف فيه دون غيرها.

هذا، وقد تبين لنا أن ضم «الدال» فى «صدُقاتهن» أمارة فاصلة بين «الصدقات» التى يتصدق بها القادرون على ذوى الأعذار من الفقراء والمساكين وعابرى السبيل(١)، وغيرهم من مستحقى الزكاة.

وبين ما شرعه الله للنساء عند التزوج بهن من حق مال يبذله الزوج عن طيب نفس للزوجة هذا هو الفرق بينهما.

وبقى أن يقال أن بينهما رابطة جامعة مع وجود هذا الفرق، وتلك الرابطة هى:

أن كلا منهما مشتق من المادة أو الجذر اللغوى (ص - د - ق).

وهذا الجذر أو هذه المادة تدور معانيها لغة حول الصدق، والاعتماد، والإلف والوئام، وهذه المعانى أو بعضها مرادة - هنا -:

● فالصدقة التى تعطى للفقير فيها دليل على صدق إيمان معطيها؛ لأن النفس مجبولة على حب المال حريصة كل الحرص على جمعه وحفظه، زاهدة كل الزهد فى إخراجه بعد جمعه. كما قال - عز وجل -: **﴿وتحبون المال حبا جما﴾** الفجر: آية ٢٠.

وكمال فى وصف الإنسان بالحرص على مافى حوزته من الأموال: **﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾** العاديات: آية ٨.

لذلك كان إعطاء المال لذوى الأعذار دليلا على صدق الإيمان بالله وقوته فى قلوب المؤمنين وكذلك سمى «المهر» صداقا، وصدُقة. لأنه دليل على أن الزوج مخلص وصادق الرغبة فى اختيار التى يتقدم للزواج منها. وأنه جادٌّ فى هذه الرغبة غير هازل.

ويؤيد هذا الحديث الصحيح: **«والصدقة برهان»** أى دليل قوى قاطع على قوة الإيمان بالله، وعلى إيثار ما عنده من جزاء حسن، على ما فى الدنيا من مغريات زائلة.

﴿فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ إن شرط مشاركة الزوجة فى الانتفاع بالمهر هو الرضا الخالص منها، الخالى من كل شائبة من شوائب الإكراه سواء كان المقصود بالخطاب فى قوله «لكم» الأزواج أو أولياء أمورهن، أو هما معا.

وفى التعبير بالأكل فى «فكلوه» بدل: انتفعوا، لأن الأكل غاية الانتفاع، وأقصى وجوه التصرف فى المال المسموح به من مهور النساء.

أما **«هنيئا مريئا»** فمعناه فيما يبدو الدعاء لهم بأقصى وأمتع أوجه الانتفاع. كما يقول بعضنا لبعض «هنيئا مريئا» أى سائغا فى المرىء، مشعرا لك بالهناء والسعادة، وحسن العاقبة.

ولم يعطف «مريئا» على «هنيئا» فلم يقل: هنيئا، ومريئا معتدا لاجتماع الأمرين معا. وهذا من كمال النعمة.

وأنت ترى أن هذه الآية مثل أخواتها التى سبقت فى كل المقالات.

من محاسن الإسلام ومزاياه الفريدة فى تشريعات المرأة، وتقرير حقوقها، والحفاظ عليها، والدفاع عنها.

وأنه ليس لأحد سلطان عليها فيما قرره الله لهن من حقوق. وفرض لهن من تكريم وحسن رعاية ومع هذا يحلو لبعض الحمقى أن يجاروا أعداء الإسلام فى أن الإسلام يحتقر المرأة. بل ويظلمها، فالويل لهم مما يصفون.

***

﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾ النساء: آية ٧.

المعنى العام لهذه الآية تقرير مجمل لنظام التوريث، إذا توفى أحد الوالدين أو كلاهما، فإن مصير ما يتركانه من مال يؤول إلى أبنائهم أو بناتهم، ويشترك مع الأبناء ذكورا وإناثا، أولو القرابة القريبة من المتوفى، وهذا معنى قوله: **﴿للرجال نصيب..﴾**، **﴿وللنساء نصيب..﴾**.

وهذا ملمح من ملامح عدالة الإسلام، فى النص على أن النساء يتساوون مع الرجال فى أن لهم ولهن نصيبا فى الميراث يوزع حسب ما اقتضت الحكمة الإلهية، فوجود الرجال لا يحرم النساء من الإرث، وإن تتفاوت الحظوظ فى بعض الحالات على أساس عادل ومعقول المعنى.

ويعود القرآن فيؤكد هذا الاستحقاق فيقول: **﴿مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾**.

أى أن الاستحقاق بنوعيه فى جانب الرجال، وفى جانب النساء وهو حق ثابت على جهة الفرضية. فلا مناص من إنفاذه فى كل حال، ولا يجوز العدول عنه، لأنه نصيب مفروض».

وهذه الآية دفعت ظلما شنيعا كان يصيب المرأة فى الجاهلية، سواء فى ذلك البيئة العربية وغيرها لأن العرب كانوا يحرمون النساء من الإرث حرمانا مجمعا عليه بينهم جميعا.

بل كانت المرأة نفسها تورَّث ضمن تركة المتوفى فى بعض الحالات، وكأنها مال لا إنسان له حظ من الكرامة، وقدر من الاعتبار والاحترام؟ كانوا إذا مات منهم أحد، وترك زوجة وكان له أبناء ذكور من زوجة غيرها. جاء أكبرهم وألقى عليها رداء وتصبح ملكا له من دون إخوانه من أبيه.

ويصبح من حقه أن ينكحها نكاح ملك اليمين؟

فهذان خطآن كانا يرتكبان ضد المرأة العربية فى الجاهلية إلى أن جاء الإسلام.

فما كان من الإسلام إلا أن يواجه هذين الخطأين واحدا تلو الآخر. وفى ذلك ورد قوله تعالى: **﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾** النساء: آية ٢٢.

أما الخطأ الثانى، وهو حرمان النساء من الميراث فقد أبطله القرآن فى الآية التى معنا: **﴿.وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾**، فهذا نص تشريعى قطعى الثبوت، لأنه قرآن، وقطعى الدلالة؛ لأن معناه صريح لا يقبل التأويل ونلاحظ أن القرآن أفرد النساء عن الرجال حين قال: **﴿وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾**، ولم يقل ـ مثلا ـ: وللرجال والنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون.

وهذا الإفراد فيه تأكيد لحق النساء، حيث لم يذكر حقهن مدروجا فى سياق الحديث عن حق الرجال. بل هو حق قائم بذاته كما ترى.

وهذا من عناية الإسلام بما للمرأة من حقوق لأنهن «**شقائق الرجال**» كما جاء فى الحديث الصحيح. والموروث الذى للرجال وللنساء نصيب مما ترك هو صنفان:

الأول: الوالد الذكر: (الأب) والوالدة الأنثى: (الأم) وهما أصول الوارث أيا كان نوعه.

الثانى: الأقربون من غير جهة «الوالدية» وهم كثيرون، منهم:

● **الولد:** سواء كان واحدا أو أكثر.

● **البنت:** سواء كانت واحدة أو أكثر.

● **الأخ** الذى يموت وله أخوة ذكور أو ذكور وإناث، أو إناث فقط.

● **الأخت** الشقيقة أو لأب أو لأم.

● **والعم:** وهكذا مما هو منصوص عليه فى علم الفرائض كالزوج ترثه زوجته، والزوجة يرثها زوجها.

فأنت ترى أن هذه الآية وإن كانت فى ظاهرها تشريعا عادلا فى حق الرجال والنساء معا، فإنها من حيث المعنى فيها انصاف يكاد يكون مقصورا على النساء وحدهن، لأن الرجال كانوا يرثون من قبل نزولها، والجديد الذى فيها هو استحداث إرث النساء اللاتى كن محرومات من الإرث فى الجاهلية، فلما جاء الإسلام وأنزل - فيما أنزل - هذه الآية وغيرها نالت المرأة حقها من تركات أبيها وأمها وأقربائها الأقربين.

وبذلك قضى الإسلام على ما كان يصيبها من إجحاف بحقها، وظلم مجمع عليه بحرمانها مما كان الذكور وحدهم ينعمون به، على غير أساس صحيح سوى أنهم ذكور وسوى أنهن إناث، حتى لو كن مع الذكور فى درجة واحدة فى الانتساب إلى المتوفى أبا كان أو أما، أو أخا أو أختا.

فهذا النظام خلا من الأسباب الصحيحة إيجابا وسلبا.

إيجابا فى استئثار الذكور وحدهم بتركة المتوفى.

وسلبا بحرمان الإناث وحدهن من الانتفاع بالإرث.

ومحاسن الإسلام ومزاياه فى هذه الآية فى تشريعات النساء بعد الذى قدمناه من توضيح لا يخفى على أحد مهما كان حظه من الفهم.

***

﴿يوصيكم الله فى أولادكم﴾.

﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾.

﴿فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾.

﴿وإن كانت واحدة فلها النصف﴾.

﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد﴾.

﴿فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث﴾.

﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾.

﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾.

﴿فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما﴾ النساء: آية ١٠.

الآية التى فرغنا قبلا من دراستها قررت فى حزم وإجمال إشراك النساء مع الرجال فى الإرث عن الوالدين والأقربين لكنها لم تفصل أنصبة الرجال ولا أنصبة النساء.

أما هذه فقد فصلت بكل وضوح ما أجملته الآية الأولى، وهذا يحدث لأول مرة فى تاريخ التشريع الإسلامى.

أما قبل هذا فكان الرجل يوصى بتوزيع تركته بعد موته على هواه، حتى أن بعضهم كان يحرم والديه وأقرباءه من ماله، ويوصى به لغيرهم من عامة الناس.

وكان أول توجيه للإسلام، أو أول تدخل فى مسألة التوريث، هو إشراك الوالدين والأقرباء فى التوصيات التى يتركها المتوفون فى توزيع تركاتهم وذلك فى قوله تعالى: **﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين﴾** البقرة: آية ١٨٠.

ثم جاء التشريع النهائى فى الإسلام بتوزيع التركات بنسب متفاوتة إما دائما كما فى حظوظ البنات مع البنين، أو فى حالات طارئة، مثل حظ الأم مع الأبناء وحظها مع الأب إذا كان

للميت ولد، أو ليس له ولد.

ونلاحظ أن أول ما نصت عليه الآية هو حظ البنت مع أخيها فى حالة وفاة أحد الوالدين سواء كانت البنت واحدة مع أخ واحد، أو أكثر من ذلك: بنتان أو أكثر على أخ أو أكثر وهكذا، وهذا التقسيم يتخذ منه الكارهون لما أنزل الله عملاء أعداء الإسلام، يتخذون منه نافذة للطعن فى الإسلام ووصمة بأنه ظالم للمرأة، وناظر إليها نظرة دونية ويؤثر الرجل عليها، إذ لا سبب عندهم فى نظرهم القاصر لتفضيل الذكر على أخته الأنثى فى هذا التوزيع والعدالة - عندهم - أن توزع التركة بالتساوى بين الأخوة الذكور والأخوات الإناث؟

﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾.

لكن العدل - كل العدل - فيما شرعه الله، هنا فى ميدان الميراث، وفى غيره من الميادين، لأن أساس هذا التشريع هو مراعاة الأعباء المالية فى حياة الأخ الذكر، والأخت الأنثى.

وهذه الأعباء كما هى فى الواقع تقتضى هذا التفاوت فى انصباء الذكور والإناث، لأن الأخ له أعباؤه المالية فى الحياة تفوق أعباء الأخت، أو أعباء الرجل مطلقا تفوق أعباء المرأة مطلقا. وواقع الحياة أصدق دليل على ذلك.

فالإسلام - كما هو معروف - لم يكلف المرأة فى جميع مراحل حياتها بالإنفاق على نفسها:

فهى - بنت - فى الأسرة منذ ولادتها نفقتها على أبيها فإذا تزوجت انتقلت نفقتها فصارت واجبا على زوجها، فإذا مات أبوها أو طلقت أو مات زوجها، فهى صاحبة نصيب فى تركة أبيها، وفى تركة زوجها.

وإذا تعرضت للفاقة مع ذلك وجب على ولدها أو أولادها الإنفاق عليها.

هذا فى شرع الله الحكيم، والإسلام كلٌّ لا يتجزأ، لذلك جعل الله نصيبها فى تركة أبيها إذا كان لها أخ ذكر نصف نصيب أخيها، أى بنسبة ١:٢ مهما بلغت التركة من الصعود أو الهبوط.

أما الأخ الذكر، الذى جعل الله له مثلى نصيب أخته فهو وإن كانت نفقته قبل البلوغ على أبيه مثل أخته، فإن هذا غير دائم لأنه إذا بلغ وكان قادرا على الكسب أصبح مسئولا عن الإنفاق على نفسه.

وفى الوقت نفسه نجد الإسلام لم يقرر مرحلة البلوغ عند الأنثى مسقطة لوجوب نفقتها عن الأب فهذه ميزة تتمتع بها «الأنثى» ويحرم منها الذكر لأن الأنثى تظل نفقتها على الأب حتى بعد البلوغ قبل أن تتزوج، فهى قد أمَّن لها الإسلام الاستقرار فى حياتها قبل الزواج وبعد الزواج.

فإذا حصلت بوفاة أبيها على سهم من تركته وحصل أخوها على سهمين، ثم تزوجت ظل ما حصلت عليه من تركة أبيها رصيدا احتياطيا ترصده للطوارئ فى الحياة.

وهذا النصيب الذى حصلت عليه يصبح مرشحا للزيادة، وأول زيادة تطرأ عليه هى المهر الذى يبذله لها من يتقدم إلى الزواج منها.

وفى كل الأحوال فإن ما تحصل عليه من أحد والديها يظل فى الغالب بعيدا عن آفات الإنفاق والاستهلاك، أما أخوها فإذا تقدم للزواج، وهو حق له فى الحياة فإنه مطالب.:

- بصداق يبذله لمن يريد الزواج منها، وهو حق خالص لها لا يجوز له الانتفاع به إلا برضاها.
- يؤثث منزل الحياة الزوجية بما يناسب حالته المالية والاجتماعية، وبما يناسب حالتها هى الاجتماعية، ومستوى المعيشة التى كانت تعيشها فى بيت أسرتها، فإذا كانت فى بيت أبيها مخدومة فعليه أن يوفر لها من تخدمها وهى فى بيته.
- وجوب الإنفاق على الزوج بدءا بالإنفاق على زوجته، وعلى من ينجبه من الذكور والإناث، ومعنى هذا أن ما يحصل عليه أخوها من تركة والديه

تنتظره عدة منافذ للإنفاق منه بينما الذى تحصل عليه الأخت يظل فى مأمن من هذه الآفات.

وبذلك يتضح لنا وجه الحكمة فى إعطاء الشرع الذكر مثل حظ الأنثيين بنسبة ٢:١، يعنى: الثلثين فى مقابلة الثلث.

هذا يوم وفاة الموروث أبا كان أو أما.

فإذا تجاوزنا ذلك إلى المرحلة التالية وجدنا لدينا أسرتين:

● الأخ ومعه زوجته، وربما أولاده إن كان قد تزوج قبل وفاة الوالد، وهذا هو الكثير فى حياة البشر.

● الأخت ومعها زوجها، وربما أولادها كذلك فإذا اقتصرنا على الأصول (الآباء والأمهات) دون الفروع (الذرية) وجدنا كل أسرة من الأسرتين مكونة من عضوين:

زوج وزوجة. ووجدنا مسئولية كل عضو تختلف عن مسئولية العضو الآخر، ولتكن المقارنة بين الزوج والزوجة الشقيقين اللذين تفاوتت أنصباؤهما فى الميراث من والدهما. فالزوج (= الأخ فى مسألة الميراث) تقع عليه مسئولية ضخمة مالية واجتماعية وأدبية.

بينما الزوجة فى الأسرة الثانية (الأخت فى مسألة الميراث) لا تقع عليها أية مسئولية مالية، حتى لو كانت ثرية، ومسئوليتها هى تقع على عاتق زوجها المقابل لأخيها فى الأسرة الأولى.

إذا دققنا النظر فى هذه التحليلات تجلت لنا حكمة الحكيم فى إعطاء البنت نصف نصيب أخيها. حتى لكان النقص فى نصيب الأخت منظور فيه إلى تكميل الزوج بالإنفاق عليها.

وحتى لكان الزيادة فى نصيب أخيها منظور فيها إلى مشاركة زوجة أخيها له فى النصيب الذى حصل عليه من الميراث.

يعنى أن زوجة أخيها سواء كانت موجودة فعلا يوم حصوله على نصيبه من الميراث، أو وجدت بعد ذلك نزِّلت فى علم الله وحكمته منزلة أخت ثانية لها لأن نفقتها واجبة على زوجها.

وفى ضوء هذا البيان يكون أخوها حين حصل على مثلى نصيبها، لم يحصل عليه وحده. بل مع أخت لها ليس من أبيها ولا من أمها.

أما هى (الأخت الحقيقية التى حصلت على نصف نصيب أخيها) فإن وجوب نفقتها على زوجها بمثابة تعويض لها عن النقص الذى حدث فى نصيبها عن نصيب أخيها يوم وفاة الوالد الموروث.

إذا وضعنا هذه الحقائق أمام أبصارنا تجلت لنا روح العدالة الحقة فى هذا التشريع المعجز الحكيم. الذى ورد فى قوله تعالى: **﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾**، وانتفى وصف الإسلام بأنه ظالم للمرأة فى هذا التوزيع، الذى توخى أسباب العدل ما ظهر منه وما بطن.

إنه - وبارئ النسم - لتشريع حكيم معجز حقا لأنه نزل بعلم الله. والله بكل شىء عليم. إن كلا من الزوجين فى الأسرتين اللتين حللنا بكل دقة أوضاعهما، ردَّ فيها الزوج على زوجته ما زاد على نصيب أخته فى توزيع الميراث. فهل بعد ذلك عدالة يتصورها عاقل؟

هذا هو ما يختص بالصورة الأولى من صور نظام التوريث فى القرآن الحكيم. وقد تبين من العرض والتحليل أن الإسلام - دائما - ينشد العدالة المطلقة ولا يحابى أحدا على أحد، فكل الخلق عباد الله - عز وجل -.

ومع هذا وضع القرآن ضمانات لحفظ حقوق المرأة ووضع القرآن نفسه - دائما - موضع المحامى عنها الأمر بحسن معاملتها، وشدد النكير على من ينتقصها حقوقها أو يقصر فى حسن رعايتها ومعاشرتها بالمعروف.

الهوامش:

١ - عابر السبيل هو الغريب المسافر فى طريق وقد فقد ماله وهو لا يعرف أحدا يقترض منه، فيعطى الولاة ما يسد حاجته حتى يبلغ مأمنه.

لماذا أسلم هؤلاء؟
الإنجليزية كريستينا

«مرحبا بمن عاتبني فيه ربى».
هذا ما كان يقوله رسولنا الكريم ﷺ، كلما مر عليه عبدالله بن أم مكتوم، ذلكم الأعمى الذى ذهب إلى رسول الله ﷺ يطلب منه فى إلحاح أن يعلمه القرآن، قائلا: «أقرئنى وعلمنى مما علمك الله، وكان رسول الله ﷺ فى حديث مع واحد من سادات قريش، يدعوه إلى الإسلام، ذلك الرجل هو الوليد بن المغيرة، الذى أراد رسول الله أن يدعوه لينضم إلى المسلمين تحت راية التوحيد، وكان حديث رسول الله إلى الوليد يتركز فى ذلك لأن بنى قوم الوليد بن المغيرة سيتبعونه بالدخول تحت راية التوحيد، وفى هذه الآونة جاءه عبدالله بن أم مكتوم، فأشاح الرسول بوجهه عابسا للإلحاح الذى كان عليه، وأعرض عنه، فعاتبه الحق تبارك وتعالى فى سورة عبس قائلا:

الإسلام.. كرّم المرأة وأعطاها كل حقوقها!!

أحمد حامد

﴿عبس وتولى* أن جاءه الأعمى* وما يدريك لعله يزكى* أو يذكر فتنفعه الذكرى* أما من استغنى* فأنت له تصدى* وما عليك ألا يزكى* وأما من جاءك يسعى* وهو يخشى* فأنت عنه تلهى﴾ عبس: ١ - ١٠.

إلى هذا الحد أراد الحق تبارك وتعالى أن يقول لرسوله إنه يغار على عباده، ويحب أن يكونوا متساوين لا فرق بين الناس إلا بتقواهم وقوة إيمانهم هى الدليل على هذه التقوى، فالكل رغم ذلك تحت راية التوحيد سواء.

هذا هو الإسلام، الذى أراد الله به رحمة العالمين، حتى لا يفترى أحد على أحد، ولا يغتر أحد على أحد، بغناه، أو بحسبه، أو بنسبه، أو بقوته، أو ما شابه ذلك، فالكل أمام الله سواء.

وقد كان رسولنا الكريم ﷺ أول من يطبق هذه المساواة، فكان يلوم قومه إذا حضر وهم جلوس، ووقفوا، فكان يقول لصحبه: «**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضا**».

وكان الخدم فى الجاهلية يعاملون بمنتهى الغلظة والعنف من مخدوميهم، لكن جاء الإسلام ليساوى بين الخادم، والمخدوم، وفى هذا يقول رسول الله ﷺ: «**هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم، فأعينوهم**».

هذا هو الإسلام، فقد خلق الله الناس من ذكر وأنثى كما يقول فى الآية ١٣ من سورة الحجرات: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**.

وهذه هى كريستينا الإنجليزية المولودة فى مصر يوم خروج الملك فاروق منها والذى عاث فيها فسادا كما تقول وخرجت من مصر وأنا فى الرابعة من عمرى، لكنى عدت إليها كثيرا فقد أحببت كل شىء فيها، فقد كانت تقول لى: من يشرب من نيل مصر لابد وأن يعود إليها.

وتقول الإنجليزية كريستينا نورثويل، وعدت إليها حبا فى كل شىء فيها، وحبا فى حب أمى فيها إلى أن صارت مصر معشوقتى، فكنت أقضى إجازاتى القصيرة والطويلة بها طوال سنى دراستى فى جميع مراحل التعليم، إلى أن زرتها مع صديقاتى وأنا بالجامعة أدرس الهندسة.

وكان النداء للصلاة قد لفت نظرى مع زميلة لى أرادت أن

تعرف عن هذا النداء الكثير، فكنا نسأل فلا نجد من يجيبنا الإجابة الكافية، إلى أن اقترح أحد الذين سألناهم، أن نذهب إلى الأزهر، وهناك سنجد من يقول لنا كل شىء عن الأذان وما نريده.

وذهبت وزميلتى إلى الأزهر ورأينا الناس تملأ ساحة الجامع الكبير، وكانوا يصلون الظهر فوقفنا نشهد هذا المنظر الرائع الجميل، فالصفوف متراصة فى انتظام، والصلاة تتم فى خشوع وهدوء ووقار، والنساء فى مكان خاص بهن للصلاة، مع هذا الجمع الخاشع. وسألنا بعد الانتهاء من هذا الجمع الكبير، عن المسئول فى الجامع نسأله، فأشار لنا إلى المبنى المقابل الموجود به شيخ الأزهر آنذاك، فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق، ولما عرف المسئولون ما نريد، ذهبوا بنا إلى فضيلة الشيخ مهدى عبدالحميد، وفى مكتب مجاور له عرفنا الإسلام، وكنا سعداء لأن الذى يشرح لنا كان فى منتهى الهدوء وهو يتحدث عن أغلى شىء منحه الله للناس منذ استوى على العرش وخلق الكون الذى نعيش عليه، إن الإسلام هو الحقيقة التى وضعت يدى عليها، من خلال حديث الشيخ الأزهرى معنا، ومن الكتب التى حملناها معنا من مشيخة الأزهر، بالإنجليزية عن الإسلام ورسوله ﷺ، وقبل أن نغادر الأزهر قال لنا الشيخ إذا أردتم معرفة المزيد أو استغلق عليكم فهم شىء فى الكتب اسألوا المشايخ فى المركز الإسلامى فى لندن العاصمة التى تنتمى بلدكم إليها، وستجدون الإجابات على ما تريدون، وعنوان الأزهر لديكم اكتبوا لنا سائلين أيضا عن ما تريدون، ونحن نرسل لكم الإجابات الشافية إن شاء الله.

وسافرت إلى انجلترا، ولم يمر يوم دون القراءة عن الإسلام ورسوله وكتابه، وشدنى مثابرة رسول الله ﷺ وصبره على المكاره التى حدثت له وهو يدعو الناس جهرا إلى عبادة الله الواحد، الفرد، الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولا يوجد له نظير أو شريك فى الملك، فهو الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، له مافى السموات ومافى الأرض مما جعل محمدا يعانى بشكل غير عادى عداء أهله وعداء الذين يحقدون عليه لاختيار السماء له رسولا إلى العالمين برسالة ملؤها المحبة الحقيقية هدفها السلام العالمى الذى تنشده البشرية، ليسود الاستقرار ويعم الرخاء، ويستفيد الناس من الأمن والأمان فيعيشون حياتهم آمنين على يومهم وغدهم.

الأذان.. كان المفتاح الذى قادنى إلى الحق والحقيقة!!

وتقول الإنجليزية: لقد هدانى الله إلى دينه، وبين عشية وضحاها، صرت مسلمة القلب والعقل والوجدان، ونطقت بالشهادتين، وأسميت نفسى عائشة تيمنا باسم السيدة عائشة - رضى الله عنها - زوجة رسولنا الكريم ﷺ، وأحب زوجاته إلى نفسه بعد الوزيرة المؤازرة السيدة خديجة بنت خويلد، التى أفنت مالها على دعم الدعوة إلى دين الله الخاتم.

وحصلت على دبلوم فى الدراسات الإسلامية وبالطبع درست طبيعة الجزيرة العربية قبل الإسلام علاوة على دراستى لليهودية والمسيحية والأديان الوضعية، وكان عنوان دراستى: «الله واحد فى الإسلام».

وهالنى ما كان يحدث للمرأة قبل الإسلام، ولم تكن المرأة فى الجاهلية إلا كالبقرة الحلوب، تنجب وهذه مهمتها، وكانت تورث بعد وفاة زوجها كأنها قطعة من أثاث أو عقار من تركة الميت، وشعرت المرأة لأول مرة فى تاريخ البشرية أن لها حقوقا كالرجل، فمن حق المرأة أن تختار زوجها، ولا يفرض عليها، ومن حقها أن تتعلم مثله وتتفوق عليه إذا تسنى لها ذلك ببساطة، فالمرأة فى عهد

رسولنا الكريم كانت تشترك مع الرجال فى الجهاد، فى الخطوط الخلفية للغزوات والحروب، فعملت فى التمريض وإعداد المؤن للمجاهدين.

وهذه هى السيدة عائشة، زوج الرسول، تعلمت فى مدرسة رسول الله ﷺ، ونقلت عنه الأحاديث التى يتداولها المسلمون الآن، وصارت المرأة بالإسلام قادرة على الطلاق من زوجها إذا رأت أنه يتعامل معها بحيوانية، ولا يحترم آدميتها، ولا يحترم وجودها كبشر له الحق فى الامتلاك والعمل، وإذا رأت أنه يعمل على ابتزاز أموالها التى تجنيها من عملها.

إذن الإسلام أفاد المرأة فى العالم كله، ليست فى الجزيرة العربية فقط، وأخذ الغرب أفضل مافى الإسلام وطبقوه، ونسبوه إلى أنفسهم، فأين كانوا منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، لقد كانوا لا شىء يذكر، وفضل الإسلام، وعلماء الإسلام فى كل بقعة دخلها الإسلام، أعطوا الغرب خلاصة علمهم وفكرهم فى مختلف الفنون والعلوم، صحيح أنهم طوروها لكن الفضل راجع إلى العلماء المسلمين الذين أثروا الحياة فى كل مكان بكل ما آتاهم الله من علم.

وتقول كريستينا نورث ويل، الإنجليزية المسلمة: تزوجت إنجليزيا أسلم كى يتزوجنى، فقد كان يهيم بى حبا، وحسبته يحبنى فعلا، فإذا بى أجده يحاول بكل ما أوتى من حيل الشيطان أن يأخذ أموالى، فأنا من أسرة ثرية، لم تتركنى بعد إسلامى، بعدما حصلت منها على أموال طائلة علاوة على مسكن كبير فى العاصمة لندن، وسكن آخر فى الريف الإنجليزى، وحاول هذا الزوج أن يضع يده على أموالى، وراتبى الذى أتقاضاه من عملى، ولما رفضت راح يطلب منى الرجوع عن الإسلام، ورفضت بشدة الردة. ومنعت نفسى عنه، فقد كنت أشك فى إسلامه، والحمد لله، لم أنجب منه، وساومنى على الطلاق، ولم أرفض ذلك، لأتمتع بإسلامى بعيدا عن مستغل شيطان، أراد أن يعيدنى إلى وكر الشيطان لكنى فيما بعد تزوجت مرة ثانية من إنجليزى مسلم إسلاما حقيقا، رشحه لى زوج صديقتى المصرية المسلمة، وأنجبت منه: محمد وفاطمة ومصطفى، قرة عيون أبويهم، وأدينا فريضة الحج أيضا، ومازلت أزور مهبط رأسى مصر العزيزة الغالية، وأصلى بالمسجد الحسينى، متمتعة بوجود المصريات يصلين بجوارى، فأشعر بدفء، غال لم أستشعره فى مكان ما غير مصر.

القصاص فى الإسلام.. ضرورة ليعم الأمن والاستقرار!

وتقول: أحضرت لأولادى من يعلمهم اللغة العربية، كى يتعرفوا على الدين من منبعه الصافى، القرآن الكريم، الذى أنزله الله على عبده ورسوله ليكون نورا يهديهم إلى الحياة السوية، فهذا كتاب الله الذى لن يتبدل على مر الزمن، فكل الكتب تم تزويرها لكن هذا الكتاب لن يستطيع بشر أن يزور فيه لأن الله يحفظه إلى أن تقوم الساعة، ليعرفوا أن هذا الدين الخاتم إنما أراده الله للعالمين، ليفرض على الناس المساواة فى الحقوق والواجبات، أمام شريعته العظيمة التى طبقها الرسول على نفسه، فهذا هو رسول الإسلام يقول: **أيها الناس، من كنت جلدت له ظهرا، فهذا ظهرى، فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضا، فهذا عرضى، فليستقد منه، ومن أخذت له مالا، فهذا مالى، فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء فهى ليست من شأنى».**

وهاهو رسول الله إلى العالمين، يريد لحدود الله أن تتحقق، حاضرا وغائبا، فهى حدود لابد من تنفيذها مهما علا الذى سيقام عليه الحد شأنا.

ولا أحد يستطيع أن ينسى المرأة المخزومية التى سرقت وخاف قومها قطع يدها ففى قطع يدها إهانة بالغة لقومها ففكروا طويلا ووجدوا أن

الاتصال بحبيب رسول الله سوف يمنع إقامة الحد عليها، فذهبوا إلى زيد بن حارثة وتحدثوا معه أن يشفع لهذه المخزومية عند رسول الله ﷺ وتحدث زيد بن حارثة إلى رسول الله بما جاء به قوم المخزومية السارقة، وطلب من رسول الله ألا يقيم عليها الحد، كما سألوه، وتوسلوا إليه.

فقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة مظهرا غضبه: «**أتشفع فى حد من حدود الله؟!**».

إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

قال رسول الله ذلك فى جمع من الناس، ليعرفوا أن حدود الله قائمة على أصحاب الجاه والثراء والحسب والنسب، والفقراء من الناس، فالمساواة بين الناس فى حدود الله، هى العدل الذى ينادى به خاتم الأديان.

وهذا رسول الله فى غزوة بدر، كان يسوى صفوف المجاهدين، وكان أحدهم متقدما على الصف، فأراد أن يساويه بالصف، فمد سيفه إلى صدره فى هدوء، ليقف مكانه، فقال له هذا المجاهد: «لقد أوجعتنى، فأنصفنى يارسول الله».

وتقدم منه رسول الله ﷺ وهو يعرّى بطنه وصدره قائلا: «**دونك بطنى فاقتص منى**».

فأقبل هذا المجاهد على بطن رسول الله يقبله ثم يكرر قولته: «**هذا اليوم الذى أفدى رسول الله فيه بحياتى**».

كان اسم هذا المجاهد: سواد بن غزية.

وتقول كريستينا نورث ويل، أو عائشة عبدالله، الإنجليزية المسلمة: إلى هذا الحد كان رسول الله، وكان أتباعه، رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأتمنى من الله تعالت قدرته وتباركت أسماؤه وتقدست، أن يضع فى قلوب وعقول المسلمين هذا الإيمان الصادق بكتابه، لتنفيذ حدوده، ليعيش العالم فى سلام.

وتقول: طبعا الأذان الذى كان السؤال عنه مفتاح الحياة الحقيقية لى فقد عرفت من خلاله الإسلام ورسوله وكتاب الله الكريم ـ القرآن الكريم ـ.

وإليك قصة الأذان الذى ينادى المسلمون به خمس مرات فى اليوم لأداء صلواتهم التى فرضت عليهم فى رحلة المعراج التى أكرم الله بها رسوله الأعظم محمد ﷺ.

بعد أن استقر الإسلام، وفرضت الصلوات الخمس جمع الرسول صحبه واستشارهم فى كيفية جمع المسلمين عند كل صلاة ـ فمنهم من قال ندق الناقوس، ومنهم من قال نشعل النيران، ومنهم من قال ندق الطبول، ومنهم من قال نطلق الصفارات.

ولم يحظ أى اقتراح بإجماع على الإطلاق، واعتبروا ما قيل بدعا لا يمكن أن يكون عليها نداء المسلمين للصلاة، وتفرقوا دون الوصول إلى طريقة لدعوة المسلمين إلى الصلوات.

وكان من بينهم صحابى يدعى عبدالله بن زيد الخزرجى، ذهب مهموما بما أهم رسول الله، فنام دون تناوله طعامه، فرأى فى منامه رجلا يسأله عن الهم الذى يعتريه، فقال له، وكرر الرجل ما قاله الجالسون مع رسول الله، ورفض الخزرجى ما قاله، وطلب منه الرجل أن ينظر إلى أعلى سطح بناية، فإذا بنفس الرجل، يرتدى زيا أنضر اللون. ونظر إلى الخزرجى، وراح ينادى بالأذان الذى نسمعه اليوم وغدا وإلى الأبد.

ولما استيقظ عبدالله بن زيد الخزرجى، ذهب إلى رسول الله وقص عليه ما رأى فى منامه، فابتسم الرسول، وإذا بعمر بن الخطاب قادم من ناحية أخرى، ليقص على رسول الله نفس رؤيا الخزرجى، وتتسع ابتسامة الرضى على وجه الرسول الكريم ﷺ، ويطلب منه عمر بن الخطاب، أن يذهب إلى بلال الحبشى بالأذان، ليحفظه، وينادى به الناس فى الصلوات الخمس، وكان بلال الحبشى صاحب صوت قوى جميل، فنادى بالناس بالأذان الذى نعرفه جميعا، وزاد عليه فى الفجر، الصلاة خير من النوم، ووافق عليها رسول الله ﷺ.

وتقول كريستينا: أحمد الله أنى مسلمة وعلى الإسلام أحيا فى بيتى مع زوجى وأولادى، وكل من يعرفوننى، وأتمنى أن أموت على دين الله الخاتم.

رحلة المقّرى فى طلب العلم

أ. د/ عبدالمقصود باشا

من الحكم المأثورة الخالدة: اطلبوا العلم ولو فى الصين. والمعنى أن نطلب العلم مهما طال السفر. وبعد المكان، فقد كانت الصين قديما - بالنسبة للعرب - هى الأبعد. ولكن هذا لا يهم مادمنا سوف نتعلم.

وعالمنا الذى نتحدث عنه هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبدالرحمن بن أبى العيش بن محمد أبو العباس المقرى. التلمسانى المولد، المالكى المذهب. نزيل فاس ثم القاهرة. حافظ المغرب. جاحظ البيان. يحدثنا التاريخ أنه لم يُرَ نظيره فى جودة القريحة. وصفاء الذهن وقوة البديهة. آية باهرة فى علم التوحيد والتفسير والحديث. معجزا باهرا فى الأدب والمحاضرة. صاحب المؤلفات الكثيرة منها «عرف الطيب فى أخبار ابن الخطيب»، «وفتح المتعال» الذى صنفه فى أوصاف بعض ملابس النبى ﷺ»، «وأزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض»، «وروض الآس العاطر الأنفاس فى ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس»، «والدر الثمين فى أسماء الهادى الأمين».

ولد رحمه الله بقرية تدعى مقرى من أعمال تلمسان، وكلمة مقرى لها قراءتان الأولى بفتح الميم وتشديد القاف وآخرها راء مهملة. والثانية بفتح الميم وسكون القاف. وأثناء زيارتى لتلمسان سمعت النطقين مشافهة، كما سمعت البعض ينطق كلمة تلمسان بسكون اللام وكسر الميم أو بكسر اللام وسكون الميم. والثانية أصح لكون أهلها ينطقونها هكذا بعكس الوافدين الذين ينطقونها بسكون اللام.

تميز المقرى بجودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة ظهر ذلك جليا فى مؤلفاته المتعددة

إذن فقد نشأ عالمنا المقرى بتلمسان وحفظ بها القرآن وكان عمه شيخ جليل يسمى أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرى الذى ظل مفتيا لهذه المدينة لمدة ستين سنة كما يروى المؤرخون. ومن جملة ما قرأ شيخنا على عمه كتاب صحيح البخارى. فقد درسه عليه سبع مرات. كما روى عنه إضافة إلى ذلك الكتب الستة بسنده عن أبى عبدالله التنسى عن والده، حافظ عصره محمد بن عبدالله التنسى، عن البحر أبى عبدالله بن مرزوق عن أبى حيان عن أبى جعفر ابن الزبير عن أبى الربيع عن القاضى عياض بأسانيده المذكورة فى كتابه الشفاء.

وكان المقرى يتحدث بإعجاب شديد عن بلده تلمسان، ويقول: إنها بلدة عظيمة من أحاسن بلاد المغرب وأنها فى يدالعثمانيين سلاطين مملكتنا. وهى الحد المضروب بين سلطاننا وسلطان المغرب.

ارتحل عالمنا الجليل أحمد بن محمد المقرى والتلمسانى إلى فاس مرتين من أجل طلب العلم والتفقه فيه. كانت الأولى سنة تسع بعد الألف وكانت الثانية سنة ثلاث عشرة بعد الألف.

ولئن كان شيخنا عبر عن إعجابه بمسقط رأسه تلمسان. وهى تستحق فقد زرتها من عشرين سنة. وهى منطقة ذات حدائق غناء وبساتين زاهرة وأهلها كرماء طيبون معظمهم من الأمازيغ - البربر - يتميزون بمسحة طيبة من الجمال، فقد أعجب شيخنا أيضا بمدينة فاس. وكان يخبر أنها دار الخلافة للمغرب. وكان بها على عهده الملك الأعظم مولاى أحمد المنصور. المشهور بالفضل والأدب المقدم ذكره. وفى عهد هذا الملك صارت إلى شيخنا المقرى الفتوى فى فاس. وظل بهذا المنصب إلى بعد وفاة هذا الملك ثم اختلت أحوال المملكة بسبب أولاده. وليس هذا الاختلال موضوع حديثنا إلا أن الذى يهمنا ذكره أن الشيخ ارتحل تاركا للمنصب بل وللوطن كله فى أواخر شهر رمضان سنة سبع وعشرين بعد الألف قاصدا حج بيت الله الحرام، فأرسل إلى صاحب مراكش وأمير فاس مستأذنا فى الرحيل للحج والاستزادة من العلم، وتمثل قول على بن عبدالعزيز الحضرمى:

محبتى تفضى مقامى

وحالتى تقتضى الرحيلا

أى أن حبى لكم وتعلقى بمقامكم تقتضى إقامتى بين ظهرانيكم ولكن ما أنا عليه من حب للعلم ورغبة فى الاستزادة منه، كل ذلك يجبرنى على الرحيل فى طلب العلم إلى بلاد وأسقاع العالم الإسلامى، فأجابه صاحب مراكش بقوله:

لا أوحش الله منك قوما

تعودوا صنعك الجميلا

وبيت الحضرمى هذا الذى ذكرناه آنفا هو أول أبيات ثلاثة كتب بها إلى عز الدولة ابن سقمون وكان فى خدمته والبيتان الآخران هما:

هذان خصمان لست أقضى

بينهما خوف أن أميلا

فلا يزالان فى خصام

حتى أرى رأيك الجميلا

فوقع عز الدين على ورقته: الرأى الجميل أن تمنع من الرحيل، وتسوغ الإقامة فى ظل دوحة وإحسان غمامه.

قال المقرى: وكتب إلى الفقيه الكاتب أبو الحسن على الخزرجى الفاسى بما كتبه أبو جعفر أحمد بن خاتمة المرى المغربى إلى بعض أشياخه:

أشمس الغرب حقا ما سمعنا

بأنك قد سئمت من الإقامة

وإنك قد عزمت على طلوع

إلى شرق سموتَ به علامة

لقد زلزلت منا كل قلب

بحق الله لا تقم القيامة

ثم ارتحل الشيخ رغم هذا الإلحاح عليه فى البقاء إلى مصر، فى رجب سنة ثمان وعشرين وألف. وتزوج بها من السادة الوفائية، وقد سئل عن حطه بها فقال: قد دخلها قبلنا ابن الحاجب وأنشد فيها قوله:

ياأهل مصر وجدت أيديكم

فى بذلها بالسخاء منقبضة

لما عدمت القرى بأرضكم

أكلت كتبى كأننى أرضة

وأنشد هو لنفسه:

تركت رسوم عزى فى بلادى

وصرت بمصر منسىَّ الرسوم

ونفسى عفتها بالذل فيها

وقلت لها عن العلياء صومى

ولى عزم كحد السيف ماض

ولكن الليالى من خصومى

ثم ارتحل المقرى بعد ذلك إلى بيت المقدس فى

كان المقرى آية باهرة فى علم التوحيد والتفسير والحديث

شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وألف ومكث فيها دارسا ومدرسا، ورجع بعد ذلك إلى القاهرة ولكن الحنين إلى طلب العلم والارتحال فى سبيله جعله يقرر ويكرر الذهاب إلى مكة فدخلها سنة سبع وثلاثين وألف من هجرة سيد المرسلين، وأملى بها دروسا عديدة ثم وفد على طيبة أى المدينة المنورة، وأملى بها الحديث النبوى بمرأى ومسمع منه ﷺ، ثم عاوده الحنين إلى مصر وعاد إليها سنة تسع وثلاثين وألف. ثم ارتحل إلى الشام وعرج إلى القدس فأقام بها خمسة وعشرين يوما ثم ورد منها إلى دمشق فدخلها فى أوائل شعبان من السنة المذكورة ولما وصلها أنزلته المغاربة فى مكان لا يليق به فأرسل إليه أحمد بن شاهين مفتاح المدرسة الجقمقية وكتب مع المفتاح هذه الأبيات:

كنف المقرى شيخى مقرى

وإليه من الزمان مفرٌّ

كنف مثل صدره فى اتساع

وعلوم كالبحر فى ضمن بحر

أحمد سيدى وشيخى وذخرى

وسمى وذاك أشرف فخرى

لو بغير الأقدام يسعى مشوق

جئته زائرا على وجه شكرى

فأجابه المقرى بقوله:

أى نظم فى حسنه حار فكرى

وتحلى بدره صدر ذكرى

أحمد المتطين ذروة مجد

لعوان من المعالى وبكر

حل مفتاح فضيله باب وصل

من معانى تعريفه دون نكر

يا بديع الزمان دم فى ازدياد

بالعلى وازدياد تجنيس شكر

ولما دخل إليها أعجبته فنقل أغراضه وأمتعته إليها واستوطنها مدة إقامته بدمشق وأنه - رحمه الله - أملى صحيح البخارى بالجامع الأموى، تحت قبة النسر، وكان إملاؤه يبدأ بعد صلاة الصبح، ولما كثر الناس وتزاحموا خرج إلى صحن الجامع تجاه القبة المعروفة بالباعونية، وكان يحضر الاملاء غالب أعيان علماء دمشق. أما الطلبة فلم يتخلف منهم أحد ويحدثنا التاريخ أنه يوم ختم الشيخ لإملاء صحيح البخارى كان يوما حافلا، اجتمع فيه الألوف من الناس، وعلت الأصوات بالبكاء، وأمام هذه الجموع الحاشدة نقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن بجوار الباب الذى يوضع فيه العلم النبوى فى الجمعات من رجب وشعبان ورمضان، وأتى له بكرسى الوعظ فصعد عليه وتكلم بكلام فى العقائد والحديث لم يسمع نظيره أبدا، وترجم للإمام البخارى وأنشد له بيتين أفاد أن ليس للبخارى غيرهما وهما:

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع

فعسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيح قد مات قبل سقيم

ذهبت نفسه النفيسة فلتة

وانتهت الجلسة قرب الظهر، ثم ختم الشيخ الدرس بأبيات قالها حين ودع المصطفى ﷺ وهى قوله:

ياشفيع العصاة أنت رجائى

كيف يخشى الرجاء عندك خيبة

وإذا كنت حاضرا بفؤادى

غيبة الجسم عندك ليست بغيبة

ليس بالعيش فى البلاد انقطاع

أطيب العيش ما يكون بطيبة

ونزل عن الكرسى فازدحم الناس على تقبيل يده، وكان ذلك نهار الأربعاء السابع عشر من رمضان سنة تسع وثلاثين وألف.

لقد حظى العلامة أحمد بن محمد أبو العباس المقرى بحب أهل دمشق له، فأقبلوا عليه والتفوا حوله حتى كان هو عمدة العلماء فى عصره بها. ولذا فإنه بعدما رأى من أهلها ما رأى أكثر الاهتمام بمدحها، وقد عقد فى كتابه عرف الطيب فصلا يتعلق بها وبأهلها، وأورد فى مدحها أشعارا. ومن محاسن شعره فى حقها قوله:

محاسن الشام جلت

عن أن تقاس بحد

لولا حمى الشرع قلنا

ولم نقف عند حد

كأنها معجزات

مقرونة بالتحدى

وغير ذلك أشعار كثيرة مما لا يتسع المقام لذكره. وقد جرى بينه وبين أدبائها وعلمائها مطارحات شتى، وتبادل مع علمائها الهدايا، فمن ذلك أن أحدهم ويدعى الشاهينى أهداه خاتما ومسبحة، فكتب إليه المقرى يقول:

يانجل شاهين الذى

حاز المعالى والمعالم

يامن دمشق بطيب ما

بيبديه عاطرة النواسم

فالنهر منها ذو صفا

والزهر مفتر المباسم

والغصن يثنى عطفه

طربا لتغريد الحمائم

لازلت سابق غاية

بين الأعارب والأعاجم

فرد الشاهين بقوله: لو أمكننى لأهديت من الجواهر ما ينوف على قدر القيمة فهما أعنى الخاتم والمسبحة تذكير ليد العلى لخالص الوداد، وفى المثل: لا كلفة بين من تثبت بينهم الألفة حتى فى الورق والمداد، والله يبقيك البقاء الجميل ويبلغك غاية التأميل، ولله در القائل:

هدية العبد على قدره

والفضل أن يقبلها السيد

فالعين مع تعظيم مقدارها

تقبل ما يهدى لها المرود

كما اتفق للمقرى مجلس فى دعوة بعض الأعيان، وكان المفتى العمادى والشاهينى صحبته فى تلك الدعوة، فمس الشيخ ثلجا، وقال الماس هذا. فأنشد الشاهينى مرتجلا:

شيخنا المقرى وهو الماس

والذى بالأنام ليس يقاس

مسَّ ثلجا وقال الماس هذا

قلت الماس عندنا الماسُ

فقال العمادى:

يابردها ثلجة جاءت على كبد

حراء من فرقَة الأحباب فى وجل

قال المقرى:

إذا دعانى بمصر ذكر معهدها

أجاب دمعى وما الداعى سوى حلل

فقال العمادى:

لو كان فى مصر ماء بارد لكفى

عن الثلوج ومن للعور بالحول

وعلى هذا النسق سارت حياة المقرى فى دمشق ثم ارتحل منها فى الخامس من شوال سنة تسع وثلاثين وألف ميمما شطر مصر ليمكث بها حوالى أحد عشر شهرا، ثم عاوده الحنين إلى دمشق ثانية فارتحل إليها فى أواخر شعبان سنة أربعين وألف وحصل له من الإكرام فيها ما حصل فى قدمته الأولى. ثم أراد العودة إلى مصر. فشد رحاله إليها ثانية ولما فارق ركبه دمشق التفت إليها وقال:

ان شام قلبى عنك بارق سلوة

ياشام كنت كمن يخون ويغدر

كم راحل عنها لفرط ضرورة

وعلى القرار بغيرها لا يقدر

متصاعد الزفرات مكلوم الحشا

والدمع من أجفانه يتحدر

وهو كما ترى كلام محب للشام وأهله. ثم دخل إلى مصر واستقر بها مدة يسيرة حدثت فيها خلافات مع زوجته الوفائية وهى كما يبدو خلافات صعبت على الإصلاح فطلقها. وأراد العودة إلى دمشق للتوطن بها ففاجأه الحمام قبل نيل المرام. وكانت وفاته فى جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين وألف. ودفن بمقبرة المجاورين قال الأديب إبراهيم الأكرمى فى تاريخ وفاته:

قد ختم الفضل به

فأرخوه خاتم

كان شيخنا المقرى يحبذ دائما أن يمتحن الأستاذ تلميذه قبل أن يقبله وسط تلامذته لأن التلاميذ وإن كانوا كثيرين إلا أنهم لا ينبغ منهم إلا القليل وربما النادر وامتحان الشيخ لتلميذه ليعرف به فضل عقله

ومقدرته على الأخذ والتلقى والفقه فيما أخذ وتلقى، كما أن التلميذ إذا نجح فى الامتحان ارتقى إلى مستوى أعلى وهكذا.

حكى العلامة المقرى أن أفلاطون كتب إلى بقراط قبل أن يتتلمذ عليه إنى أسألك عن ثلاثة أشياء إن أجبت عنها تتلمذت لك. فكتب إليه بقراط سل وبالله التوفيق، فكتب إليه أخبرنى من أحق الناس بالرحمة؟ ومتى يضيع أمر الناس؟ وما تتلقى به النعمة من الله؟ فكتب إليه بقراط أما أحق الناس بالرحمة فثلاثة: البر يكون فى سلطان فاجر، فهو الدهر حزين، لما يرى ويسمع، والعاقل فى تدبير الجاهل، فهو الدهر متعب مغموم، والكريم يحتاج إلى اللئيم، فهو الدهر خاضع ذليل. وأما تضييع أمور الناس: فإذا كان الرأى عند من لا يقبل منه، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه. وأما ما به تتلقى النعمة من الله: فبكثرة الشكر ولزوم طاعته، واجتناب معصيته. فأقبل إليه أفلاطون وصار تلميذا له إلى أن مات. وقد أسفرت رحلات المقرى فى طلب العلم عن تأليفه لكتب كثيرة أهمها كتاب «عرف الطيب لمعرفة أخبار لسان الدين بن الخطيب» فمن غريب خبره، والأيام ترى الغريب من أفعالها وتسمع العجيب من أحوالها أنه رحل من غرناطة ودخل إلى مدينة فاس فبالغ سلطانها فى إكرامه ولكن أعداءه بالأندلس تمكنوا منه وأثبتوا عليه كلمات منسوبة إلى الزندقة تكلم بها، فتم الحكم بإراقة دمه وكان ذلك سنة ست وسبعين وسبعمائة، ومن أعجب ما وقع له أنه كان قد نظم قوله:

قف لترى مغرب شمس الضحى
بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله قتيلا بها
كان إمام العصر فى المغرب

فاتفق أنه قتل بين هاتين الصلاتين، فالمراد من شمس الضحى نفسه، وقوله واسترحم الله قتيلا بها، معناه: اسأل الله رحمة للقتيل بشمس الضحى.

لقد تحمل المقرى المتاعب والأهوال فى رحلاته من أجل طلب العلم وقابل كل ذلك بالصبر وفى ذلك دعوة لأبنائنا وبناتنا بالصبر لحصول المراد.

قال - رحمه الله - وقد ركب البحر فى بعض أسفاره فى طلب العلم، استقبلتنا أمواجه بوجوه بواسر، وطارت إلينا من شراعه عقبات كواسر، فسمعنا للجبال صفيرا، وللرياح دويا عظيما وزفيرا، وتيقنا ألا نجد من ذلك إلا فضل الله مجيرا، فلا حيا الله ذلك الهول المزعج ولا بياه، والموج يصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب، بل ويضطرب، فكأنه من كأس الجنون شرب، فيبتعد ويقترب، وفرقه تلتطم وتصطفق، وتختلف ولا تكاد تتفق، والشراع فى قراع، مع جيوش الأمواج التى أمدت منها الأفواج بالأفواج، ونحن قعود، كدود على عود، ما بين فرادى وأزواج. ومما قاله عند اقتراب السفينة من اليابسة:

رأينا البر وكأننا قبل لم نره، وشفيت به أعيننا من المرة، فيا لها من نعمة كشفت عن وجهها النقاب. يقل شكرا لها صوم الأحقاب وعتق الرقاب.

وعندما نزل أرض مصر يقول: ثم وصلنا بعد خوض بحار يدهش فيها الفكر ويحار إلى مصر المحروسة فشفينا برؤيتها من الأوجاع. وشاهدنا كثيرا من محاسنها التى تعجز عن وصفها القوافى والأسجاع. وتمثلنا فى بدائعها بقول ابن ناهض:

شاطئ مصر جنةٌ
ما مثلها فى بلد
لاسيما مذ زخرفت
بنيلها المطرد
وللرياح فوقه
سوابغ من زرد

ويقول آخر:

انظر إلى النيل الذى
ظهرت به آيات ربى
فكأنه فى فيضه
دمعى وفى الخفقات قلبى

وتذكرت فى مصر قول القاضى الفاضل:

بالله قل للنيل عنى إننى
لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فإنه لى شاهد
إن كان طرفى بالبكاء بخيلا
يا قلب كم خلفت ثم بثينة
وأظن صبرك أن يكون جميلا

من أعلام المصلحين

جمال الدين الأفغانى.. رمز الصحوة!

جمال الدين الافغانى

هل الاقتراب من «الآخر»، والحوار معه، يمثل توجها عقلانيا صحيحا؟!

نعم، إن الاقتراب المحسوس من «الآخر»، والحوار المدروس معه - رغم عدائه واستعلائه - يعد توجها صائبا.. صحيحا وصحيا!.. لأن ذلك يتيح الفرصة لفهم هذا «الآخر» ومعرفته درءا لخطره وشره، واتقاءً لمكره وحيَله.. وانفتاحا كذلك على علمه وتقنيته، واستفادةً من سبْقه وتجربته، خاصة وأن «الآخر» الآن هو الأقوى والأقدر!..

- فليس من «الحكمة» ألاّ نقيم جسورا من الممكن أن نعبر عليها ونتواصل!

- وليس من «المصلحة» أن نشيح بوجوهنا رافضين الحوار. يائسين من جدواه وفحواه!

كمال عبدالوهاب

لابد من التفكير - إذًا - بشكل مختلف فى عالم صار مختلفا.. والتاريخ شاهدٌ على هذا التحول:

● ففى اللقاء الأول بين الشرق والغرب فى عصر حروب الفرنجة(١) مُنى الغرب بهزيمة نكراء، حيث كانت أوروبا تتخبط فى ظلمات العصور الوسطى، وكان العالم العربى والإسلامى - آنذاك - لايزال يعيش على زخم العصر الذهبى للدولة العباسية، وكان يزخر بعناصر التفوق والرقى والفن الرفيع!

● وفى اللقاء الثانى كانت المفاجأة!.. فقد انعكست الآية بين الشرق والغرب. كان هذا اللقاء صادما.. صاعقا!، فقد انقض نابليون بونابرت على مصر عام ١٧٩٨م.. (وحتى لا ننسى فإن مصر بالنسبة للشرق هى القلب والميزان والمفتاح!)..

انقض نابليون - كما ذكرت - بجيش مجهز بأحدث الأسلحة(٢)، ومعه بعثة من أبرز علماء فرنسا. كانت الصدمة مزلزلة بسبب اكتشاف الفجوة الحضارية بيننا وبينهم. فقد أفقنا لنجد أنفسنا نعيش واقعا مغايرا متعثرا..

- لقد تأخرنا «نحن» بأكثر مما ينبغى!..

- وتقدموا «هم» إلى أبعد مما نتصور!

والأمر - فى كلا الحالين - مزعجٌ.. ومخيف!

المهم.. وسط هذه الأوضاع البائسة اليائسة انبعث صوتٌ جرىء مجلجل تهز نبراته القلوب وتوقظ صيحته العقول، أخذ يدعو إلى أهمية الاستفادة من علوم الغرب الحديثة والأخذ

بتطبيقاتها المتقدمة، مع الحفاظ ـ فى الوقت نفسه ـ على ما تتميز به حضارتنا وشخصيتنا من فكر وقيم.. وكانت هذه الدعوة المتحضرة مثيرة للنظر، حتى إن أحد الكتّاب(٣) المعاصرين علق متسائلا: «أليست هذه الدعوة هى «القانون» الذى حكم «التفاعل والتلاقح» بين الحضارات الكبرى عبر التاريخ الحضارى للإنسان؟»!

○ ترى من هو داعية النهضة.. ورمز الصحوة؟!(٤)

إنه جمال الدين الأفغانى. ولد فى عام ١٨٣٨م، بينما يرى فريقٌ آخر أنه ولد فى عام ١٨٣٩م، وهو على أى الأحوال ليس بالخلاف الكبير، وربما يعود للاختلافات بين التاريخين الهجرى والميلادى. إلا أن الخلاف فهو على مكان مولده، بل ومذهبه الدينى، حيث نسبه البعض إلى بلاد الأفغان والبعض الآخر إلى إيران(٥). ومنهم من نسبه إلى المذهب الشيعى، ومنهم من نسبه إلى المذهب السنى. غير أن جمال الدين الأفغانى ذاته قد تحدث أكثر من مرة عن أفغانيته، إذ قال: «لقد جمعت ما تفرق من الفكر، ولممت شعث التصور، ونظرت إلى الشرق وأهله، فاستوقفنى الأفغان، وهى أول أرض مس جسمى ترابها». وفى موضع آخر: «اضطررت لترك بلادى (الأفغان) مضطربة تتلاعب بها الأهواء والأغراض».

(ونحن ـ فى مسألة نسبة جمال الدين ـ نعتقد بل ونميل إلى أفغانيته على الرغم من أن هذا لم ولن يؤثر فى شىء من أثر الرجل الذى تركه فى الشرق الإسلامى، كما نتفق مع كثير من المحللين الذين يرجعون سبب هذا الخلاف إلى محاولة كلا الطرفين «الأفغانيين أو الإيرانيين» نيل شرف انتساب جمال الدين إلى كل منهما لما أسداه للعالم الإسلامى من خدمات جليلة).

كانت دعوة «جمال الدين» تركز على ضرورة الجمع بين الأصالة والمعاصرة.. أى الأخذ بعلوم الغرب الحديثة، مع الحرص على ما تتميز به حضارتنا من فكر وقيم

تلقى جمال الدين العلم والثقافة وعلوم الدين كأحد أبناء الموسرين أو الأمراء على يد والده الذى كان ضليعا فيها، وعلى هذا فقد اطلع وهو صغيرٌ على علوم اللغة العربية والشريعة والتصوف والتاريخ.

رأى جمال الدين أن هذه العلوم لا تشفى غليلا فى داخله، ولهذا يقرر مغادرة وطنه إلى الهند، حيث برع الهنود فى هذه الآونة فى علوم الحساب والفلك والفلاسفة، وانتشرت بينهم العلوم الأوروبية الحديثة، فمكث هناك عاما وبعض عام يدرس هذه العلوم. ولم يكتف بمكان واحد، بل زار أغلب بقاع الهند، واطلع على أحوال أهلها وعاداتهم وتقاليدهم، مما وسّع من أفقه وأضاف إلى معارفه.

○ جهاده(٦)

بدأ جمال الدين جهاده فى سن مبكرة (١٨ سنة) ساعده على ذلك ولعه بالسفر الذى أسهم فى نضوجه قبل الأوان، ولعب دورا فى سعة أفقه وتسامحه الفكرى. كما أنه تعلم أشياء عديدة تتصل بالوطنية والحرية والأخوة الإسلامية، وهى المعانى التى نضجت وكبرت مع جمال الدين الأفغانى المناضل السياسى.

ـ رحلته إلى الأراضى المقدسة:

اتجه جمال الدين إلى الجزيرة العربية لتأدية فريضة الحج، وفى الوقت نفسه للاطلاع على

أحوال الشعوب التى تقطنها ومعايشة همومها ومشاكلها. وفى رحاب الكعبة التقى بالمؤمنين من جميع أنحاء العالم الإسلامى، وقد استغرقت هذه الرحلة عاما كاملا، كان لها أبلغ الأثر فى نفس جمال الدين، مما حفّزه على استكمال رحلاته، حيث أضافت هذه اللقاءات - خلال موسم الحج إلى الفتى جمال الدين خبرات لم يكن ليكتسبها بدون رحلته هذه. وهذا ما شفع له حين عودته لبلاده (أفغانستان)، وكان سببا فى تقلده المناصب الحكومية فى عهد الأمير «دوست محمد خان»، أو فى تقلده منصب الوزير الأول فى عهد الأمير «محمد أعظم»، ولم يكن قد تجاوز السابعة والعشرين من عمره بعد!

- الرحلة إلى الهند، ومصر.. ثم تركيا:

أدت الاضطرابات وعدم الاستقرار والتدخلات الأجنبية إلى اضطرار جمال الدين لمغادرة بلاده.. فآثر الرحيل دون أن يعرف أين سيطيب له المقام، فمر أولا بالهند التى كانت تغلى بالثورة ضد الاستعمار الإنجليزى، ولم تتح له الإقامة فيها سوى أقل من شهرين بفعل الحصار الذى ضرب عليه من رجال الحكومة ووضعت تحركاته واتصالاته تحت رقابتهم، وعندما استبعد من الهند توجه إلى مصر، التى وصلها لأول مرة فى بداية عام ١٨٧٠م، ولم يمكث بها سوى أربعين يوما أمضاها فى إلقاء الدروس على بعض الطلبة. بعدها غادرها إلى الآستانة تلبية لدعوة من السلطان عبدالعزيز، وقد رحب به فى تركيا أيما ترحيب من رجالات الدولة وأعيانها، ووصل أقصى الاحتفاء به إلى تعيينه عضوا فى مجلس المعارف.

إن الجامعة الإسلامية هى ثمرة دعوة عبقرية من دعوات فيلسوف الإسلام «جمال الدين الأفغانى». هذه الدعوة لها معانٍ وتداعيات وآثار!

- إبعاد جمال الدين ولجوؤه ثانية إلى مصر:

تم إبعاد جمال الدين من تركيا بناء على رغبة السلطان عبدالعزيز ذاته، وذلك على إثر مشكلة حادة طرفاها جمال الدين وكل المعارضين للسلفية المتزمتة من جهة، ورجال الدين الرسميون وكل السلفيين التقليديين من جهة أخرى. وقد التجأ بعد ذلك لمصر للمرة الثانية، وعلى الرغم من قصر الفترة التى أمضاها جمال الدين بالآستانة، إلا أن البعض يرى تأثيرا كبيرا قد تركه الأفغانى فيمن التف حوله من شباب الأتراك، وقد تلقوا عنه الكثير من آرائه السياسية ومبادئه الحرة.

أقام الأفغانى بمصر معززا مكرما لمدة ثمانى سنوات، وحتى عام ١٨٧٩م حين نفاه الخديوى توفيق من مصر. وقد استطاع الأفغانى أن يؤثر فى كثير من مثقفى المجتمع المصرى فى هذا الوقت، بل وأسهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة فى النهضة التى حظيت بها مصر سواء فى مجال السياسة أو الآداب أو الدين. ولعل البعض قد رأى أن الثورة العرابية لم تكن إلا غرسا طيبا من تعاليم الأفغانى.

- .. إلى الهند للمرة الثانية.. ثم لندن، وباريس:

بعد إبعاده عن مصر، توجه إلى الهند للمرة الثالثة، وحاول أن يقوم فيها بنشاطه المعهود إلا أن الإنجليز أحسوا بأثره، فأبعدوه من حيدر آباد إلى كلكتا، وأفرجوا عنه فور دخول جيوشهم مصر، ورحل عن الهند قاصدا لندن ثم باريس التى مكث فيها حوالى ثلاث سنوات أنشأ خلالها بمساعدة

تلميذه الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى» فى عام ١٨٨٤م، التى كان لها أبعد الأثر فى بث الآراء الثورية التى تقوم على مناهضة الاستعمار ومهاجمة سياساته، وإثارة المسلمين تجاه إنجلترا، ودعوتهم إلى الوحدة والتمسك بعرى الجامعة الإسلامية التى دعيا إليها، فضلا عن الدعوة إلى قيام الحكومات الدستورية.

وفى باريس أيضا كان لجمال الدين مساجلات، كما نلحظ فى رده على رينان ورأيه فى الإسلام، وقول رينان نفسه عن جمال الدين: «خُيِّل لى من حرية فكره، ونبالة شيمته، وصراحته وأنا أتحدث إليه، أنى أرى أحد معارفى القدامى وجها لوجه، وأنى أشهد ابن سينا، أو ابن رشد، أو واحدا من أولئك المفكرين العظام الذين ظلوا خمسة قرون يعملون على تحرير الإنسانية من الإسار».

- التنقل بين عدد من الدول.. وأخيرا كانت تركيا هى المقر:

واصل جمال الدين تنقله بين إيران وروسيا وألمانيا وإنجلترا. وفى عام ١٨٩٢م دعاه السلطان عبدالحميد لزيارة تركيا للمرة الثانية. والواقع أن السلطان عبدالحميد أراد أن يستغل دعوة جمال الدين للجامعة الإسلامية حتى تكون أداته فى إخضاع العالم الإسلامى تحت التاج العثمانى.

- الجامعة الإسلامية(٧):

هى ثمرة دعوة عبقرية من دعوات فيلسوف الإسلام جمال الدين، فماذا تعنى هذه الدعوة؟!

تعنى أن للإنسان المسلم انتماء إسلاميا يحدد هويته وهوية الكيان الإسلامى والحضارى الذى يمنحه الولاء.. وهذا الانتماء الإسلامى له مردود يتجسد فى خيارات:

● فهو يعنى رفض الوقوف بفكرة «الوطن» عند حدود دائرة «الإقليم»، بل يتجاوز - أيضا - دائرة «الوطن القومى العربى» إلى «عالم الإسلام»، الذى يضم «الأقاليم» و«القوميات».

● وهو يعنى - كذلك - وجود «طابع حضارى» لهذا «الانتماء الإسلامى» لا يقف عند حدود حسن الجوار، أو المصالح الأمنية والاقتصادية، وإنما يعنى وجود «وحدة فى الحضارة الإسلامية»، تجعل من عالم الإسلام هذا، بأقاليمه وقومياته منظومة حضارية متميزة بين الحضارات العريقة.

● وهو يعنى - أخيرا - أن «العلمانية»، بمعنى فصل الدين عن الدولة، هى خيار أوروبى لا يمكن قبوله فى عالم الإسلام.. لأن الإسلام، وإن رفض «الكهنوت» و«السلطة الدينية» على النحو الذى عرفته أوروبا فى عصرها الوسيط، إلا أنه دين ودنيا، بمعنى أنه لم يدر ظهره لشئون الحياة المدنية وتنظيم المجتمع وعمران الأرض.. وإنما وضع لذلك الأطر والفلسفات والمثل والمقاصد والغايات، ثم يترك للأمة بالعقل والتجربة، حرية الإبداع فى شئون دنياها، فى حدود هذه الأطر، وفى ضوء الشريعة الإسلامية.

هذا بعض ما يعنيه «الانتماء الإسلامى» من رفض للإقليمية والتمزق والتشرذم، والوقوف باسم «الوطنية» عند حدود الكيانات الصغيرة فى عصر التكتلات العملاقة.. ومن رفض «العلمانية» التى تفصل الدين عن الدولة، فتقطع حاضر الأمة عن تراثها وإبداع سلفها فى التشريع والتقنين.. ومن رفض «الخيار الحضارى الغربى» الذى بشر به الاستعمار والاستشراق، ولازال يبشر به «المتغربون»!

- مؤلفاته(٨):

لم يترك جمال الدين كثيرا من الكتب، نظرا لأن الوقت لم يسعفه، فضلا عن اعتماده على الالتقاء مباشرة بسامعيه فيأخذ بعقولهم ويؤثر

فيهم، لذا لا نكاد نجد له سوى مؤلفين اثنين:

أولهما: رسالته الشهيرة «رسالة الرد على الدهريين»، وهى: رسالة فى إبطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم، وإثبات أن الدين أساس المدنية، وأن الكفر وراء فساد العمران.

ثانيهما: «تتمة البيان فى تاريخ الأفغان»، وهى مجموعة مقالات نشرت بجريدة مصر، يكشف فيها الدور الاستعمارى للسياسة الإنجليزية فى البلدان الإسلامية.

فضلا عن العديد من المقالات المتنوعة فى الجرائد المصرية، كمرآة الشرق، أو جريدة مصر، أو العروة الوثقى. بالإضافة إلى الكتاب الذى أخرجه محمد المخزومى وجمع فيه آراء وأفكار جمال الدين المتأخرة، حيث لازمه قبل وفاته، ووضعه تحت عنوان: «خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى»، بناء على رغبة جمال الدين نفسه.

وفاته(٩)

فى السنة الخامسة من إقامة الأفغانى فى الآستانة حدث أن تعرض لمرض السرطان فى فمه، وأجريت له عملية جراحية، ولكنه توفى فى أعقابها عام ١٨٩٧م.

يا زائرًا أيقظَ الدنيا وأرَّقها
وبثَّ فى رَوْعها وجدًا وأشجانا
ردَّدتَ عن «أسد الأفغان» صيحتَهُ
صدقًا يُفزِعُ آذانًا وأبدانا
ما عاد إسلامُنا الإسلامَ فى ألقٍ
من النقاءِ ولا الإيمانُ إيمانا
قد سلَّط الله شرًا ليس يَرْحَمُنا
من شرٍّ ما أوغلتْ فيه خطايانا
وعندما قام فى آفاقنا مثلٌ
نَلْقَى على كَفِّهِ المرفوعِ (أفغانا)
رهطٌ أرادهمُ المولى عمالقةً
تردٌّ عن حومة الإسلامِ غيلانا(١٠)

الهوامش:

١ - وردت إشارة لافتة للانتباه فى مقال للأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق، بعنوان: مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامى والغرب، (الأهرام ٢٢ يناير ٢٠٠٥م)، ألمح فيها أن هذه الحروب سميت - بسوء نية - «الحروب الصليبية»، حيث أقحمت فيها أوروبا الصليب تبريرا للحرب على الشرق الإسلامى، فى حين أن الصليب فى حد ذاته لم يكن له صلة بتلك الحرب. وأوضح أنه لذلك فقد أطلق عليها المؤرخون المسلمون «حروب الفرنجة»، نأيا بالدين المسيحى من الزج باسمه فى حروب دموية لا يرضى عنها، بل تتناقض تماما مع طبيعته بوصفه دين محبة وسلام.

٢ - يرى بعض المحللين أن الحملة الفرنسية على مصر كانت كلها تبشيرية تنويرية، وليست تآمرية استعمارية!

٣ - الدكتور محمد عمارة، جمال الدين الأفغانى المفترى عليه، دار الشروق، الطبعة الأولى، ٩١٨٤م.

٤ - دكتور مجدى عبدالحافظ، جمال الدين الأفغانى وإشكاليات العصر، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٧٧م.

٥ - من ينسبونه إلى أفغانستان يقولون إنه ولد فى قرية «سعد أباد» واتفقوا على أن مذهبه سنى. ومن ينسبونه إلى إيران يشيرون إلى أنه ولد فى قرية «أسد أباد» واتفقوا على أن مذهبه شيعى.

٦ - دكتور مجدى عبدالحافظ، جمال الدين الأفغانى وإشكاليات العصر، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٧٧م.

٧ - دكتور محمد عمارة، جمال الدين الأفغانى المفترى عليه، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م. (بتصرف)

٨ - دكتور مجدى عبدالحافظ، جمال الدين الأفغانى وإشكاليات العصر، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٧٧م.

٩ - المصدر السابق.

١٠ - الشاعر الإسلامى محمد التهامى، من قصيدته: زائرٌ من الأفغان، ١٩٨٠م.

العلمية والسُّنّنية فى التاريخ قانون إسلامى

د: عبدالحليم عويس

لكى يكون ثمة إعجاز، لابد أن يكون التعامل مع حقائق، سواء كانت هذه الحقائق موضوعية علمية، أم قيمية، أم جمالية. وفى حقل التاريخ والحضارة لابد أن يقوم الأمر على (حقائق موضوعية) تجعلنا نقف على أرضية (علمية) (ثابتة).. ومن هنا كان الإيمان (بعلمية التاريخ والحضارة) وخضوعهما لقوانين هو الطريق لتحقيق (التقدم) فى (علم التاريخ والحضارة)..

قال بيورى، المؤرخ الإنجليزى J. B. bury (١٨٦١ ـ ١٩٢٧م): «إن التاريخ علم لا أكثر، ولا أقل»!

وإذا كان التعريف المقبول هو «اجتماع طائفة كبيرة من الوقائع المتشابهة، بحيث تنشأ عن اجتماعها وحدة عامة على هيئة مبدأ و قانون، يمكننا على وجه اليقين من التنبؤ بحدوث وقائع مشابهة للوقائع المذكورة فى ظروف معينة».

فإننا فى ضوء هذا نستطيع القول: إن التاريخ هو علم بيقين كما قال بيورى. ويعلق المؤرخ الدكتور **محمد فتحى عثمان** على هذا الفهم للتاريخ ـ كعلم ـ بقوله: «على أن العلم، وإن كان دائب البحث وراء القوانين العامة ـ دائم الحرص على أن يوهب هبة التنبؤ، فإنه قد يعجز عن بلوغ هدفه ثم لا تنزع منه صفته، ولم تصل الميتورولوجيا (علم ظواهر الجو) غالبا إلى تعميمات ـ وخاصة بالنسبة لجو انجلترا، لأن القوانين التى بمقتضاها يقع التعاقب بين ضوء الشمس وهبوب العاصفة لم تستكشف بعد، ولأن التنبؤات تخطئ من حيث النسب الصحيحة بحسب حظها من الدقة، ومع ذلك فما من أحد ينكر أن الميتورولوجيا علم»(١).

***

وعلى هذا الأساس انتهى المستشرق **هرنْشو** إلى تعريف العلم تعريفا جامعا مانعا ميسرا ـ فى رأيه ـ بأنه: «المعرفة المنظمة، المبوّبة، المقنّنة» وأنه بالتالى يكفى فى إسناد صفة العلم إلى أى موضوع، أن يمضى الإنسان فى دراسته، يتوخى الحقيقة ويتحرى الفهم الذكى لما يتصل بحقيقة موضوعه من حقائق، ويتجرد عن الهوى، ثم يرد بقدر الإمكان كل ما يعلم إلى المقومات الثلاثة: التنظيم، والتبويب، والتقنين، وبعد هذه الحيثيات يصدر **هرنشو** حكمه: «فإذا تقرر ذلك، فليس ثمة مسوغ لأن نتعجل بإسقاط التاريخ، أو أى موضوع آخر من عداد العلوم.

ويدعم **هرنشو** مذهبه الذى استراح إليه فى تحديد مدلول العلم بطائفة من الأقوال، منهاما يقول توماس هكسلى فى عبارته: «إننى أقصد بالعلم كل معرفة تقوم على الدليل والاستنباط»، وما يقوله **الكسندر هل Alex. Hill**: «كل معرفة معقولة فهى علم»، «العلم معرفة روعيت فيها الأوضاع الصحيحة»، وما يقوله **كارل بيرسن Karl Pearson**: «وظيفة العلم تنحصر فى تقسيم الوقائع، ومعرفة تتابعها، وأهميتها النسبية» وما يقوله تجارت F. J. Teggart: «العلم مجرد البحث المنظم للتصرفات التى تبدو فى الظواهر الطبيعية».

والتاريخ يفيد(البحث) - كما يشير أصل معنى اللفظ فى اليونانية، أو (التعلم بواسطة البحث) أو (المعرفة عن طريق

البحث) وبهذا يكون علما، لكن الدكتور محمد فتحى عثمان - تعليقاً على هذه الآراء.. يتساءل:

ولكن (التاريخ) من أى العلوم هو؟

إنه ليس كالفلك علم معاينة مباشرة..

- ولا كالكيمياء علم اختبار وتجربة..

- لكنه علم نقد وتحقيق.

ومن جانب آخر يرى الأستاذ **هرنشو** أن أقرب العلوم الطبيعية شبها بالتاريخ هو (الجيولوجيا).. فالجيولوجى يجد مادته الأساسية فيما سلم من نفايات الطبيعة من أدلة قليلة تثبت التطورات الجيولوجية القديمة. يعتمد المؤرخ فى معرفة الوقائع الماضية على آثار أو سجلات أو تقاليد سَلمتْ مصادفة واتفاقا من عوادى الزمن، قيمتها فى دلالتها على الماضى لا فى ذاتها.

وهذه الدلالة ليست مباشرة، ولكنها تكون خلال فكر الباحث، لأن الوقائع والآثار مغمورة فى محيط من الآراء والإرادات والانفعالات التى كانت تلك الوقائع والآثار معبرة عنها أو أثرا لها، وهذه كلها خارجة عن متناول المعاينة المباشرة حتى بالنسبة لمن كانوا شهود العيان، وعلى المؤرخ أن يقوم (بالجراحة النفسية والعقلية) ليستشرف هذه العوامل الخفية(٢).

لكن الدكتور محمد فتحى عثمان يرفض القرابة بين التاريخ الإنسانى والجيولوجيا قائلا: «إن تشبيه التاريخ بالجيولوجيا، تشبيه مع الفارق»(٣).

ومعذرة للأستاذ هرتشو، فالصخور الصلدة التى تعمل فيها عوامل الطبيعة بالالتواء والانكسار، والخفض والرفع، والتعرية والتمات.. إلخ، شواهد (محايدة) لأنها سلمت من أيدى الإنسان، وأهواء الإنسان!!

تفسير التاريخ يخضع بقدر كبير للبناء الفلسفى الذى تنتظم فيه بقية العلوم

أهواء الإنسان لم تصنعها، وأهواء الإنسان الذى يدرسها بعيدة عنها، ليست هناك بينه وبين الجرانيت والبازلت صداقة أو عداوة.

لكن وثائق التاريخ صنعتها يد إنسان، ويدرسها عقل إنسان.

إن الجيولوجيا مادتها الصخر.. والصخر لا يكذب، وليست له مصلحة فى الكذب لكن التاريخ مادته (الإنسان).. وكفى»!(٤).

- ولعل أستاذنا الدكتور فتحى عثمان يقصد من (المادة الإنسانية) أنها مادة مركبة تتنازعها التيارات، ولا يمكن ضبط إيقاعاتها، لكننا نؤمن بأن هذه الحرية للإنسان لا تعنى خضوعه لقوانين وثوابت.. ولهذا يمكن أن يخضع للعلم.

وثمة رؤى أخرى جديرة بالتقدير فى إطلاق مصطلح (علم) على التاريخ، بل وعلى أكثر العلوم الإنسانية فقد كتب شارل سنيوبوس المؤرخ الفرنسى، فى رسالة له ١٩٤١م يقول:

التاريخ علم مافى ذلك ريب، لأننا نستطيع أن نطلق كلمة علم على كل من الوقائع، فهو علم الوقائع التى تتصل بالأحياء من الناس فى مجتمع خلال توالى الأزمنة فى (الماضى) ويدخل فى عداد العلوم الوصفية، وهى تختلف عن العلوم العامة اختلافا بينا، فالعلوم العامة (الميكانيكا، الفيزياء، الكيمياء، علم الأحياء).. تعمل لاكتشاف قوانين، أعنى متوالية ثابتة من الظواهر التى هى من (نوع واحد) ضاربة صفحا عن الأحوال الواقعية الزمانية والمكانية الأخرى لأن هدفها التنبؤ بما سيكون فى أحوال معلومة.

أما العلوم الوصفية فتسعى لمعرفة وقائع جزئية، فتبحث كيف تتوزع إما فى المكان وحده،

(علم الكون، وعلم الجغرافيا، علم المعادن، علم النبات، علم الحيوان) أو فى المكان وتوالى الأزمنة معا: (الجيولوجيا، علم العصور التاريخية العتيقة) وإلى هذاالنوع الأخير ينتسب التاريخ أيضا، لكن له وضعا نسج وحده، فبينما جميع العلوم لا تعمل إلا فى نوع واحد من الظواهر، نجد التاريخ يجب أن يدرس فى آن واحد وقائع مادية تعرف بالحواس (أحوال مادية وأفعال بنى الإنسان)، ووقائع من طبيعة نفسانية (عواطف، أفكار، دوافع) لا يدركها إلا الشعور، ولا سبيل إلى الانصراف عنها لأنها توحى للناس بسلوكهم وتقود أفعالهم(٥).

وهذه الأقوال ـ مع تقديرنا لها ـ لا تنفى العلمية بحجة خصوصية علم التاريخ كعلم يعمل فى محيط المعنويات والماديات، والنفس، والفكر، والعقل، والمادة، والشعور، واللاشعور، وإلا فنحن سنحطم علمية كثير من العلوم الاجتماعية والسلوكية.. التى تكاد مناهجها تقترب من العلمية الطبيعية!!

والحق أن الحديث حول (علمية) كثير من الدراسات الإنسانية يتعرض لاختلاف شديد.. ولايزال كثير من العلماء يعارضون فى (علمية) علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد.. اعتمادا على أقوال شبيهة بالأقوال السابقة فى التاريخ!!

ـ وإذا كان هذا الخلاف قائما حول هذه العلوم التى قطعت شوطا بعيدا فى بناء أركانها وقواعدها، فإننا يجب أن نتوقع خلافا كبيرا حول «تفسير التاريخ» الذى يقوم على رؤية أقرب إلى الافتراضية، ويلتزم بنوع من التعميمية يصعب التأكد منها، على النحو الذى نستطيع به أن نتأكد من التعميمية فى قوانين الطبيعة.

لكننا ـ فى الحقيقة ـ نجد أنفسنا، فى قضية تفسير التاريخ، نتكئ على أمرين مهمين:

أولهما: أن تفسير التاريخ يخضع بقدر كبير للبناء الفلسفى كله، ذلك الذى ينتظم بقية العلوم، كفلسفة علم الطبيعة، وفلسفة الفكر، ولا نعتقد أنه من السهولة إخراج كل (الفلسفات) من ميدان العلوم، مع أن هذه (الفلسفة) فى إطاريها (الكونى والبشرى) قد قدمت الكثير من الخدمات للإنسانية، بل إنها وراء التقدم الذى انتهت إليه الحضارة المعاصرة، ولاسيما فى المجال الطبيعى.

والآخر: أن تفسير التاريخ، وإن كان رؤية ذات اتصال بالجوانب الشخصية والخلفيات الثقافية، إلا أنها تتكئ على الواقعات التاريخية المتشابهة، فهى تقوم بما تقوم به بقية العلوم.

فابن خلدون ـ قبل أن يصدر أحكامه ـ قدم شرائح متعددة من التجارب التاريخية، استقى منها قوانينه العمرانية ـ وإذا كان البعض يأخذ على ابن خلدون أنه أخذ أمثلته من شعوب المغرب والأندلس، دون أن يمد الطرف إلا قليلا، إلى غير بيئته وعصره ـ فإن مفسرى التاريخ الأوروبى كثيرا ما قصروا نماذجهم على التاريخ الأوروبى، بأجنحته الثلاثة: اليونانى والرومانى والحديث، فالاستقراء التاريخى الكامل غير ممكن.

ولئن كان الانتقاء عملا معيبا فى المنهج العلمى عموما، لأنه يؤدى إلى نتائج سيئة، فإن هذا يعتبر عيبا فى المنهج أو فى الاستقراء، لكنه لا يحول دون العلمية أو على الأقل دون دفع حركة البحث الاستقرائى إلى مزيد من التنوع والشمول، وصولا إلى العلمية.. وهذه هى خلاصة الرؤية الإسلامية للتاريخ.

الهوامش:

١ ـ د. محمد فتحى عثمان: المدخل إلى التاريخ الإسلامى ص٣٠، ٣١ ط دار النفائس ١٤٠٨/١هـ ـ ١٩٨٨م بيروت.

٢ ـ هرتشو: علم التاريخ: ترجمة عبدالحميد العبادى ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة، الفصل الأول ص١: ١٣، وانظر: فتحى عثمان: المرجع السابق ص٣٢.

٣ ـ محمد فتحى عثمان: المرجع السابق ص٣٢.

٤ ـ محمد فتحى عثمان: المرجع السابق ص٣٣.

٥ ـ نفس المرجع السابق، ص٦٣، ٦٤.

غابة العصر الجديد

شعر: حسن أبو الغيط

أحـــداث غـــابتنا تزيدْ
من غـــيـــر وقف للمــزيدْ

الكل يأكل بعـــضـــه
والـكل فـى بطـن اللـحــود

بعض بقـــوته افــتــرى
والبـــعض قـــوت للشـديد

ومن المدائن للـقـــــرى
يجرى كـثـيـــر لا يفـيـد

هــو أى بـيـع أو شـــــرا
والشر فـيـــه المسـتـفـيد

وتبـاع فـيـــه وتشـتـرى
أم الخـبـــائث والخــدود

والمرتشــون وغــيـــرهم
يتـــزايدون بـلا حـــدود

عـــجـبًا بنا تدور حـيــاتُنا
بدعــارةٍ وبهـــا تشـيـيد

أيـــن المــلــوك ومــن لـــه
حكم على هذا الصـعـيـد؟

أيـن الـذيـن تمـلّـكــوا
أمـــر المتـاهة والعــبـيـد

كـلٌ تـلـهــى بـالــذى
هو فـــيـــه عن كل الوجود

لــكــنّ رب الـــنـــاس لا
يلهـــو بوعـــد أو وعـــيـد

يـرنـو لـكـل الخـلـق من
عليـــائه الحىُ المجـيـد

سـبـــحـانه الله الذى
مـــا شـاء يحكم مـا يريد

بـالعـــدل يـحـكم إنـه
هو ربنا العـــدل الرشـيـد

لولاه لا نهـدم الجـمـيع
بغـابة العــصـر الجـديد

الحضارة والعلوم

- حضارة الإسلام
- مصادر التوثيق اللغوى
- مفهوم التنمية فى الإسلام
- الأمراض المعدية.. أسبابها والوقاية منها
- الإحسان فى الإسلام

قراءة فى كتاب «حضارة الإسلام»

تأليف المستشرق الأمريكى جوستاف جرونيباوم

أ. د/ عبدالرحيم الكردى

يعد هذا الكتاب من أخطر الكتب التى انتقدت الثقافة الإسلامية، والمقصود بالثقافة الإسلامية هنا مجموعة المبادئ والتعاليم الواردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية التى تصنع الشخصية المثالية للمسلم «المسلم النموذجى أو المثالى» أى أن الكتاب فى حقيقته هو نقد - بطريقة غير مباشرة - للكتاب والسنة. من خلال نقده لما صنعاه من ثقافة فى الواقع التاريخى.

وتعود خطورة هذا الكتاب إلى سببين:

الأول: ذكاء صاحبه واتساع معارفه.

والثانى: أن الدعاوى الواردة فيه قد أقنعت فريقا من المثقفين المسلمين، فاعتنقوها ودافعوا عنها باعتبارها مسلمات.

ويمكن تلخيص الدعاوى التى ساقها جرونيباوم فى كتابه السابق فيما يلى:

١ - قضية الولاء للدين

ويرى أن الولاء للدين يتعارض مع الولاء للوطن، ويدعى أن الحد الفاصل بين انتماء الإنسان للعصور الوسطى «عصور التخلف» وانتمائه للعصر الحديث، إنما يكمن فى جهة هذا الولاء، أى أن هذا الولاء هو معيار الحداثة عنده، ثم يبنى على هذا الافتراض قضية أخرى، وتكمن فى ادعائه بأن الشريعة الإسلامية «لم تعُد العدّة لاحتمال عيش جماعة إسلامية عيشا دائما تحت سلطان أمير من غير المؤمنين، وهكذا - كما يقول - كان انسحاب الجيش الإسلامى من ناحية من النواحى يترتب عليه عادة فى العصر الذى نتحدث عنه تراجع العقيدة الإسلامية عن تلك الناحية» ص١٨.

جرونيباوم هنا يغالط فى أمرين:

الأول: أنه أراد أن يعمّم المفهوم الذى شاع فى أوروبا فى العصور الوسطى عن «الولاء» على الإسلام أيضا. هذا المفهوم الدينى الذى لا يقف عند حدود الانتماء العقدى والعاطفى، بل يتعداه إلى فكرة نقاء الدولة الدينية، وتخلصها من غير المؤمنين بدين الدولة، بالقتل أو بالطرد، وهذا أمر لم يعرفه الإسلام، فليس هناك تعارض فى الإسلام بين الولاء الدينى القائم على الرابطة الدينية والولاء للوطن القائم على تبادل المنافع المادية، فالإسلام دين للدنيا والآخرة، ولم يتم أى استئصال لغير المسلمين فى أى من الدول الإسلامية المتعاقبة مثل ذلك الذى حدث فى أوروبا طيلة القرون الوسطى، أو كالذى يمارسه الكيان الصهيونى فى الوقت الحاضر، فالولاء للدين فى الإسلام لا يتعارض مع الولاء للوطن.

الثانى: أن جرونيباوم أراد أن يبرر انقراض المسلمين واستئصال شأفتهم من أوروبا تبريرا غربيا إذ ينحى فيه باللائمة على التعاليم الإسلامية نفسها تلك التعاليم التى يرى أنها لم تؤهل المعتنقين لها كى يتأقلموا ويعيشوا عيشة المواطنين فى دولة غير مسلمة.

هكذا يرى جرونيباوم أن طرد المسلمين وقتلهم وإبادتهم فى أوروبا إنما سببه أن التعاليم الإسلامية لم تؤهل هؤلاء المسلمين للخضوع والتأقلم فى ظل سلطان غير مسلم. وعلينا نحن القراء أن ننسى محاكم التفتيش، أو نجد لها مبررا فى أن الخطأ فى الشريعة الإسلامية نفسها، وعلينا أن ننسى أن محاكم التفتيش قد طالت اليهود أيضا، فهل كانت الشريعة اليهودية أيضا لم تؤهل اتباعها لذلك؟! والذى لم يقله جرونيباوم، وإنما يفهم بالإشارة من خلال قراءة المسكوت عنه فى الكتاب، أن التسامح الذى أشاد به فى سماح الدولة الإسلامية لغير المسلمين بالعيش فى ظل الحكم الإسلامى إنما يعود قدر كبير منه إلى تأهل هذه الطوائف غير المسلمة للعيش فى ظل عقيدة تخالف عقيدتها.

٢ ـ العلاقة بين الأمور الدينية والأمور الدنيوية فى الإسلام

يطلق جرونيباوم على الجانب الأول مصطلح «السلطة الدينية» حينا ومصطلح «حكومة الله» حينا آخر، بينما يطلق على الجانب الثانى مصطلحى «السلطة المدنية» و«حكومة السلطان».

فالفكر المسيحى ـ كما يقول ـ قد حل هذه المشكلة بأنه قد أخضع البطريرك للامبراطور خضوعا تاما، «فكان الامبراطور البيزنطى يعين بطريرك القسطنطينية»، وكان البابا فى روما ينزل به الخسران أمام سلطة الامبراطور كل يوم حتى تلاشت هذه السلطة البابوية.

أما فى الإسلام فقد ظلت المشكلة من غير حل، بل أدى ذلك إلى صراع داخلى عند المسلم ـ كما يقول ـ هل يتبع حكومة الله أم يتبع حكومة السلطان؟ هل يقيم العلاقة مع الآخرين على أساس المواطنة أم يقيمها على أساس التقوى؟ وهل الأخلاق التى يلتزم بها مستنبطة من روح المواطنة أم من روح العبادة؟

لقد غفل جرونيباوم عن أشياء مهمة، **أولها:** أن الإسلام لم يجعل لرجال الدين سلطة مثل سلطة رجال الكنيسة فى أوروبا فى القرون الوسطى، فهم مجرد معلمين فقهاء يرشدون الناس، فالإنسان فى الإسلام يحاسب مباشرة أمام ربه وهو مسئول عن إيمانه وعمله، وليس لرجل دين أو أى أحد أن يتوسط بينه وبين الله أو يقبل منه التوبة أو يرفضها، وبالتالى فليس فى الإسلام حكومة تسمى حكومة الله.

ثانيها: أن جرونيباوم يغفل عن الفارق بين مفهومى الشريعة والفقه فى الإسلام، فالشريعة عن طريق الاجتهاد فى فقهها يمكن أن تنظم الحياة فى كل عصر حسب الظروف والأحوال الطارئة، ومن أجل ذلك كان الاجتهاد أحد الفروض اللازمة من فروض الكفاية فى كل عصر.

ثالثها: أن الإسلام لم يجعل التقوى نقيضا للمواطنة، بل جعل للمواطنة بعدا أخلاقيا روحيا، فالمسلم مطالب بالإحسان إلى جاره المسلم وغير المسلم ومطالب بالتعاون مع الضعيف المسلم وغير المسلم والعدل والرحمة والعطف عليهما. ومنهى عن غش المسلم وغير المسلم والكذب على هذا أو ذاك أو السرقة من هذا أو ذاك. وذلك بخلاف الأديان الأخرى التى تبيح كل شىء عند التعامل مع غير أبناء ملتها، أو تحرم البيع والشراء معه.

٣ ـ السلفية والفكر الإسلامى

يرى جرونيباوم أن الإسلام إبان نشأته كان

يعالج التغيرات التى كانت تطرأ فى الحياة عن طريق نسخ الآيات والأحكام التى لم تعد صالحة للحياة الجديدة واستبدالها بآيات أخرى تتلاءم مع الظروف الطارئة، فلما انقضى عهد النبوة وتوقف الوحى لم يعد هناك مجال للتطوير.

وهنا - كما يقول - اتخذ المسلمون من عصر النبوة نموذجا، فكلما تعرض المسلمون إلى مشكلة تتطلب حلا ألغوا عقولهم وبحثوا عن نظائر لهذه المشكلة فى عصر النبوة يسترشدون بها فى حل مشكلتهم. حتى لو كانت هذه المشكلة يسيرة، ويضرب لذلك مثلا بقضية إثبات سن البلوغ عند الغلام التى كانت تتطلب استشارة طبيب أو التعرف المباشر فقط، لكن الفقهاء لم يقتنعوا بها إلا بعد أن قاسوها على نظير لها من فعل الرسول ﷺ.

يرى جرونيباوم أن مثل هذه الثقافة تصوغ الشخص المسلم المثالى صياغة تسلطية رجعية غير مجددة ولا مبتكرة، ويرى أن ضرورات الحياة كانت تحتم على السلاطين تجاوز هذه النصوص الدينية الجامدة، فيصدرون قوانين تتعارض مع الشريعة، ويربط جرونيباوم ذلك بإعراض كثيرين من الفقهاء عن تولى القضاء للسلاطين بل الخصومة معهم. لأن الحياة - كما يقول - تقوم على قانونين متناقضين فى ظل الثقافة الإسلامية، قانون مثالى لا يصلح للواقع، وقانون واقعى يتعارض مع الشريعة، يقول: «كانت الحياة الاجتماعية والسياسية تقوم على مستويين، تكون الأحداث فى أحدهما صحيحة ولها سند شرعى، ولكنها فى الواقع غير واقعية، فى حين لا يستطيع المرء من الناحية الأخرى أن يجد سندا شرعيا لأحداثها على الإطلاق، أخفق القانون السماوى لأنه أهمل عامل التغير الذى أخضع له مخلوقاته»، «فالمسلم يعيش فى كنف قانونين» ص١٨٥.

لم يفهم جرونيباوم الحكمة من النسخ فى القرآن الكريم، ولم يشأ أن ينظر إلى أعمال المجددين فى أمور الإسلام المجتهدين فى استنباط أحكامه، ولم يتهيأ له أن يفقه السبب الذى من أجله أعرض الفقهاء الأتقياء عن تولى مناصب القضاء لأن مفهوم «الورع» لم يكن فى قاموسه أصلا. ولا فى قاموس الفكر الذى ينتمى إليه.

٤ - الخلافة ونظام الحكم

يقول جرونيباوم: «ليس بين مظاهر الحضارة الإسلامية مظهر أصرح دلالة على فشل المسلمين المستتر وراء أبراد الأبهة والجلال من إخفاقهم فى إقامة التوازن بين الآمال والأعمال. إذ عجزوا عن القيام فى قدر معقول من الكفاية بوضع دستور بالمبادئ التى أنزلها الوحى فى شأن الدولة.. ولكن الأمر تناهى إلى أن صارت شقة الخلاف بين الواقعى والمثالى شيئا مضحكا وغير مطابق ويوجب اطراح المثالى» ص١٩٨.

ويرى أن ذلك ليس إلا لعدم صلاحية الثقافة الإسلامية فى هذا المجال للتطبيق مما دفع المسلمين إلى استعارة أشكال الحكم من الفرس وانتهى بهم فى النهاية إلى أن تكون القوة هى المعترف بها فى مجال الاستيلاء على الحكم.

ويرى أن كل حاكم من الجند أو المماليك كان يجد بطانة من الفقهاء المرتشين الذين يطوعون له النصوص الدينية التى تضمن له طاعة العامة من الأتقياء وكان من نتيجة ذلك - كما يقول - أن «أصبح الرأى السائد أن كل مسلم مؤمن ملزم بأن يطيع كل من قبض على السلطة» ص٢١٦.

وأن المسلمين كانوا «على استعداد للسير وراء كل زعيم يبثهم الأمل» ص٢٥٣.

وتناسى جرونيباوم أنه ذكر قبل ذلك أن الخلاف ونظم الحكم لم تكن من أصول الإيمان أو مبادئ الإسلام، بل هى من الأمور الدنيوية التى تنسب أخطاؤها إلى القائمين عليها وليس إلى الإسلام كما نسى أنه سبق أن رمى الفقهاء

بالجمود وعدم القدرة على الاجتهاد، فرماهم ههنا بأنهم يطوعون النصوص ويقبل ذلك منهم.

٥ـ الثقافة الإسلامية صانعة لنماذج مثالية

يرى جرونيباوم أن الأدب الذى صنعته الثقافة الإسلامية يعنى فقط بصناعة نماذج مثالية ويهمل الخصائص الفردية الذاتية للناس باعتبارهم بشرا يقول عن الإسلام: «لا يجعل الإنسان محل اعتباره الأول» ص٢٩٣.

ويرى أن ذلك كان سببا فى أن المسلمين لم يستفيدوا من الحضارة الإغريقية إلا فى جانبها المادى فقط، وكان سببا أيضا فى سلبية الإنسان المسلم وقتل روح الابتكار فيه، وعدم عنايته بالأوضاع الفاسدة، وحبه للثبات وكراهيته للتغيير والابتكار.

لقد أطلق جرونيباوم الأحكام هكذا ونسب كل الأخطاء التى خلفتها عصور الضعف والاستعمار فى حياة المسلمين إلى الإسلام نفسه، فالعناية بصناعة النموذج فى قصيدة المدح فى الأدب العربى كانت من مخلفات الجاهلية التى عارضها الإسلام الذى كان من مبادئه عدم مدح الرجل إلا بما فيه، ولم يكن اهمال المسلمين للأدب الإغريقى لهذا السبب الذى أورده جرونيباوم بل لأنه يقوم على تعدد الآلهة التى يرفضها الإسلام.

٦ـ وظيفة العلم فى الثقافة الإسلامية

يدعى جرونيباوم أن وظيفة العلم فى الإسلام لم تكن موجهة نحو البحث عن إيجاد وسائل تحسن أحوال معيشة الإنسان ـ كما هو الشأن فى الحضارة الغربية ـ بل اقتصر دور العلم ـ كما يقول ـ على حراسة الشريعة وتفسيرها. ومن ثم فإنه يرى أن جهد العلماء قد انحصر فى نقد الحكومات التى تبتعد عن الشرع ولم يتجه نحو تطوير نظم تقاوم المظالم، بل إنه يرى أن الثقافة الإسلامية قد أتاحت نمو التقاليد الاستبدادية فى الشرق.

هكذا يتجاهل جرونيباوم كل الجهود التى بذلها علماء المسلمين فى شتى فروع العلم والمعرفة.

٧ـ المصادر الحضارية للإسلام

يرى جرونيباوم أن الحضارة الإسلامية ليست حضارة أصيلة بل هى تقوم على التلفيق بين الحضارات السابقة، يقول: «وإذا قيست دولة الإسلام إلى القسطنطينية وروما ظهرت فى زى الدَّعىِّ المُحْدث، وذلك أنه لم يكن للإسلام ماض تليد، ولم يكن له تقاليد تاريخية» ثم يقول: «ولذا قد نجرؤ على أن نقول: إن الإسلام استولى على الأصول التاريخية لعالم الرومان والفرس والكتب المقدسة».

يتجاهل جرونيباوم هنا حقيقة أن الحضارات الإنسانية سلسلة متواصلة من الحلقات تأخذ كل حضارة من سابقاتها وتضيف إليها، والذى يميز الحضارة الإسلامية أنها كانت تقوم على الأخلاق، فلم تنكر الحضارات السابقة، مثلما أنكرت الحضارة الإغريقية دور الحضارة المصرية، وكما تنكر الحضارة الغربية اليوم دور الحضارة الإسلامية.

وبعد: فإن من العجيب أن يؤلف هذا الكتاب سنة ١٩٤٥م ثم يطبع أربع مرات حتى ١٩٥٤م ثم يترجم إلى العربية سنة ١٩٥٦م ويعاد نشره سنة ١٩٩٤م، ومع ذلك لا يرد عليه أحد. رغم ما يحتويه من افتراءات بل الأكثر عجبا أننا نجد رؤيته المعادية للثقافة الإسلامية تُتخذ من قبل كثيرين من المثقفين العرب، كحديثه عن الولاء والمواطنة والدولة الدينية وتسلط الثقافة الإسلامية والخصائص الفردية المفقودة فى الأدب العربى. وغير ذلك فى نبرة كأنها أصيلة لكنها نبرة أقرب ألى أصوات الببغاوات، يرددها المستغربون عندنا بوعى أو بدون وعى، ويتخذها أعداء الإسلام اليوم أساسا للطعن فى الإسلام ورميه بالجمود والتسلط والانغلاق والإرهاب.

مصادر التوثيق اللغوى للغة العربية

أ.د. محمد بلاسى

هو ذلك المنهج الذى يعنى بوضع الضوابط والقوانين التى تحكم الاستعمال اللغوى فى مستوياته المختلفة بحيث يعد الخروج عليه ضربا من ضروب اللحن والغلط ويكون الالتزام بها التزاما بالمستوى الصوابى الذى يسير عليه المتكلمون باللغة المعنية، وهذا هو الطابع الغالب على مؤلفات النحو والتصريف(١).

وأساس هذا المنهج: محاولة استخلاص مجموعة محددة من القواعد والقوانين وجعلها نموذجا أو معيارا ينبغى الأخذ به والسير على طريقه، فمن خرج عن هذا النهج أو المعيار دخل فى دائرة الخطأ، ومن سار على هديه كان مصيبا، فهذا النهج فى الأساس وظيفته: بيان الخطأ والصواب فى اللغة ومحاولة فرض قواعده على مستعملى اللغة؛ حفاظا عليها وعلى أصولها(٢).

مصادر اللغويين فى استنباط المعايير اللغوية(٣):

من الممكن حصر المصادر التى اعتمد عليها اللغويون العرب فى استنباط المعايير اللغوية، فيما يلى وبإيجاز:

١ ـ القرآن الكريم. ٢ ـ القراءات القرآنية. ٣ ـ الحديث النبوى الشريف. ٤ ـ الشعر. ٥ ـ الشواهد النثرية.

التفاوت فى المعايير اللغوية:

غير أن هناك تفاوتا حول بعض تلك المصادر فى استنباط المعايير اللغوية، نوضح ذلك فيما يلى:

١ ـ القرآن الكريم:

وقد اعتبروه فى أعلى درجات الفصاحة وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة؛ ولذا وقفوا منه موقفا موحدا فاستشهدوا به، وقبلوا كل ما جاء فيه. ولا يعرف أحد من اللغويين قد تعرض لشىء مما أثبت فى المصحف بالنقد والتخطئة. ويقول الراغب الأصفهانى فى كتابه «المفردات» مبينا قيمة اللفظ القرآنى: «ألفاظ القرآن الكريم هى لب كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء.. وإليها مفزع حذاق

الشعراء والبلغاء وما عداها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة»(٤).

٢ ـ القراءات القرآنية:

وهى الوجوه المختلفة التى سمح النبى ﷺ بقراءة نص المصحف بها؛ قصدا للتيسير(٥).

يقول ابن الجزرى: «كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، يعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى حرف آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا، كما أشار إليه ﷺ حين أتاه جبريل فقال له: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف فقال ﷺ: **«أسأل الله معافاته ومعونته إن أمتى لا تطيق ذلك. ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف. فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع»**(٦).

ومن المقرر لدى العلماء أن المعول عليه فى القرآن الكريم إنما هو التلقى والأخذ، ثقة عن ثقة، وإماما عن إمام إلى النبى ﷺ، وأن المصاحف لم تكن ولن تكون هى العمدة فى هذا الباب، إنما هى مرجع جامع للمسلمين، على كتاب ربهم، ولكن فى حدود ما تدل عليه وتعينه، دون مالا يدل عليه ولا تعينه.

ومن المعلوم أن المصاحف لم تكن منقوطة ولا مشكولة، وأن صولة الكلمة فيها كانت لكل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة، وإذا لم تحتملها كتبت الكلمة بأحد الوجوه فى مصحف، ثم كتبت فى مصحف آخر بوجه آخر، وهلم جرا.

فلا غرو أن كان التعويل على الرواية والتلقى هو العمدة فى باب القراءة والقرآن(٧).

ألفاظ القرآن الكريم هى لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء

ولعلماء القراءات ضابط مشهور، يزنون به الروايات الواردة فى القراءات، وحدة: كل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا، ووافقت العربية ولو بوجه، وصح إسنادها ولو كان عمن فوق العشرة من القراءة، فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن.

وهذا الضابط نظمه صاحب الطيبة، فقال:

وكل ما وافق وجه النحو
وكان للرسم احتمالا يحوى
وصح إسنادا، هو القرآن
فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت
شذوذه لو أنه فى السبعة(٨)

وينبغى أن يعلم أن أهم هذه الأركان هو الركن الثالث، والركنين الأولين لازمان له، إذ أنه متى تحقق تواتر القراءة لزم أن تكون موافقة للغة العرب، ولأحد المصاحف العثمانية، فالعمدة هو: التواتر(٩).

أقول: ولو أخذ علماء اللغة بهذا المقياس وهو التواتر ـ ولم يربطوا بين القراءات واللهجات ثم يقيسون صحة القراءة على اللهجة؛ لما وجدناهم يوقعوننا فى الحيرة والاضطراب حين ينقدون القراءات ويقيسونها بمقاييسهم الضيقة، ولا يتحرجون عن تخطئتها أو تلحينها إذا عجزوا عن أن يجدوا لها وجها فى العربية تخرج عليه، ونسوا أن «القراءة سنة متبعة»(١٠)!

وفى رأيى أن اللغوى لا يصح أن يتطلب أكثر من صحة الرواية كما يفعل بالنسبة لسائر النصوص، فمتى صح ذلك لم يجز له رفض القراءة، ولكن إذا وجدها مخالفة لما جرت عليه

اللغة المشتركة، نحاها جانبا ولم يدخلها فى القاعدة العامة، واعتبرها ممثلة للهجة خاصة أو بيئة محلية، ولا يعنى ذلك الطعن فى القراءة أو التشكيك فى صحتها(١١).

٣ ـ الحديث النبوى الشريف:

لقد سكت المتقدمون من علماء العربية عن الاستشهاد بالحديث ولم يرو عنهم ما يفيد أنهم منعوه، بل تجد فى بعض كتبهم استشهادا بالحديث وإن كان قليلا.

أما بين المتأخرين من العلماء فقد اشتد الخلاف، وأصبح واضحا كل الوضوح فى القرنين السابع والثامن من الهجرة(١٢).

فقد انقسم علماء اللغة عند الاستشهاد بنصوص الأحاديث الشريفة فى مسائل اللغة إلى فرق ثلاثة(١٣).

الفريق الأول: يمثل معظم هؤلاء العلماء، وأصحاب هذا الفريق كانوا يرون منع الاستشهاد بالحديث فى مسائل اللغة.

ومن زعماء هذا الفريق: ابن الضائع الأشبيلى وأبو حيان. وقد استند هذا الفريق إلى أمور، هى:

أ ـ أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبى ﷺ، وإنما رويت بالمعنى، فتجد مثلا قصة واحدة قد جرت فى زمانه ﷺ لم تقل بتلك الألفاظ جميعها: نحو ما روى من قوله: «**زوجتكها بما معك من القرآن**» وفى رواية «**ملكتكها بما معك من القرآن**»، وفى رواية أخرى: «**خذها بما معك من القرآن**».

ورد على هذا الاستناد: بأن النقل بالمعنى إنما كان فى الصدر الأول قبل تدوينه فى الكتب، وقبل فساد اللغة، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به، فلا فرق على أن اليقين غير شرط، بل الظن كاف.

ب ـ أن أئمة النحو المتقدمين لم يحتجوا بشىء منه.

ورد على هذا الاستدلال: بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوى فى ضبط ألفاظه. ويلحق به ما روى عن الصحابة وأهل البيت.

ج ـ أن كثيرا من رواة الأحاديث كانوا من المولدين: أى الذين عاشوا بعد عصور الاحتجاج، وهؤلاء يجوز عليهم اللحن.

الفريق الثانى: وهم قلة. وعلى رأسهم: ابن مالك وابن هشام. وهم يجوزون الاستشهاد بنصوص الأحاديث فى مسائل اللغة، وحجتهم: أنه إذا جاز اللحن فى رواية الحديث فكذلك يقال فى رواية الأشعار. بل إن احتمال اللحن فى رواية الأشعار أكثر؛ وذلك لأن الوازع الدينى يساعد على تذكر نصوص الأحاديث ويعمل على صيانتها من أى انحراف.

أما قولهم إن تدوين الحديث كان قبل فساد اللغة ففيه نظر؛ لأن المعروف أنه دون فى القرن الثانى الهجرى فى الأمصار، أى بعد عصر الاحتجاج، وقد ظهر اللحن فى أواخر عهد بنى أمية.

الفريق الثالث: وقد وقف موقفا وسطا بين الفريقين السابقين، فقسم الأحاديث إلى قسمين:

أ ـ قسم يستشهد بنصوصه.

لاقى الشعر العربى القديم اهتماما كبيرا من اللغويين واعتبروه الدعامة الأولى حتى تخصصت كلمة الشاهد فيما بعد وأصبحت قاصرة على الشعر

ب ـ قسم لا يحتج به فى مسائل اللغة.

أما القسم الذى يستشهد بنصوصه، فيكون بالأحاديث التالية:

١ ـ ما يروى بقصد الاستدلال على فصاحته ﷺ، مثل: مات حتف أنفه، حمى الوطيس.

٢ ـ ألفاظ القنوت والتحيات والأدعية وغيرها من أقوال التعبد.

٣ ـ أحاديث من مصادر متعددة وبلفظ واحد.

٤ ـ أحاديث يرويها أولئك الذين ربوا فى بيئة عربية كأنس بن مالك والشافعى.

أما عن القسم الذى لا يحتج بأحاديثه فى مسائل اللغة: فتلك التى دونت متأخرا، أو التى غمزت فى صحتها، أو الأحاديث التى شذت روايتها(١٤).

ومن انضم إلى هذا الفريق: الشاطبى فى شرحه لألفية ابن مالك، والسيوطى فى الاقتراح، وشيخ الإسلام محمد الخضر حسين.

٤ ـ الشعر:

لاقى الشعر العربى القديم اهتماما كبيرا من اللغويين واعتبروه الدعامة الأولى؛ حتى تخصصت كلمة الشاهد فيما بعد وأصبحت مقصورة على الشعر فقط(١٥).

وحق لهم ذلك؛ حيث قال ابن عباس رضي الله عنه: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه».

ويقول أيضا: «إذا تعاجم شىء من القرآن فانظروا فى الشعر، فإن الشعر عربى»(١٦).

على أن اللغويين لم يتركوا الأمر على علاته؛ لذا فقد قسموا الشعراء إلى طبقات أربعة، ولكل طبقة حكم خاص فى الاستشهاد بكلامها(١٧):

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون: وهم قبل الإسلام، كامرئ القيس والأعشى.

الطبقة الثانية: الشعراء المخضرمون: وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلبيد وحسان بن ثابت.

الطبقة الثالثة: الشعراء الإسلاميون: وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام، كجرير والفرزدق، وآخرهم ابن هرمة:

قال الأصمعى: «ختم الشعر بابن هرمة»، وقال أبو عبيدة: افتتح الشعر بامرئ القيس، وختم بابن هرمة».

الطبقة الرابعة: الشعراء المولدون: ويقال لهم المحدثون: وهم من بعدهم إلى زماننا هذا، كبشار ابن برد وأبى نواس. هذا: ومن حيث الاستشهاد بشعرهم، فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعا.

أما الطبقة الثالثة: فالصحيح جواز الاستشهاد بشعرهم. وقد كان أبو عمرو بن العلاء، وعبدالله ابن أبى إسحاق، والحسن البصرى، وعبدالله بن شبرمة، يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم، وكانوا يعدونهم من المولدين.

وقد كان الأصمعى ينكر أبرق الرجل وأرعد، فلما احتج عليه ببيت الكميت الذى قاله فى هجاء يزيد بن خالد بن عبدالله القسرى:

أبرق وأرعد يا يزيـ

ـد فما وعيدك لى بضائر

قال الأصمعى ردا عليهم: ليس بيت الكميت بحجة، إنما هو مولد(١٨).

أما الطبقة الرابعة: فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقا، ومنهم من أباح الاستشهاد بكلام من يوثق به منهم، ومن هؤلاء الزمخشرى اللغوى

والنحوى المشهور الذى كان يرى الاحتجاج بشعر أبى تمام وغيره من أئمة اللغة ورواتها، ويقول ردا على من سأل كيف يستشهد فى الكشاف بشعر لأبى تمام: «اجعل ما ينظمه بمنزلة ما يرويه». يشير إلى مجموع أبى تمام المعروف باسم «ديوان الحماسة». والذى تلقاه العلماء بالقبول والثقة(١٩).

٥ـ الشواهد النثرية:

تشمل الشواهد النثرية نوعين من المادة اللغوية:

أ ـ ما جاء فى شكل خطبة أو وصية أو مثل أو حكمة أو نادرة. هذا يعد من آداب العرب المهمة ويأخذ فى الاستشهاد به مكانة الشعر وشروطه.

ب ـ ما نقل عن بعض الأعراب ومن يستشهد بكلامهم فى حديثهم العادى، دون أن يتحقق له من التأنق والذيوع مثل ما تحقق للأول.

وقد وضع اللغويون شروطا تشمل الزمان والمكان بالنسبة لهذا النوع من المادة(٢٠).

فمن ناحية الزمان: حدد اللغويون العرب الفصحاء الذين يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم بنهاية القرن الثانى الهجرى بالنسبة لعرب الأمصار، وأواسط القرن الرابع الهجرى بالنسبة لعرب البدو من جزيرة العرب، وسموا هذه العصور بعصور الاحتجاج(٢١).

أما من ناحية المكان: «فقد ربطوه بفكرة البداوة والحضارة كانت لغتها محل شك ومثار شبهة؛ ولذلك تجنبوا الأخذ عنها. وفكرتهم فى ذلك: أن الانعزال فى كبد الصحراء، وعدم الاتصال بالأجناس الأجنبية يحفظ للغة نقاوتها ويصونها على أى مؤثر خارجى، وأن الاختلاط يفسد اللغة وينحرف بالألسنة»(٢٢).

ويوضح الدكتور إبراهيم أنيس هذا بقوله(٢٣): وحين استعرضنا مساكن البدو والحضر وحالتهم الاجتماعية؛ تبين لنا أن العلماء قد أسسوا فصاحة القبيلة على دعامتين:

الأولى: مقدار قرب مساكنها من مكة وما حولها.

والثانية: مقدار توغلها فى البداوة.

ولذلك رأيناهم يعتزون بلغة القبائل الحجازية بوجه عام وقبائل نجد ووسط الجزيرة ويرفضون الأخذ عن القبائل التى كانت مساكنها فى أطراف الجزيرة وعلى حدودها.

كذلك رأيناهم يعتزون اعتزازا كبيرا بلغة القبائل المتوغلة فى البداوة. ونلحظ هذا فى احتكامهم فى مسائل اللغة إلى الأعراب الوافدين إلى الأمصار أيا كانت ثقافتهم أو مركزهم الاجتماعى؛ اعتقادا منهم أن هؤلاء الأعراب قد انعزلوا عن البيئات المتحضرة التى فسدت لغتها، وأنهم ورثوا اللغة سليمة صحيحة، أما الأعرابى الذى يعيش فترة فى الحضر ثم يسأل فى مسألة لغوية ويجيب بما يعرف أو بما يخالف ما يتوقع منه، كان السائل من العلماء يقول له:

هيهات لان جلدك ياأبا فلان!!! أى أصبحت متحضرا ولم تعد أهلا لأخذ مسائل اللغة عنك.

وخير مثل لهذا: قصة أبى عمرو بن العلاء مع أعرابى يدعى «أبا خيرة» حين جاءه بجملة تشتمل على جمع مؤنث سالم فى حالة النصب وطلب من أبى خيرة ضبط هذا الجمع فنطق به مفتوحا، فقال أبو عمرو: هيهات لان جلدك ياأبا خيرة!!!! هذا؛ وأول من روى لنا قائمة محددة بالقبائل التى يستشهد بها والتى لا يستشهد بها الفارابى اللغوى فى كتابه «الألفاظ والحروف»، وتعد هذه القائمة وثيقة مهمة تناقلتها كتب اللغة المتأخرة، مثل: «شرح التسهيل»: لأبى حيان، و«المزهر» و«الاقتراح»: للعلامة السيوطى(٢٤).

الهوامش:

١ ـ الموجز فى البحث اللغوى: د. محمد سعد، ص٦٢، نقلا عن: البحث اللغوى بين النظرية والتطبيق: د. محمد عفيفى، ص٩٣.

٢ ـ التفكير اللغوى بين القديم والجديد: د. كمال بشر، ص٤٤، ٤٥، (بدون ذكر الطباعة والتاريخ)، الناشر: مكتبة الشباب.

٣ ـ راجع: البحث اللغوى عند العرب: د. أحمد مختار عمر، ص١٩ وما بعدها؛ تجد تفصيلا، الطبعة الرابعة ـ مطابع سجل العرب، سنة ١٤٠٢هـ.

٤ ـ المرجع السابق، ص١٩، ٢٠.

٥ ـ المرجع نفسه: ص٢١.

٦ ـ النشر فى القراءات العشر: لابن الجزرى، تحقيق محمد الضباع، ٢٢/١، ط. الفكر، القاهرة.

٧ ـ مناهل العرفان فى علوم القرآن: للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقانى، ٤١٢/١، ٤١٣ ـ بتصرف يسير ـ، ط. عيسى البابى الحلبى، (د. ت).

٨ ـ المرجع السابق: ٤١٨/١.

٩ ـ القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: للشيخ عبدالفتاح القاضى، ص٤، ط. عيسى البابى الحلبى (د. ت).

١٠ ـ انظر: البحث اللغوى عند العرب: ص٢١ وما بعدها؛ تجد مزيدا من التفصيل. وراجع: معانى القرآن وإعرابه: للزجاج، ٤٠٤/٤. والإبانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم: للزجاج، ورقة ١٥، (مخطوط محفوظ بدار الكتب العامة بمصر، تحت رقم ٢١ نحو ش)، وقد قام بتحقيقه مؤخرا الكاتب الدكتور محمد السيد على بلاسى. يراجع: الكتاب ص١٠٤، ط. دار ظافر للطباعة، سنة ١٩٩٩م.

١١ ـ البحث اللغوى عند العرب: ص٣١، ٣٢.

١٢ ـ فى اللهجات العربية: د. إبراهيم أنيس، ص٥٠، ط. ٦، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.

١٣ ـ انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبدالقادر البغدادى (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ٩/١ وما بعدها، ط. دار الكتاب العربى بالقاهرة، سنة ١٣٨٧هـ.

وانظر أيضا؛ فى اللهجات العربية: ص٥٠، ٥١. والبحث اللغوى عند العرب: ص٣٢ وما بعدها؛ تجد مزيدا من التفصيل.

١٤ ـ فى اللهجات العربية: ص٥٠، ٥١. نقلا عن بحث للشيخ الخضر حسين، نشره فى مجلة مجمع اللغة العربية: الجزء الثالث: ص١٩٧.

١٥ ـ البحث اللغوى عند العرب: ص٣٩.

١٦ ـ انظر: المعجم العربى دراسة ونقدا: للدكتور شعبان عبدالعظيم، ص١٤، الطبعة الثانية مطبعة الأمانة، سنة ١٤٠٣هـ.

١٧ ـ راجع: خزانة الأدب، ص٥ وما بعده. والبحث اللغوى عند العرب: ص٤٣ وما بعدها، تجد مزيدا من التفصيل.

١٨ ـ علة كونه مولدا: أن الكميت استعمل صيغة (أفعل) من برق، ورعد، مع أن الاستعمال الفصيح لا يعرف إلا صيغة الثلاثى: مجازا فى التهديد والوعيد. انظر: العربية: يوهاك فك، ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب، ص٥١ وهامشها، ط. المطبعة العربية الحديثة، سنة ١٤٠٠هـ. وراجع: البحث اللغوى عند العرب: ص٤٤. وديوان الأدب للفارابى، ٣١٦/٢، تحقيق د. أحمد مختار عمر، ط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

١٩ ـ راجع: البحث اللغوى عند العرب ص٤٥، ٤٦. وديوان الأدب: ص٦ وما بعدها. والكشاف: للزمخشرى، آية ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ البقرة: آية ٢٠.

٢٠ ـ البحث اللغوى عند العرب: ص٤٧.

٢١ ـ انظر: مجلة المجمع: ٢٠٢/١، ٢٩٤، ٣٠٣. وقفة فى اللغة: د. على عبدالواحد وافى، ص١٩٩. واللغة العربية وخصائصها وسماتها: للدكتور عبدالغفار حامد هلال، ص١٣٨، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٦هـ.

٢٢ ـ البحث اللغوى عند العرب: ص٤٧، ٤٨.

٢٣ ـ فى اللهجات العربية: ص٥١، ٥٢ ـ بتصرف يسير ـ.

٢٤ ـ البحث اللغوى عند العرب: ص٤٨٩، وانظر نص الوثيقة المذكورة فى: المزهر: للسيوطى، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ٢١١/١، ٢١٢، ط. دار التراث، د.ت.

مفهوم التنمية في الإسلام

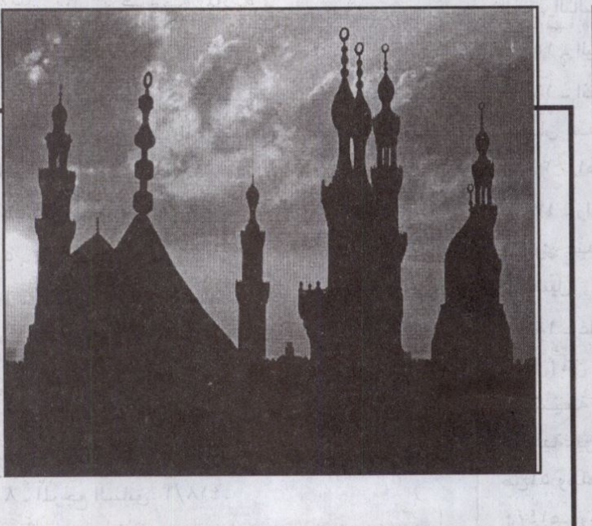

فضيلة الشيخ/ شوقى عبداللطيف

إن مفهوم التنمية فى الإسلام ينطلق من معنى خلافة الإنسان فى الأرض قال تعالى مبينا أهمية الإنسان وأهليته لهذه الخلافة: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون﴾ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم علي الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ البقرة: الآيات ٣٠ ـ ٣٣.

ـ ولقد بين سبحانه وتعالى الغاية من هذا الاستخلاف وهو عمارة الأرض ونشر العدل والخير والأمن والأمان بين ربوعها بقوله تعالى: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ هود: آية ٦١.

ـ وقبل أن نسترسل فى الحديث عن التنمية خاصة وأن هذا الموضوع كثر حوله الجدل لأنه فى حقيقة الأمر هو ركيزة قوة أى أمة وأساس نهضتها وحضارتها.

والتنمية فى اللغة تعنى الزيادة وهو مصطلح ذاع استعماله في العصر الحديث وخاصة فى البلدان المتقدمة صناعيا، ولكن اقتصر مفهومه على الجانب الاقتصادى فقط. حيث كان الهدف الرئيسى هو زيادة دخل الفرد حتى يكون هناك تناسب بين زيادة الدخل القومى والنمو السكانى.

- ولكن هل يكفى أن ينهض بالتنمية علماء الاقتصاد وحدهم.
- والحقيقة أن ذلك لا يكفى بل لابد من مشاركة علماء الدين والنفس والطب.

● ومن هنا بات واجبا علينا أن نبين مفهوم التنمية فى الإسلام.

● إن نظرة الإسلام للتنمية نظرة شاملة، فهو ينظر إليها من جميع جوانبها، وخاصة أنه بات مؤكدا بأن الرفاهية المادية لا تكفى فى تحقيق التنمية، ومن هذا المنطلق يمكن بلورة مفهوم التنمية فى الإسلام على النحو التالى:

- التنمية الإسلامية غير مقصورة على النواحى المادية ، بلى تضمنت التنمية الروحية والأخلاقية والمادية.

- التنمية الإسلامية فريضة شرعية على كل مسلم.

● الارتقاء بها يصل إلى مرتبة العبادة. قال تعالى: ﴿**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**﴾ الجمعة: آية ١٠.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له**» رواه الحافظ.

دعوة الإسلام للأخذ بالأساليب العلمية، قال تعالى: ﴿**قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**﴾ يونس: آية ١٠١.

ومن مقومات التنمية الدعوة إلى ترشيد الاستهلاك قال تعالى: ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾ الأعراف: آية ٣١.

وقال أيضا: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**﴾ الإسراء: آية ٢٩.

وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف ياسعد؟ فقال: وهل فى الماء من سرف؟ فقال: نعم، وإن كنت على نهر جار» رواه أحمد وابن ماجه.

والإسراف يتحقق باستعمال الماء لغير فائدة شرعية كأن يزيد المرء في الغسل على الثلاث.

الأخذ بمبدأ الأولويات:

● وهى قاعدة إسلامية أصيلة تحمل بين طياتها التيسير ورفع الحرج والتركيز على الأهم حتى لا تضيع الأصول.

تقديم الفرائض على النوافل:

ولقد علمنا الله ذلك فقال تعالى: ﴿**ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون**﴾ الروم: آية ٤١.

وفى الحديث الشريف: عن عامر بن أبى وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود**» رواه الترمذى.

- ومن هنا يتبين لنا بأن التنمية الإسلامية تحمى الحياة الإسلامية من كل ما يهددها من المخاطر والأضرار.

نعم إنها تنمية إيمانية تربط بين التقوى والعمل كما أنها تنمية متوازنة تشمل جميع الطوائف وتكفل عدالة التوزيع..

أنواع التنمية فى الإسلام:

أ - التنمية الروحية وهى أساس التنمية وقلبها النابض وبدونها تتهاوى كل أنواع التنمية، لأن صلة الإنسان بربه هى السبيل لصفاء الروح وتهذيب الجوارح والانطلاقة الكبرى الصحيحة، فى آفاق الكون لعمارته وسعادة أبنائه قال تعالى: ﴿**يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون**﴾ الأعراف: آية ٢٦.

ب - التنمية البدنية:

إن الإسلام وهو دين الوسطية لم يغفل الناحية البدنية وإنما يوازن دائما بينها وبين الروح حتى لا يطغى أحدهما على الآخر.

قال تعالى: ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين**﴾ القصص: آية ٧٧.

وقال أيضا: ﴿**قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون**﴾ الأعراف: آية ٣٢.

عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: **نهى رسول الله ﷺ عن الوصال قالوا إنك تواصل قال: إني لست مثلكم إنى أطعم وأسقى»**. البخارى.

ولقد نقل عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم أما أنا فأصلى الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: **أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»** البخارى.

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مر النبى ﷺ على نفر من أسلم ينتصلون (يرمون بالنبال) فقال النبى ﷺ: «**ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بنى فلان قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله ﷺ ما لكم لا ترمون؟ قالوا كيف نرمى وأنت معهم؟ فقال النبى ﷺ ارموا فأنا معكم كلكم**» رواه البخارى.

وعن بكر بن عبدالله بن الربيع الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ: «**علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل، ونعم لهو المؤمنة فى بيتها المغزل وإذا دعاك أبواك فأجب أمك**» رواه النسائى.

ج - التنمية الخلقية:

● وهى من أهم أنواع التنمية لأنها تمثل حلقة الاتصال الحقيقية بين بنى البشر خاصة فى الأمور التى تحتاج إلى التعاون بين الإنسان وأخيه الإنسان ولأن الدين هو المعاملة.

ولأهمية حسن الخلق أثنى الحق تبارك وتعالى على رسوله بقوله: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ القلم: آية ٤. كما وجه الحق سبحانه وتعالى عباده إلى حسن معاملة الآخرين حتى ولو أساءوا فقال تعالى: ﴿**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوةٌ كأنه ولى حميم**﴾ فصلت: آية ٣٤.

وقد روى أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية عليه سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم، ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد: إن الله يأمرك «**أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك**» رواه البخارى.

ولما كسرت رباعيته ﷺ وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال: «**إنى لم أبعث لعانا وإنما بعثت داعيا ورحمة، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون**».

د - التنمية الزراعية:

● زراعة الأرض من أطيب الأعمال، فمن غراسها نأكل وعلى خيراتها نعيش قال تعالى: ﴿**ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون**﴾ الأعراف: آية ١٠.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها**

أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ النمل: آية ٦٠.

ويقول أيضا: **﴿ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾** البقرة: آية ٢٦٧.

● ولقد حث الرسول ﷺ علي التنمية الزراعية لأهميتها فقال: **«ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»** رواه البخارى ومسلم.

وقال أيضا ﷺ: **«إن قامت الساعة وفى يدى أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يفرغ حتى يغرسها فليغرسها»** حديث صحيح.

كما ورد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر وما أكلت العافية فهو له صدقة»** حديث صحيح رواه أحمد والنسائى وابن حبان.

وقد ورد فى الأثر عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال: **«زارعوا على الأرض - بنصفها - بثلثها - بربعها - إلى عشرها ولا تدعو الأرض خرابا»**.

● كما أثر عنه أيضا قوله: **«من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها»**.

هـ - التنمية التجارية:

● التجارة من أنشط عوامل التنمية وفيها تسعة أعشار الرزق ولأهميتها دعا إليها الإسلام ورغب فيها.

● وقد اشتغل الرسول ﷺ بالتجارة فى شبابه قبل البعثة فكان نعم التاجر الصدوق. كما كانت مهنة معظم الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين - قال تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾** النساء: آية ٢٩.

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر على النبى ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: **«إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان»** رواه الطبرانى.

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع الأنصارى فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال: عبد الرحمن بارك الله لك فى أهلك ومالك دلنى على السوق فربح شيئا من أقط وسمن ورآه النبى ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة فقال ﷺ مهيم يا عبد الرحمن: قال: يارسول الله تزوجت أمرأة من الأنصار قال: فما سقت فيها فقال: وزن نواة من ذهب فقال النبى ﷺ أولم ولو بشاة» البخارى.**

و - التنمية الصناعية:

● والصناعة مورد من أهم موارد التنمية بها تتقدم الأمم وينمو الاقتصاد وتزهو الحضارات. قال تعالى موجها البشرية نحو استخدام مواد الصناعة واستثمار مواردها: **﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾** الحديد: آية ٢٥.

● كما بين بأن الصناعة من النعم التى أنعم بها على نبى من أنبيائه وهو داود عليه السلام قال تعالى: **﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾** الأنبياء: آية ٨٠.

● وفى هذا الصدد أيضا يقول تبارك وتعالى: **﴿وألنا له الحديد* أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير﴾** سبأ: الآيتان ١٠، ١١.

● وقوله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**» رواه البيهقى عن عائشة - رضى الله عنها -.

● وقوله أيضا ﷺ: «**إن الله يحب العبد المحترف**» رواه الترمذى والطبرانى.

ز- التنمية الاجتماعية:

● إن المبادئ السامية التى جاء بها الإسلام تحث المسلمين جميعا على التكافل العام بجميع صوره حتى يتحقق للبشرية كلها الخير والسلام وتتنامى أواصر المودة قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾ المائدة: آية ٢.

وقال سبحانه أيضا: ﴿**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**﴾ الحجرات: آية ١٣.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أجله فليصل رحمه**» البخارى والترمذى.

وعن جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقا، فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له، له حق الجوار، وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الجار الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم» رواه الحافظ.

● وقد ورد فى الأثر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمر فوجد شيخا كبيرا ضرير البصر يسأل الناس فضرب عضضه من خلفه وقال: من أى أهل الكتاب أنت، قال: يهودى، قال: فما ألجأك إلى ما أرى، قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده إلى منزله فأعطاه شيئا من المال، ثم أرسل إلى خادم بيت المال فقال له أنظره وضرباءه (أمثاله) فو الله ما أنصفناه، أكلنا شيبته ثم خذلناه عند الهرم، وروى أنه تلى قول الله تعالى: ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**﴾ قال: الفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب - أخبار عمر - ناجى الطنطاوى وعلى الطنطاوى.

ح- التنمية السياسية:

إن السياسة الناجحة هى التى تأخذ بمبدأ الشورى وتؤمن بالرأى والرأى الآخر، وقد وجه إلى ذلك القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾ آ ل عمران: آية ١٥٩.

وجاءت السنة المطهرة لتبين لنا السياسة الرشيدة التى قام على أساسها الملك والعدل.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من أطاعنى فقد أطاع الله ومن يعصنى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعصى الأمير فقد عصانى**» رواه مسلم. وعن عبادة بن الوليد بن عبادة عن أبيه عن جده قال: **بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق لا نخاف فى الله لومة لائم**» مسلم.

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**» رواه النسائى وابن حبان.

● وعن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يارسول الله كأن هذه: (موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشى فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار»** رواه أبو داود.

ط - التنمية العسكرية:

الإسلام يؤمن بأن السلام هو الأصل وأن الجهاد أمر عارض لرد العدوان ودفع الظلم، لذا كانت التنمية العسكرية من أهم أهدافه إحياء للسلام وسبيلا للأمن والأمان.

قال تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** الأنفال: آية ٦٠.

وقد حث على الجهاد والاستنفار وعدم الاستبطاء لدفع المعتدين وردع الظالمين، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير﴾** التوبة: الآيتان ٣٨، ٣٩، وقد حثت السنة المطهرة على فضل الجهاد لإشاعة الأمن والأمان ونشر السلام والحب والوئام.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»** البخارى ومسلم.

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر»** رواه الحاكم.

ك - التنمية الدعوية:

● الدعوة هى قيام العلماء بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة بالقول الحق الذى يلين القلوب ويؤثر فى النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة ويزيد النفوس المهذبة إيمانا وهداية.

● لذا أوجب الله تبليغها على أيدى رسله وقال لخاتمهم سيدنا محمد ﷺ: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين﴾** المائدة: آية ٦٧.

● **﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾** النور: آية ٥٤.

● وقال تعالى: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾** النحل: آية ١٢٥.

● والتنمية الدعوية هى العمل على نشر الدعوة فى ربوع الأرض لإنقاذ أهلها من براثن الشرك إلى شاطئ التوحيد وطريق السعادة قال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** الأنبياء: آية ١٠٧.

● وقال أيضا: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** سبأ: آية ٢٨.

● إنها السعى الدءوب لطهارة القلوب وتزكية الجوارح وتفاعل الحضارات وهى التعارف والتعاون على البر والتقوى.

● وبعد فهذه هى عظمة الإسلام وشموليته التى عالجت جميع القضايا ورسمت للبشرية طريق الهداية وسبيل السعادة.

● قال تعالى: **﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾** المائدة: آية ٥٠.

الأمراض المعدية.. أسبابها والوقاية منها

أ.د: عبد المعبود عمارة

الأمراض المعدية كثيرة، أمرنا رسولنا الكريم بالبعد عن مصادرها والوقاية منها فقال ﷺ فى الطاعون وهو من الأمراض المعدية: «فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه. وإذا كان بأرض فلا تدخلوها» أخرجه البخارى عن أسامة بن زيد. وفى هذا الحديث إشارة نبوية كريمة إلى الحجر الصحى. وفيما أخرجه البخارى أيضا قوله ﷺ: «وفِر من المجذوم فرارك من الأسد». ومن يتأمل الأمراض التى تصيب الإنسان يجدها تنصب فى نوعين أساسيين:

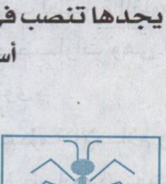

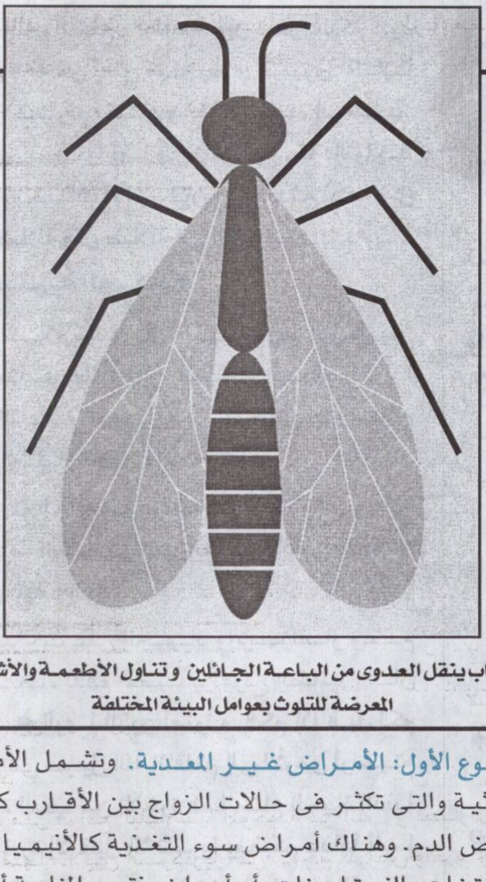

الذباب ينقل العدوى من الباعة الجائلين وتناول الأطعمة والأشربة المعرضة للتلوث بعوامل البيئة المختلفة

النوع الأول: الأمراض غير المعدية. وتشمل الأمراض الوراثية والتى تكثر فى حالات الزواج بين الأقارب كبعض أمراض الدم. وهناك أمراض سوء التغذية كالأنيميا ونقص البروتينات والفيتامينات، أو أمراض نقص المناعة أو زيادة إفراز الغدد الصماء كأمراض الغدة الدرقية أو أمراض خلقية أو مرض السكر وضغط الدم وجلطات القلب (الشرايين التاجية وغيرها).

النوع الثانى: الأمراض المعدية.. وهى التى تنتقل من مريض أو من حامل المرض إلى شخص سليم فتسبب له المرض والعدوى. مثل الأمراض التى تنتقل عن طريق التنفس كالإنفلونزا والسل والالتهاب الرئوى، وهناك أمراض الجهاز

الهضمى كالتيفود والدوسنتاريا والكوليرا وفيروس شلل الأطفال والتهاب الكبد (أ) والعدوى بها تحدث عن طريق الفم وتناول الطعام الملوث من الباعة الجائلين أو تناول الأطعمة والأشربة المعرضة للتلوث بعوامل البيئة المختلفة مثل الأيدى الملوثة أو الذباب.

وهناك أمراض تحدث العدوى بها عن طريق ممارسة الجنس غير الشرعى كالزنا واللواط، وهى أمراض الإيدز والسيلان والزهرى وغيرها. وهناك أمراض تحدث بالملامسة مثل مرض الجدرى والجذام. والأمراض الجلدية الأخرى كالتينيا، وهناك أمراض تنتقل بواسطة نقل الدم أو مشتقاته واستخدام الحقن الملوثة مثل التهاب الكبد الوبائى ب، سى.

السلوك الصحى السليم والحفاظ على البيئة من التلوث والبعد عن الفاحشة من أهم عوامل الوقاية من المرض

كما أن البعوض ينقل مرض الملاريا وداء الفيل والحمى الصفراء، وذبابة التسى تسى تنقل مرض النوم. والقمل ينقل حمى التيفوس، والبرغوث ينقل مرض الطاعون والعياذ بالله تعالى.

وقد تنتقل العدوى من المريض إلى السليم عن طريق عائل وسيط مثل قواقع البلهارسيا الموجودة فى الترع والمصارف حيث يخرج منها ملايين السركاريا التى تهاجم المريض وتغزو جسده. حتى تصل إلى كل عضو وخاصة الكبد حيث تجعله ضعيفا واهنا سهل الإصابة بالفيروسات الكبدية، والأخيرة مع البلهارسيا تقضى وتدمر خلايا الكبد وتسبب فشله وتليفه وتسبب دوالى المرىء والتى تؤدى فى كثير من الأحيان إلى القىء الدموى والموت، أو تجعل المريض عاجزا مصابا بالاستسقاء وتورم البطن والساقين لا حول له ولا قوة طريح الفراش والعلاج مكلف جدا حيث تصل عملية زراعة الكبد حوالى النصف مليون جنيه على الأقل، وقد يصحب ذلك فشلا كلويا يحتاج أيضا إلى مبالغ طائلة مثل ما يحدث فى الغسيل الكلوى أو زراعة كلى جديدة.

عدوى الفيروسات الكبدية والوقاية منها:

يصاب الكبد بعدد كبير من الفيروسات وتسبب التهاب الكبد الوبائى منها فيروس أ، د، ب، سى، وتختلف هذه الأمراض فى طرق العدوى والمضاعفات التى تحدثها:

العدوى بالفيروس أ، د (E and A).

والعدوى والإصابة بهذين الفروسين تحدث عن طريق الفم حيث يتناول المريض طعاما أو ماء أو كوبا ملوثا بالفيروس بسبب براز المريض وقد يكون طريق العدوى مباشرا أو غير مباشر (ينقله الذباب).

أعراض المرض: تلون البول وتغير لونه إلى لون العرقسوس واضطراب الهضم وفقدان الشهية والقىء والغثيان والتعب من أقل مجهود. ومع الراحة التامة والتشخيص السليم والعلاج يُشفى المريض بإذن الله تعالى فيما بين ٣ ـ ٦ أسابيع.

العدوى بالفيروس (بى، سى) (C and B):

وتأتى العدوى بهذين الفيروسين عن طريق الحقن الضالة والملوثة أو عن طريق نقل الدم الملوث أو مشتقات الدم كالبلازما أو أدوات الحلاقة، أو أدوات الأسنان غير المعقمة وفرش الأسنان ومقصات الأظافر والفوط الملوثة وأمشاط الشعر أو الوشم بأدوات ملوثة

وينتشر بين المدمنين ومتناولي المخدرات حيث يستخدمون المسكرات والمخدرات بأدوات ملوثة وهنا يجتمع أكثر من عامل فى تدمير الكبد والجهاز العصبى.

الوقاية من الأمراض المعدية والالتهاب الكبدى:

أولا: الحفاظ على البيئة من التلوث ومنع التبول والتبرز فى ماء الترع والأنهار حيث يساعد ذلك على انتشار مرض البلهارسيا القاتل فى ربوع البلاد.

ثانيا: السلوك الصحى بعدم البصق فى الأرض والكحة فى وجه الغير والتطعيم ضد الأمراض المعدية وعلاج المريض وعزله (فى الأمراض المعدية) واتباع التعاليم الإسلامية والبعد عن الفاحشة، وعدم تناول الخمور لأن الرسول ﷺ نهى عن كل مسكر ومفتر وعدم تناول الأطعمة الملوثة ـ واستخدام الأدوات الخاصة فى الحلاقة وفى علاج الأسنان واستخدام الفوط وغيرها واتباع أساليب التعقيم فى المؤسسات الصحية فى الجراحة والطهارة وخياطة الجروح.

ثالثا: المسارعة إلى استشارة الطبيب عند ظهور أعراض المرض فمثلا عند تغير لون البول أو العين (الصفراء) مع حدوث ألم بالبطن أو غثيان أو ميل للقىء والشعور بالإنهاك أو التعب لأقل مجهود وفقد الشهية، فيجب العرض على طبيب الجهاز الهضمى فورا ـ وعند الكحة وارتفاع الحرارة وألم بالصدر فيجب العرض على طبيب الأمراض الصدرية ـ وعند ارتفاع الحرارة لأى سبب آخر يجب العرض على طبيب الحميات.

رابعا: التطعيم ضد فيروس B الكبدى والذى وفرته الدولة وخاصة للأطفال وحديثى الولادة، وكذلك التطعيم ضد شلل الأطفال والسعال الديكى والتيتانوس والدفتريا والحصبة وأخذ الجرعات الأولية والمنشطة لمنع الأمراض، ومعالجة المخالطين للمريض بجرعات وقائية فى مثل مرض الحمى الشوكية والتطعيم ضد الأمراض الوبائية الأخرى عند دخول البلاد التى تنتشر فيها هذه الأمراض.

> **الأمراض التى تصيب الإنسان بعضها وراثى ناتج عن زواج الأقارب مثل أمراض الدم ونقص المناعة**

خامسا: الأدوية سلاح ذو حدين فلا يجب تناولها إلا للضرورة وبإذن الطبيب لأنها تؤثر تأثيرا سيئا على الكبد وأعضاء الجسم.

وأخيرا انظر ياأخى كم حباك الله من نعم عظيمة فى كل عضو من أعضائك لو بحثت عن مثله بملايين الجنيهات فلن تجده فعليك أن تحافظ على بدنك وذلك باتباع الأسلوب الصحى فى الوقاية والعلاج وأن تؤدى شكر خالق هذه النعم، واستخدم كل عضو منها فى طاعة خالقها ومكونها وراعيها وحارسها وهو الخالق العظيم الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين.

وادع الله أن يقيك شر العدوى لأنه فى الأول والنهاية لا عدوى إلا بإذن الله تعالى.

المراجع:

١ ـ أ. د. جبر متولى سيد أحمد: «الصحة العامة وطب المجتمع» ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢م الأستاذ بكلية طب الأزهر.

٢ ـ أ. د. محمد على البار: «العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ» الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

الإحسان فى الإسلام

إن المتأمل فى القرآن الكريم يجد آيات كثيرة تربط بين العمل والجزاء - ثوابا وعقابا - فى صور كثيرة، توجه الإنسان إلى الأخذ بالأسباب والحرص على سلوك الطريق التى توصل إلى السعادة والفلاح فى الدنيا والآخرة.

قال تعالى فى سورة الذاريات: ﴿إن المتقين فى جنات وعيون* آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين* كانوا قليلا من الليل ما يهجعون* وبالأسحار هم يستغفرون* وفى أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ الذاريات: الآيات ١٥ - ١٩.

د/ أحمد عبدالرحيم السايح

فهؤلاء المتقون الذين يتميزون على غيرهم بالوقوف عند حدود ربهم. ولا يشغلهم شىء عن طاعة الله، ينعمون بالجنات والعيون. ما وصلوا إلى تلك الدرجة إلا بإحسان العمل وإخلاص العبادة، والأخذ بالمنهج الذى ارتضاه الله سبحانه لعباده.

إن هؤلاء المتقين تكونت لديهم الوقاية الذاتية، والمتابعة الأمينة، والمحاسبة الدائبة، والمراجعة الدقيقة. لكل ما يصدر عنهم فى السر والعلن، فى النفس والأسرة والمجتمع، فى اليسر والعسر، والمعرفة والثقافة والعلم، والأخذ والعطاء، والبيع والشراء، والحل والترحال، والمجالس والمنتديات، وسائر مافى الوجود من مظاهر الحياة والأحياء.

إن هؤلاء آخذون ما آتاهم ربهم من فضله وإنعامه، جزاء ما أسلفوا فى الحياة الدنيا، من عبادة الله كأنهم يرونه، ويقين منهم بأنه يراهم،

والإحسان درجة رفيعة. فسرها النبى - عليه الصلاة والسلام - فى الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه. بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

والإحسان فى الإسلام فضيلة من أجل الفضائل الإنسانية، وخصلة من خصال أهل التقى، والإحسان يكون بمعنى التفضل والإنعام، فإذا فعل الإنسان الواجب عليه نحو ربه وبنى جنسه، وزاد عليه، كان ذا فضل عظيم على نفسه. حيث أنه أنصفها وأحسن إليها، بإخلاصه وقيامه بعمله.

كذلك يكون الإحسان بمعنى الإتقان، وذلك بأن يقوم الإنسان بأداء ما فرض الله عليه بإتقان مع مراقبة الله وخشيته، فى السر والعلانية حيث لا يقتصر المؤمن المحسن على المفروض والواجب. وإنما يرمى إلى ما فوق ذلك. من كمالات وآفاق، لا يرقى إليها، ولا يحلق فيها. إلا من تعامل بهذا المنهج واستقام عليه.

والإحسان كما يكون فى أداء العبادات والطاعات، يكون كذلك فى المعاملة والأمور الدنيوية، من زراعة وصناعة وتجارة. حيث يكسبها المؤمن المحسن بالإتقان حسنا ونضارة. والإحسان يكون بإنفاق المال فى وجوه البر، وصنوف الخير. مما يعود على المعطى له، وعلى أبناء الأمة بالفلاح، والآيات الكريمات: **﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين* كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون* وفى أموالهم حق للسائل والمحروم﴾**. تبين ملامح هؤلاء المحسنين. فتذكر جانبين ينظمان أمور الدين جميعا.

الأمر الأول: صلة هؤلاء المحسنين بالله. والأمر الثانى: صلة

هؤلاء المحسنين بالناس فى الدنيا.

أما صلة هؤلاء المحسنين بالله، فقد ذكرته الآية فى تهجعهم بالليل، واستغفارهم بالأسحار ﴿**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون**﴾. وإذا كان هذا شأنهم بالنسبة للنوافل.. فكيف يكون حالهم مع الفرائض والواجبات. لاشك أنهم أشد عليها حرصا، وأكثر التزاما.

لأن النافلة لا تقبل إلا بعد أداء الفريضة. جاء فى الحديث القدسى: «**وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه. ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه..**».

وهؤلاء المحسنون بعد قيامهم بالفرائض على أحسن وجه. كانوا قليلا من الليل ما يهجعون. يقول ابن كثير فى تفسيره: اختلف المفسرون فى ذلك على قولين أحدهما: أن ما نافية تقديره: كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه.

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: لم تكن تمضى عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا.

وقال قتادة: قل ليلة لا تأتى عليهم إلا يصلون فيها لله ـ عز وجل ـ إما من أولها، وإما من أوسطها.

قال مجاهد: قل مايرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون. وثانيهما: أن ما مصدرية تقديره: كانوا قليلا من الليل هجوهم ونومهم.

وقال الحسن البصرى: كانوا قليلا من الليل ما يهجعون. كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر.

وقوله تعالى فى سمات هؤلاء المحسنين فى صلتهم بالله: ﴿**وبالأسحار هم يستغفرون**﴾. يشير إلى أن هؤلاء يكثرون من الاستغفار فى وقت السحر. كما قال تعالى فى سورة آل عمران: ﴿**والمستغفرين بالأسحار**﴾. فإن كان الاستغفار فى صلاة كان أحسن. وقد ثبت فى الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير. فيقول: هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فيعطى سؤله. حتى يطلع الفجر**».

فهؤلاء الأيقاظ فى جنح الليل والناس نيام. متوجهون إلى ربهم بالاستغفار، والاسترحام، يأنسون بربهم فى جوف الليل فتتجافى جنوبهم عن المضاجع، ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام.

هؤلاء الأخيار يعيشون فى عالم رفيع من التأمل والتفكر فى خلق السموات والأرض والشعور بعظمة الخالق سبحانه الذى أحسن كل شىء خلقه. ولهذا أحسوا بطعم المناجاة فى جوف الليل، وأدركوا معنى الصلاة والذكر والاستغفار.

وأما صلة هؤلاء المحسنين بالخلق. فقد أشارت إليها الآيات فى قوله تعالى: ﴿**وفى أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾. ذلك لأن العبادة الصادقة تملأ قلب العابد رحمة وشفقة على الضعيف والمسكين.

ويبدو شأن العبادة جليا وواضحا فيما يعكس من آثارها على حنايا النفس، والقلب، والعقل، والفكر، وما أخذت العبادة امتدادها على هذا النحو إلا كان صاحبها مشعل إشعاع، ومركز خير، وموئل عز.

وقد كان هؤلاء الذين ﴿**وفى أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾ يجعلون نصيب السائل الذى يسأل فيعطى، ونصيب المحروم الذى يسكت ويستحى فيحرم. يجعلون نصيب هذا وهذا حقا مفروضا فى أموالهم، وهم متطوعون بفرض هذا الحق غير المحدود. وحسبنا أن ندرك أن المحسنين الذين أشارت إليهم الآيات ﴿**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾، جمعوا بين العبادة الصادقة وبين العطاء الاجتماعى المخلص. فكما تعلموا أن يصفوا أقدامهم فى جوف الليل للعبادة، وأن يرفعوا أكفهم فى الأسحار بالضراعة والاستغفار. تعلموا كذلك كيف يغيثون الملهوف، وينفسون كربة المكروب. ويمسحون الآلام بيد البذل والعطاء.

نافذة على المعلومات

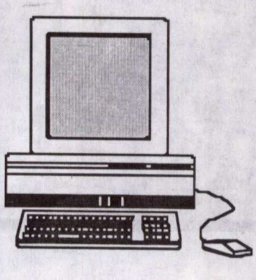

إعداد: منى القاضي

البنك الإسلامى البريطانى يبدأ خدماته على الإنترنت

من المقرر أن يبدأ البنك الإسلامى فى بريطانيا خدماته على شبكة الإنترنت خلال الأسابيع القليلة المقبلة. أما الخدمات البنكية عن طريق الهاتف والبريد العادى فسوف تبدأ فى الخريف المقبل، بعد زيادة عدد فروع البنك الذى افتتح أول فرع له فى برمنجهام وسط بريطانيا مع نهاية العام الماضى ٢٠٠٤م.

وكانت صحيفة الجارديان البريطانية قد ذكرت على موقعها الإلكترونى على الإنترنت أن البنك وهو الأول من نوعه فى أوروبا سيعمل تحت رقابة لجنة من العلماء المسلمين، لضمان سير كافة خدماته وأنشطته واستثماراته وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، مؤكدة أن البنك لن يتعامل فى أموال كانت مستثمرة فى المحرمات، ولن يقوم بتمويل مشروعات ذات شبهة تحريمية. وسوف يخدم هذا البنك حوالى مليونى مسلم، يعيشون فى المملكة المتحدة.

باحث صينى يؤكد: الصين كانت مسلمة قبل ٦٧٠ عاما

ذكر د. فينج راجابينج، الباحث الصينى فى تطور الحضارات أن الإسلام كان الدين الرسمى للصين، حيث أصدر الامبراطور «هينج دا» مؤسس أسرة «اليانج» قرارا رسميا فى ١٣٣٥ ميلادية ينص على اعتبار الإسلام «الدين الحق الطاهر» وهو الاسم الذى لايزال يعرف به فى الصين حتى اليوم.

وقال الباحث الصينى فى حديث أجرته معه مجلة الدعوة أن عدد المسلمين فى الصين الآن يبلغ مائة مليون شخص، وأن المسلمين كانوا يتمتعون بوضع متميز حتى قيام أسرة «مينج» عام ١٣٧٨م، التى قضت على الأسرة المغولية، وأوقفت عمليات الهجرة إلى الصين بسبب سياسة الاضطهاد التى واجهها المسلمون فى عهد تلك الأسرة.

وأكد على أن الإسلام وصل إلى الصين مبكرا عن طريق العلاقات التجارية بين الأراضى العربية ومناطق الشرق الأقصى، فضلا عن الحملة العسكرية التى قادها قتيبة بن مسلم الباهلى، حتى حدود كاشغر فى مناطق تركستان الصينية.

وأشار الى ان الإسلام أُستقبل بترحاب من أهل تلك البلاد ولم ينتشر بالسيف، بل كان الناس يدخلون إليه أفواجا طواعية، وخاصة بعد أن اعتنقه المغول، بعد ارتكابهم الكثير من المجازر، والجرائم فى العديد من الديار العربية، مما يؤكد أن الفتح المغولى للصين كان مهدا لحركة هجرة واسعة النطاق للمسلمين من العرب والأتراك والفرس، وكان كثير منهم يتولى مناصب رفيعة فى الدولة.

وقال الباحث: إن أحوال المسلمين استمرت فى التدهور مع قيام أسرة «المانشو» عام ١٦٤٤م وحتى عام ١٩١١م فانصهروا فى الثورة التى اندلعت فى وجه هذه الأسرة وانتهت بإعلان الجمهورية فى ١٩١٣م حيث تم الاعتراف بهم كعنصر أساسى فى بنية الأمة الصينية.

ومع قيام الحكم الشيوعى ١٩٤٩م عاد المسلمون ليواجهوا الكثير من المتاعب وأشكال الاضطهاد، رغم تأثيرهم الكبير فى الحياة السياسية والثقافية والتجارية فى الصين.

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Address: http:// WWW.islamic. Council. org
E-mail Addresses : Coun 11@ hotmail. com
Council @ Al azhr. org
Webmaster @ islamic- council. com
Postal Address: 9. El-Nabatat St. Garden City- Cairo A.R.E.
Tel. Nos.: (202) 7951438- 7951494
Fax No.: (202) 7954005

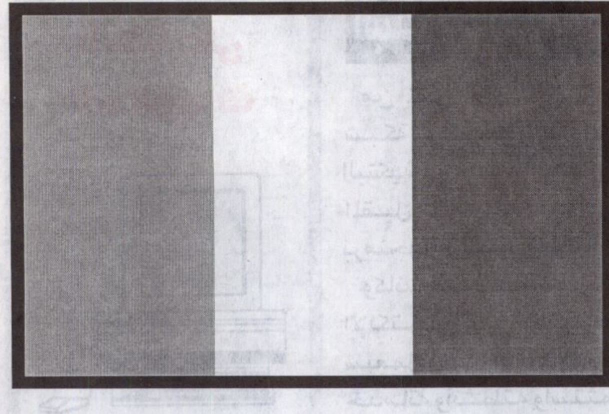

أ. د. مصطفى رجب

الأقلية الإسلامية فى كوت ديفوار

على شاطئ إفريقيا الغربى المطل على المحيط الأطلسى تقع جمهورية ساحل العاج «كوت ديفوار حاليا» بين كل من غانا شرقا، وفولتا العليا ومالى شمالا، وغينيا وليبيريا غربا، والمحيط الأطلسى جنوبا.

وفى - كوت ديفوار - إقليمان طبيعيان متميزان: السهول الساحلية التى تتميز بوجود الغابات المدارية المطيرة التى تعد مصدرا مهما للأخشاب، والهضبات الداخلية. وتبلغ مساحة (كوت ديفوار) (٣٢٢٤٦٣) كم٢، ويسكنها أكثر من أربعة عشر مليون نسمة - حسب آخر الإحصائيات - يشكل المسلمون حوالى ٦٠٪ من السكان والمسيحيون والبدائيون يشكلون المتبقى من السكان.

وعاصمة البلاد هى مدينة أبيدجان ويتمركز بها الكثير من المسلمين، وتنتشر بالبلاد عدة لغات ولهجات تقدر بستين لغة ولهجة محلية ولكن أهمها وأوسعها انتشارا لغة الماند والأجنى.

ومن القبائل الرئيسية فى البلاد: ماندى، دولا، سينوفا التى تسكن المنطقة الشمالية من جمهورية كوت ديفوار، وهى قبائل مسلمة، وأما لغة الدولة الرسمية فهى اللغة الفرنسية - لغة الاستعمار الذى خضعت لحكمه البلاد فترة طويلة.

ويقول كثير من الرواة إن الإسلام دخل فى كوت ديفوار عن طريق المجاهد الإسلامى الكبير السيد (ساموری توری) الذى عُرف بفضله وعلمه فى خدمة الإسلام والسيد (ساموری توری) هو جد (أحمد سيكوتورى) رئيس جمهورية غينيا المجاورة لساحل العاج. هذا ويتعبد المسلمون وفق الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام مالك كما هو الغالب فى غرب إفريقيا كلها. كما كان لهجرة أفراد بعض القبائل المسلمة من هاتين الدولتين إلى كوت ديفوار والإقامة فيها وتكوين فروع لها لا تلبث طويلا حتى تنشر دينها وثقافتها فى كل مكان تحل به أثر فى انتشار الإسلام.

والمعلومات عن تاريخ هذه الجمهورية القديم ضئيل جدا. وجُلّ ماهو معروف أن القسم الشمالى منها كان تحت النفوذ الإسلامى منذ القرون الأولى للهجرة فقد كانت مدينة (بتوكى) تقع على طريق القوافل من مدينة (تمبكتو) فى جمهورية مالى إلى مدينة (سموكوتو) الإسلامية فى نيجيريا.

وخلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد كان القسم

الشمالى منها تحت النفوذ الإسلامى حيث كان خاضعا لدولة مالى الإسلامية وفى القرن الثامن عشر للميلاد كانت هذه المنطقة جزءا من مملكة إبراهيم سمبيجو الغينى.

وحاليا الاتحاد الثقافى الإسلامى هو الهيئة الإسلامية العليا فى البلاد، وله دور مهم فى فتح المدارس بجميع مراحلها لتعليم اللغة العربية والدين وكذلك فى إنشاء العديد من المعاهد العلمية العليا. كما يوجد فى البلاد العديد من المساجد وأكبرها المسجد الكبير فى العاصمة أبيدجان.

الاستعمار فى جمهورية كوت ديفوار:

بدأ البرتغاليون غزو الأراضى الساحلية على خليج غينيا فى القرن الخامس عشر ولما كانت القبائل التى تقطن على ساحل خليج غينيا تعتمد على تجارة العاج فقد أطلق الأوروبيون على هذا الساحل (ساحل العاج) الاسم القديم.

فى أواسط القرن التاسع عشر أصبحت الأجزاء الجنوبية من كوت ديفوار تحت الحماية الفرنسية، وكان القسم الشمالى من كوت ديفوار جزءا من مملكة موسى التى اعتنق ملكها الإسلام فى منتصف القرن التاسع عشر وتسمى بـ(أبى بكر) ولم يدخل تحت السلطة الفرنسية إلا فى عام ١٨٩٨م عندما هزم الفرنسيون القائد المسلم المشهور فى غرب إفريقيا (إمام المامى ساموري الغينى)، ثم أصبحت كوت ديفوار مستعمرة فرنسية إلا أنها نالت استقلالها سنة ١٩٦٥م.

وضع دستور جديد لهذه الجمهورية أعلنت فيه حرية الأديان وأن الدولة بموجبه ليست لها صبغة دينية، وجمهورية كوت ديفوار عضو فى هيئة الأمم المتحدة، وليست عضوا فى منظمة الدول الإسلامية رغم أن تعداد المسلمين فيها يربو على ٥٥٪.

الموارد والنشاط الاقتصادى:

تعتمد كوت ديفوار فى اقتصادياتها على الزراعة وخاصة البن والكاكاو ونخيل الزيت والموز، وقد تزايد إنتاج هذه المحاصيل فى العقود الأخيرة بسبب توفر السوق المستوردة، وتعد كوت ديفوار الأولى عالميا فى إنتاج الكاكاو العنصر الأساسى فى صنع الشيكولاته، وكذلك فهى الثالثة عالميا فى إنتاج البن.

وقد ساعد وجود الغابات الكثيفة وقربها من الموانئ الساحلية وتوفر النقل النهرى الرخيص وكذلك امتداد عدة خطوط حديدية برية على استغلال الثروة الغابية استغلالا جيدا حتى أصبحت الأخشاب تمثل نسبة عالية من الصادرات.

أما عن الثروة المعدنية فتعتبر ذات أهمية كبيرة فى اقتصاديات كوت ديفوار وأهم المعادن الماس والمنجنيز.

تعتبر كوت ديفوار ثانى بلد إفريقى من إفريقيا الغربية بعد الكاميرون من حيث الصادرات الخارجية وإنتاج الكهرباء.

المشكلات التعليمية للمسلمين فى كوت ديفوار:

أولا: الروح الإقليمية المنتشرة التى تقسم البلاد إلى شمال وجنوب حيث يعامل أبناء الشمال - ذوى الغالبية المسلمة - كالأجانب بل إن المسلمين يطاردون بصورة تقارب ما كان يعامل به اليهود فى روسيا القيصرية.

ومما يدل على ذلك اكتشاف مقبرة جماعية رميت فيها (٥٧) جثة مشوهة غالبيتهم من أبناء الشمال، حتى اشتكى المجلس الأعلى للأئمة من هذا الإمعان فى الوحشية، وهذه الروح الإقليمية دفعت الجنوبيين إلى وضع دستور يعتبر كل مواطن من أم أو أب من غير كوت ديفوار ليس بعاجى صاف وقد استهدف المسلمون بهذا الدستور استهدافا مباشرا.

ولاشك أن هذا الجو المتوتر المصحوب بأعمال العنف واستخدام السلاح يهدد حياة المسلمين الفقراء وخصوصا إذا ما علمنا أن الأسلحة الخفيفة تنقل بسهولة قصوى فى

إفريقيا ولذا فإن الواقع التعليمى للمسلمين فى كوت ديفوار سيتأثر سلبا بهذه المعطيات.

ثانيا: استخدام الأطفال كأيد عاملة: إن الأطفال يُستغلون للعمل فى حقول الكاكاو، حيث يعمل نحو ١٠٩ آلاف طفل فى ظروف خطرة فى كوت ديفوار والتى هى مصدر ٤٠٪ من إنتاج الكاكاو العالمى، وتشمل الأخطار التى يتعرض لها الأطفال؛ التعرض للأسمدة الضارة، واحتمال الإصابة بالمناجل، وتقوم مؤسسة الكاكاو العالمية ومقرها واشنطن ورابطة صناعة الشيكولاتة بالتخطيط لعمل نظام تراخيص للعاملين فى مزارع الكاكاو إلا أن هذا النظام يواجه صعوبة بالغة حيث لا يمكن مراقبة أكثر من مليون مزرعة كاكاو فى كوت ديفوار.

ثالثا: انتشار الأمراض بشكل عام والإيدز بشكل خاص: صرح مسئول كبير فى الأمم المتحدة أن نصف المواليد فى قارة إفريقيا يحملون الفيروس المسبب للإيدز، ويقول الدكتور «بيربيوت» المدير التنفيذى لوكالة الأمم المتحدة الخاصة بالإيدز: «فى كوت ديفوار يموت مدرس كل يوم بسبب الإيدز»، وتساءل قائلا: «من سيدرس للأطفال ومن سيحل محل المدرسين».

رابعا: ظهور الفرق الإسلامية المتعددة: فقد غزت كوت ديفوار مدارس الطائفة الأحمدية القاديانية، والبهائية، والإسماعيلية، والشيعة الاثنى عشرية، وهذه المدارس بإمكاناتها وتنظيمها الجيد وخدماتها الطبية تكسب خريجيها مكانة بين المثقفين، وتعد المنتسبين إليها لحمل عقيدتها ونشرها مما يزيد دائرة الخلاف بين أتباع هذه المدارس العقائدية.

خامسا: انتشار المناهج العلمانية: أصحابها هم الذين تعلموا فى المدارس الأوروبية أو ذات الصبغة الأوروبية، وقد أفرز هذا المنهج تعليما غابت فيه الأهداف الشرعية فقل الاهتمام بالشعائر التعبدية وزاد الجهل بالدين ومما ساعد على هذا أن لغة المستعمر الفرنسى أصبحت وسيلة المثقفين للوصول إلى المعرفة، فصار المثقف المسلم إذا أراد أن يعرف شيئا عن الإسلام وتاريخه وحضارته يمر عبر جسور اللغة الفرنسية التى تضع الدسائس عن الإسلام وأهله.

سادسا: قلة المعلمين فى بلاد القارة الإفريقية الغربية، ذكر أنه فى بعض المدارس الإسلامية يوجد معلمون نصارى لأطفال المسلمين.

قائمة المراجع:

١ ـ إفريقيا فى نهاية القرن، حلمى الشعراوى، القاهرة، دار الأمى، ط١، ٢٠٠١م.

٢ ـ حركة المد الإسلامى فى غرب إفريقيا، عبدالفتاح الغنيمى، القاهرة ـ مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥م.

٣ ـ المسلمون فى العالم د. عادل طه يونس، الكويت ـ دار البحوث العلمية، ١٩٨٠م.

٤ ـ وثائق إفريقية د. عبدالسلام شلون، ليبيا ـ الدار الجماهيرية، ٢٠٠١م.

٥ ـ الموقع الأليكترونى للمركز الدولى للبحث العلمى ١٩٩٩م.

٦ ـ موقع الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، العدد الثانى ٢٠٠٤/٨/٤م.

٧ ـ الموقع الأليكترونى: مؤتمر نت ٢٠٠٤/١٠/٣م.

٨ ـ نقلا عن موقع، رويترز موقع الصنارة مقال بعنوان: عمالة الأطفال مازالت مبعث قلق فى صناعة الشيكولاته ٢٠٠٤/٧/١٢م.

٩ ـ الموقع الأليكترونى لمجلة النبأ عدد ٤٧، تموز ٢٠٠٠م.

١٠ ـ الموقع الأليكترونى مرصد ـ بحوث ودراسات / بحث بعنوان: التعليم الإسلامى فى إفريقيا د. خالد عبداللطيف.

الدعوة والدعاة

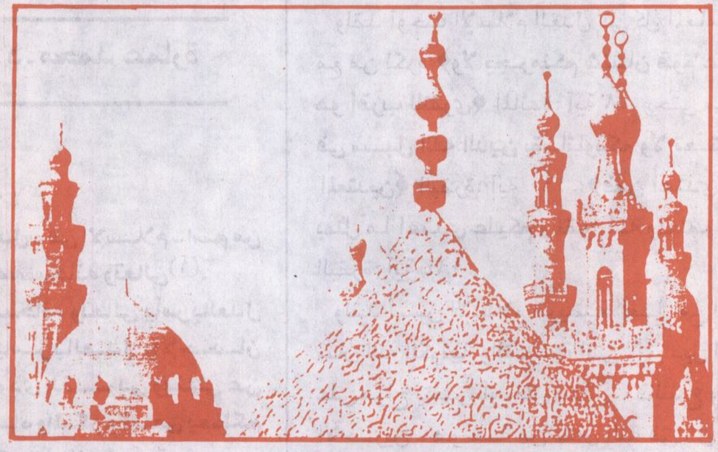

- هذا هو الإسلام .. العدل والتسامح الإسلامى
- الرقابة المالية فى الدولة الإسلامية(١)
- لا تعصب فى الإسلام
- الإرهاب بين الدين والواقع

هذا هو الإسلام ٢

العدل والتسامح الإسلامى

أ.د. محمد عمارة

● والعدل - فى الإسلام - اسم من أسماء الله، سبحانه وتعالى(١).

والله، سبحانه وتعالى يأمر بالعدل ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ النحل: آية ٩٠.

ولأن العدل نقيض الظلم، فلقد حرم الله الظلم على نفسه، وعلى عباده ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ النساء: آية ٤٠. ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا﴾ يونس: آية ٤٤. ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ الكهف: آية ٤٩..

ولذلك، كان العدل هو الروح السارية فى الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية.. فلقد حرم الإسلام حتى ظلم الإنسان لنفسه، ومن باب أولى ظلمه لغيره ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ النساء: آية ٩٧.

ولقد أوجب الإسلام العدل فى كل المعاملات والعلاقات حتى مع من نكره ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ المائدة: آية ٨.. وحتى مع من يقاتلنا ﴿وقاتلوا فى سبل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ البقرة: آية ١٩٠. ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ البقرة: آية ١٩٤.

ولقد أسس الإسلام فريضة العدل مع الآخرين على سنة من سنن الله الكونية والتكوينية التى لا تبديل لها ولا تحويل.. وليس على مزاج يتغير، أو خلق يتبدل.. فالتنوع والاختلاف - أى وجود الآخرين - هو سنة من سنن الله فى كل عوالم المخلوقات.. والواحدية والأحدية هى، فقط للذات الإلهية ومن عداه وما عداه.. فى عوالم الإنسان.. والأفكار.. والشرائع والملل.. والمناهج والثقافات والحضارات.. والألسنة واللغات والقوميات.. والأجناس والألوان.. والشعوب والقبائل - بل وفى النبات والحيوان والجماد -.. هذا التنوع والتمايز والاختلاف فى جميع هذه العوالم سنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل.. والتعارف - المؤسس على التعايش والتعاون والتحاور - هو المقصود الأسمى لهؤلاء الفرقاء المختلفين ﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ الحجرات: آية ١٣. ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾ الروم: آية ٢٢. ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ المائدة: آية ٤٨، ﴿ولو شاء ربك لجعل

الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين* إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ هود: الآيتان ١١٨، ١١٩، أى وللتنوع والاختلاف والتمايز خلقهم.. وفى هذا التنوع والاختلاف الحافز على التسابق فى طريق الخيرات بين المختلفين ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت الله بكم جميعا إن الله على كل شىء قدير﴾ البقرة: آية ١٤٨.

وإذا كان الإسلام قد اعترف بكل النبوات والرسالات والكتب والشرائع التى توالت على طريق علاقة السماء بالإنسان، عبر التاريخ الطويل للنبوات والرسالات ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ البقرة: آية ٢٥٨، وتجاوز - بذلك - مجرد الاعتراف بالآخر إلى حيث جعل هذا «الآخر» جزءا من «الذات»، عندما قرر أن تنوع الشرائع السماوية إنما هو تمايز فى إطار وحدة دين الله.. فلكل أمة شرعة، أما الدين فواحد.. والأنبياء - ومن ثم أممهم - إخوة، أمهاتهم - أى شرائعهم - شتى، وأبوهم - أى دينهم - واحد.. وفى هذا المعنى وهذه الفلسفة جاء حديث رسول الله ﷺ: «الأنبياء أولاد علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والإمام أحمد.

ولهذه الحقيقة - حقيقة نظرة الإسلام هذه إلى «الآخر» وعلاقته به.. كان العدل الإسلامى الذى حرص دائما على أن يميز بين الفرقاء والفصائل والمذاهب والتيارات والطوائف فى هذا «الآخر» فلا يعمم ولا يضع الجميع فى «سلة» واحدة، كى لا يظلم بهذا التعميم.. ولذلك لا نجد الإسلام - مثلا - يضع أهل الكتاب جميعهم فى «سلة» واحدة، فيعمم الحديث عنهم، وإنما نجده يتحدث عن «كثير» من أهل الكتاب.. و«طائفة» من أهل الكتاب.. و«فريقا» من أهل الكتاب.. فهم «ليسوا سواء».. وإنما ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ ومنهم الذين ﴿ساء ما يعملون﴾.. يسلك القرآن الكريم سبيل العدل هذا، فيميز بين الفرقاء المتمايزين وفق تمايزهم، وعلاقاتهم بالكلمة السواء.. فنقرأ فيه: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين* وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين* إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ آل عمران: الآيات ١١٣ - ١١٦. ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ آل عمران: آية ٦٩، ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ آل عمران: آية ٧٢، ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير﴾ البقرة: آية ١٠٩. ﴿ومن أهل الكتاب

أسس الإسلام فريضة العدل مع الآخرين على سنن الله الكونية التى لا تبديل لها ولا تحويل

من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك* ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ آل عمران: آية ٧٥. ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ آل عمران: آية ١١٠.

فمن أهل الكتاب: (أمة مقتصدة) ومنهم من هم ﴿أشد الناس عداوة للذين آمنوا﴾ ومنهم من هم أقرب مودة للذين آمنوا ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ المائدة: آية ٨٣.

وإذا كانوا (ليسوا سواء).. فإن جزاءهم عند الله ليس واحدا.. فالذين كفروا منهم ﴿لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ آل عمران: آية ١١٦. أما ﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ المائدة: آية ٦٩.

● والمسلمون يدعون كل فرقاء «الآخر» إلى كلمة سواء ﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ آل عمران: آية ٦٤.. والجدال معهم يجب أن يكون، ليس فقط بالأسلوب الحسن، وإنما بالأحسن ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ العنكبوت: آية ٤٦.. فالكلمة السواء هى أصول الإيمان الثلاثة: التوحيد لله.. والإيمان بالغيب.. والعمل الصالح.. مع التنوع فى الشرائع داخل أصول هذه الكلمة السواء.

ولهذا العدل الإسلامى، لم يعمم القرآن الكريم الحكم بالتحريف على كل ما لدى أهل الكتاب، وإنما نبه على أن فيما لديهم هدى ونور.. فـ﴿الإنجيل فيه هدى ونور﴾ المائدة: آية ٤٦.. ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ المائدة: آية ٤٧.. ﴿إن أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ المائدة: آية ٤٤.. ﴿وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾ المائدة: آية ٤٣.

هكذا بلغ الإسلام الذروة فى العدل مع كل ألوان أطياف «الآخرين» و«المخالفين».

● ولأن الإيمان ـ فى الإسلام وبالإسلام ـ هو تصديق قلبى يبلغ مرتبة اليقين، استحال الوصول إلى هذا الإيمان بأى لون من ألوان الإكراه، فكانت القاعدة القرآنية المحكمة ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾ البقرة: آية ٢٥٦.. لذلك كان سبيل الإسلام إلى القلوب هو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ النحل: آية ١٢٥.. فمن استجاب قلبه كان مؤمنا بالإسلام. ومن أعرض قلبه، فـ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ الكافرون: آية ٦.. ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ الكهف: آية ٢٩. وحسابه فى الآخرة إلى الله وعلى الله.. أما فى الدنيا، فإن «له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين».

ولهذه الحقيقة كان انتشار الإسلام سلميا.. بل ودون مؤسسة تبشيرية ترعى وتعمل على هذا الانتشار.. وإذا كانت أغلب بقاع عالم الإسلام وأكثر شعوب الأمة الإسلامية عددا لم تجر فيها فتوحات ولا حروب إسلامية.. فإن كل حروب الإسلام إنما كانت دفاعا عن حرية الاعتقاد، وحرية الضمير، وحرية الاختيار، وحرية الوطن الذى يعيش فيه المسلمون.. فكل غزوات عهد النبوة إنما كانت ضد الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم وفتنوهم فى دينهم ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ الحج: الآيتان ٣٩، ٤٠.. ﴿عسى الله أن

يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم* لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين* إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ الممتحنة: الآيات ٧ ـ ٩.

● فلم يعرف الإسلام «حروبا دينية» لقهر المخالفين على الإيمان به.. وكل ضحايا غزوات عهد النبوة من الجانبين ـ شهداء المسلمين وقتلى المشركين ـ هم، على سبيل الحصر ٣٨٦ قتيلا!! ـ ١٨٣ هم جملة شهداء المسلمين.. و٢٠٣ هم جملة قتلى المشركين(٢).. بينما ضحايا «الحروب الدينية» داخل النصرانية ـ بين الكاثوليك والبروتستانت ـ قد بلغت عشرة ملايين ـ وفق إحصاء «فولتير» (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨م) ـ أى ٤٠٪ من شعوب وسط أوروبا أبيدوا فى هذه الحروب الدينية التى امتدت نحو قرنين من الزمان!..

أما كل معارك الفتوحات الإسلامية فى القرن الهجرى الأول، فإنها كانت ضد جيوش القوى الاستعمارية التى قهرت الشرق، سياسيا وحضاريا ودينيا وثقافيا لأكثر من عشرة قرون.. ضد جيوش القيصرية الرومانية والكسروية الفارسية.. ولم تدر معركة واحدة بين جيوش الإسلام وبين أهل البلاد المفتوحة.. بل لقد وقف أهل تلك البلاد ـ وهم على دياناتهم القديمة ـ مع جيوش الفتح الإسلامى، وشاركوا فى هذه الفتوحات.. ورأوا فيها تحريرا لأوطانهم من القهر الاستعمارى الرومانى.. وتحريرا لضمائرهم وعقائدهم من القهر الدينى والحضارى.. بل ورأوها إنقاذا إلهيا لهم ـ على يد المسلمين ـ وعقابا إلهيا للمستبدين الرومان.

وبهذه الحقيقة شهد الأسقف «يوحنا النقيوس» وهو شاهد عيان على الفتح الإسلامى لمصر ـ فقال: «**إن الله الذى يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى يد الإسماعيليين (العرب المسلمين) ـ ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر وكان «هرقل» (٦١٠ ـ ٦٤١م) حزينا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا فى مدينة مصر، وبأمر الله الذى يأخذ أرواح حكامهم مرض «هرقل» ومات.. وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم فى عمله، ويأخذ الضرائب التى حددها، ولم يأخذ شيئا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئا ما، سلبا أو نهبا، وحافظ على الكنائس طوال الأيام..**»(٣).

وشهد بذلك أيضا الأسقف «ميخائيل السريانى» فقال: «**لم يسمح الامبراطور الرومانى لكنيستنا بالظهور، ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التى نهبت، ولهذا فقد انتقم الرب منه، لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدى الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا فى سلام**»(٤).

● فالفتوحات الإسلامية كانت تحريرا لأوطان الشرق من الاستعمار والاستعباد والاستغلال الرومانى.. وكانت «إنقاذا» لنصارى الشرق ونصرانيتهم من القهر الرومانى، حررت الأرض. وحررت ضمائر الشعوب، ثم تركتهم وما يدينون فى «سلام».. فكانت نصرانية الشرق ـ بهذه الفتوحات ـ «هبة الإسلام»!

الهوامش:

١ ـ الغزالى ـ أبو حامد ـ(المقصد الأمنى فى شرح أسماء الله الحسنى) ص ٦٠ ـ ٦٣ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ.

٢ ـ ابن عبدالبر: (الدرر فى اختصار المغازى والسير) تحقيق د. شوقى ضيف، طبعة القاهرة سنة ١٦٦٩م.

٣ ـ يوحنا النقيوسى: (تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى) ص٢٠١، ٢٢٠، ترجمة ودراسة د. عمر صابر عبدالجليل طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

٤ ـ د. صبرى أبو الخير سليم: (تاريخ مصر فى العصر البيزنطى) ص٦٢ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

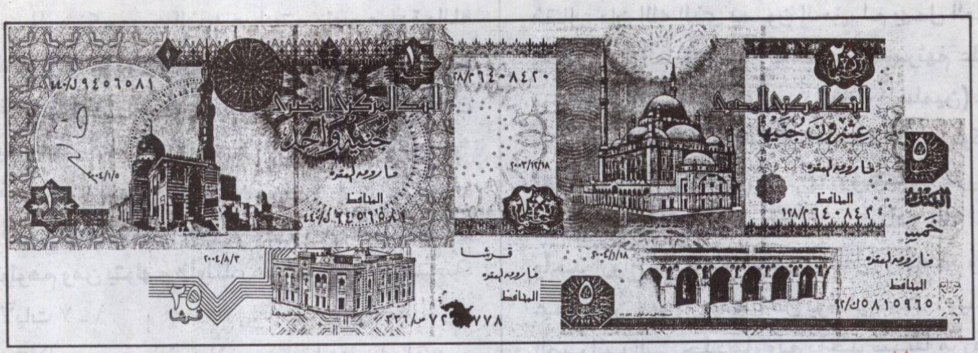

الرقابة المالية فى الدولة الإسلامية (١)

د. عبد الرحمن محمد بدوى

السمات المميزة للرقابة المالية فى دولة الإسلام قامت على أسس ومبادئ عامة تفوقت على الرقابة المطبقة فى عدد من الدول الحديثة

لقد كانت نظرة الإسلام إلى المال نظرة تقدير وتكريم - حيث أنه عصب الحياة - ولأن المال مال الله، والناس مستخلفون فيه مصداقا لقوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾، وقوله تعالى: ﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ فهاتان الآيتان تؤكدان أن المال لله سبحانه وتعالى، وقد جعل عباده مستخلفين فيه ووكلاء عن صاحب المال (وهو الله تعالى) وعليهم أن ينفذوا عقد الوكالة وفقا لشروطها، ومن قصر فى تنفيذ هذه الشروط، فهو مسئول ومحاسب، والتقصير فى التنفيذ يعود على صاحبه ومجتمعه الذى لم يحاسبه على سوء تصرفه فيما أؤتمن عليه، ولذلك كان التقصير شاملا للأمة بأسرها، لأنها فرطت فى مراقبة أفرادها لإساءتهم التصرف، فنالهم الضرر بسبب هذا التفريط.

أما نسبة ملكية المال للإنسان فجاءت فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، ونسبة توكيل واعتماد ظاهرها التمليك، وحقيقتها التفويض الذى تستتبعه المحاسبة، والإنسان مقيد فى هذا المال بحدود شرع الله تعالى، لأن ملكية الله للمال هى الملكية الأصلية، وملكية البشر هى الملكية الواقعية، ولا تناقض بين النسبتين.

وقد لوحظ أن الإسلام حين يمارس دوره فى المجتمع، فإنه بوازع الضمير الدينى للفرد يكون بمثابة الحارس اليقظ،

والرقيب الأمين، على أى ثغرة يمكن أن تغيب على المشرع المعاصر باعتبار أن الرقابة المالية تشمل العناصر المالية الثلاثة: الموارد، والنفقات، والميزانية.

وفى هذا المعنى المتعلق بالرقابة رد على ما أثير، أو قد يثار من تساؤل حول مدى أهمية العبادة كركيزة من ركائز الإسلام فى بناء المجتمع، فكل عبادة من العبادات تعتبر بمثابة صلة مباشرة بين العبد وربه، وهى التى توقظ فى نفسه دائما معنى مراقبة الله تعالى فى أقواله وأفعاله - خشية عذابه - لأن الله مطلع على دخيلة نفسه، يثيبه على إحسانه، ويجازيه على إساءته - مصداقا لقوله تعالى: **﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾** فإذا ما اكتسب الفرد أثر العبادة فى أخلاقه، وأصبح يصدر عنه الأفعال والأقوال عن وجدان مؤمن، فإنه سيرتكب الخطأ لذاته، لا لخفائه، وبالتالى سينعكس هذا المعنى على سائر حياته، وصور نشاطه، فنجده يعمل ويخلص فى عمله، وينتج، ويحسن فى إنتاجه، لأن الله يحب إذا عمل المرء عملا أن يتقنه، ويبرز هذا فى المجتمع المتكامل، حيث إن الأفراد يذعنون لسلطان القانون البشرى، ويلتزمون به لذاته لا خوفا من الوقوع بمخالفته تحت طائلته، لأننا قد نجد فردا فى مجتمع بعينه يخشى أن يسرق، أو يرتشى خوفا من سلطان القانون، فإذا ما اطمأن إلى أنه سيكون بمنأى عن تناوله بما يتخذه لنفسه من حيطة، فإنه قد يقدم على ارتكاب المخالفة، ولكن فى المجتمع المتسم بطابع الإيمان، والأخلاق تكون تصرفات الفرد رهينة بالوازع الدينى، فلا يدنس المؤمن نفسه بمعصية، لأن عين الله ساهرة، يقول الله تعالى: **﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور﴾**، ومن هذا المنطلق يكون حديثنا عن «الرقابة المالية فى الدولة الإسلامية - من عهد الرسول ﷺ إلى نهاية الدولة العباسية» لأن هذه الفترة من أهم الفترات فى التاريخ الإسلامى حيث كان يطبق فيها شرع الله تعالى، مقارنة بالنظم المعاصرة.

نشأة الرقابة المالية

ترجع نشأة الرقابة المالية إلى نشأة الدولة، وملكيتها للمال العام، وإدارته نيابة عن الشعب، فقد كان لدى الفراعنة فى مصر رقابة تهتم بضبط المحاصيل باعتبارها أهم الأشياء التى يمكن اقتضاء الضرائب منها، وكان لدى أثينا منذ أكثر من ثلاثمائة سنة قبل الميلاد مؤسسة مختصة بالرقابة على أموال الدولة.

وقد اتسع نشاط الإدارة وازداد حجم المال العام مع تطور وظيفة الدولة من المحافظة على الأمن الداخلى والخارجى، وإقامة العدل إلى التدخل فى مختلف نواحى النشاط الاقتصادى، ولما كانت الرقابة وثيقة الصلة بالإدارة، وبما تقوم به الدولة من رقابة مالية تدور مع المال العام وجودا وعدما. فإن ازدياد حجم المال العام واتساع نشاط الدولة يتطلب المزيد من الرقابة المالية الفعالة التى تكفل المحافظة على هذا المال العام، والتى تهدف إلى مراقبة القائمين عليه بحيث يلتزمون فى مزاولة أعمالهم بالقوانين واللوائح والقواعد المالية المعمول بها، وإلا تعرضوا للمحاسبة والمساءلة.

وتعتبر الرقابة المالية ركنا من أركان التنظيم والتخطيط فى الدولة الحديثة، ولا يقف دورها على مجرد المراجعة المستندية والاقتصادية للمستندات والحسابات، بل يمتد ليشمل تقويم الأداء والتحليل المالى، واتخاذ ما قد يلزم من إجراءات تصحيحية، ولكن هذه الرقابة ليست وليدة لنظم الدولة الحديثة، بل هى ظاهرة تلازم تجمع الأفراد، فإذا اجتمعوا فلابد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للأمور بتلك المقاصد، والنهى عن تلك المفاسد.

بداية الرقابة فى المالية الإسلامية

موضوع الرقابة المالية فى الإسلام من الموضوعات الجديدة التى لم يعرض لها إلا قلة من الكتاب والباحثين، وهى من أهم الموضوعات التى

تتصل بالكيان التنظيمى للدولة، فهى ضرورة لازمة لحماية المال العام، كما أن تنظيمها من أعقد مشكلات التنظيم، لما لها من أثر فعال على سلوك الأفراد والجماعات، وما يعكسه ذلك من آثار على الاقتصاد بوجه عام.

ويظهر أن الرقابة المالية الإسلامية والتى أرست قواعدها الشريعة الإسلامية تطورت مع الدولة المزدهرة، فأصبح لها أجهزة ودواوين تباشر رقابة فعالة ومستمرة على مالية الدولة، وتحميها من العبث والضياع، بجانب الرقابة الذاتية التى غرستها العقيدة الصادقة فى نفوس المسلمين، وذلك فى ظل اقتصاد إسلامى متميز عن النظم الاقتصادية المعاصرة الرأسمالية منها، والاشتراكية، ورغم الفارق الكبير بين النظم الإدارية والمالية فى الدولة الإسلامية، وما صارت إليه هذه النظم الآن فى الدولة الحديثة، فإن الدراسة المقارنة لنظم الرقابة المالية تبين لنا أن نظم الرقابة المالية التى باشرها ديوان المكاتبات والمراجعات وديوان الأزمة وولاية المظالم والمحتسب، بالإضافة إلى نظم الضبط الداخلى المتبعة فى دواوين الأموال التى أحكمت الرقابة على موارد بيت المال ومصارفه، وأن هيكل هذه الرقابة وتنظيمها الفنى وما اتبعته من أساليب ووسائل لم يكن قيدا على حرية الآمرين بالصرف، فضلا عن عدم وجود تكرار أو تعدد فيما بينها، ولم تتحمل الدولة تكاليف باهظة تكون عبئا على ميزانيتها، وتستنفد الوفورات التى يرجى تحقيقها من القيام بالعمل الرقابى.

فقد كانت للرقابة المالية فى الإسلام سمات مميزة تنطوى على قواعد وأسس ومبادئ عامة تصلح للتطبيق العملى فى الدول الإسلامية الآن، وتفوق فى سائر جوانبها الرقابة المطبقة فى عدد من الدول الحديثة.

وتتعرض الدراسة للثقافة الإسلامية والفقهية وما تشمله من تشريع مالى ونظم للرقابة المالية فى مجال الموارد والنفقات وميزانية الدولة، فقد حان الوقت للاقتصاديين الماليين كى يبينوا ما تحتويه من قواعد وأسس تكفل الاستقرار المالى والاقتصادى للدولة، وتنحو بها نحو مجتمع الرفاهية فى ظل رقابة مالية أحكمت حلقاتها للمحافظة على المال العام فى إطار ترفرف عليه أسس قيمنا الخالدة.

مفهوم الرقابة المالية فى الدولة الإسلامية:

لقد وضع الإسلام الحنيف أسس الرقابة المالية العامة والمحاسبة للمسلم، سواء أكان فردا أم جماعة، أم دولة، فى قوله تعالى: **﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون* هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾** الجاثية: الآيتان ٢٨، ٢٩، وقوله تعالى: **﴿ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾** الكهف: آية ٤٩، وقوله: **﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾** المؤمنون: آية ٦٢.

فالإسلام لم يهتم بالنواحى التعبدية فحسب، بل نظم أيضا جميع نواحى الحياة، ولذلك وضع قواعد المعاملات بين الأفراد والجماعات، ولن ترى تشريعا مزج بين مصالح الدين والدنيا كما فعل الإسلام، فهو لا يتطلب الرهبانية التى تعطل قوى الإنسان، كما أنه أنكر تعلق الإنسان بالحياة، وتكالبه على الدنيا، بحيث يكون كل همه جمع الأموال واكتنازها سالكا فى ذلك جميع السبل، غير مكترث بجانب الفضيلة الروحية.

ومن تلاوة الآيات السابقة، يتبين لنا أن هناك رقابة مستمرة من جانب الله تعالى على عباده، فينزل ملائكته يكتبون ما يفعله الإنسان من خير ومن شر، ليحاسبهم عليه يوم القيامة مصداقا لقوله تعالى: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾** الزلزلة: الآيتان ٧، ٨.

ولقد نظم التشريع الإسلامى أمور الحياة فى ثلاثة هى: العقيدة، والشريعة، والأخلاق.

وتفصيل ذلك: أن العقيدة هى الجانب الأخلاقى الذى يدعو إليه الإسلام ويطلب الإيمان به إيمانا لا يرقى إليه الشك، لأن العقيدة هى الصلة التى تبنى

عليه الشريعة، ومن ثم فلا وجود للشريعة فى الإسلام إلا بوحدة العقيدة، والشريعة ماهى إلا تلبية لانفعال القلب بالعقيدة، والعقيدة والشريعة من غير خلق، شجرة لا ثمر لها، والأخلاق دون عقيدة وشريعة ظل لشبح غير مستقر.

أهمية الرقابة المالية:

إن مراقبة المسلم خالقه تعالى فى الإسلام هى أدق طرق الرقابة عامة، وأكثرها إحكاما على مالية الدولة بوجه خاص، ومن ثم كانت مراقبة إيرادات ومصروفات الدولة الإسلامية، فى هذا المجتمع الفاضل خاصة فى مراحل تطوره الأولى حيث البساطة فى الحياة، وعدم تعقدها، فلا ضرورة لوجود أجهزة ودواوين متخصصة لهذا الغرض، لأنهم يدركون أبعاد ما أنزله الله تعالى فى كتابه العزيز من أحكام ومبادئ عامة، وتوجيهات رسول الله ﷺ فى هذا الشأن.

ومن أهم هذه القواعد والمبادئ العامة - فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يلى:

أولا: ما جاء بالقرآن الكريم:

فمن التعليمات التى وردت فى كتاب الله تعالى، والتى وضعت أسس الرقابة والتى تقضى بأن يراقب الفرد نفسه وأخاه المسلم، ويراجع الحاكم وولى الأمر إذا جانب الصواب، ويشمل ذلك ضمنا وبداهة مالية الدولة الإسلامية، قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ آل عمران: آية ١١٠، وقوله تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾، كما أمر الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام فى كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم ﷺ فقال تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ آل عمران: آية ١٠٤، وقوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**﴾ البقرة: آية ١٤٣، فهذه الآيات تضع القانون العام، والحكم الشامل فى الرقابة على مالية الدولة الإسلامية.

ثانيا: ما ورد بالسنة النبوية:

فمن أحاديث وتوجيهات الرسول ﷺ فى هذا الشأن ما رواه الترمذى عن النبى ﷺ أنه قال: «**والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه، فلا يستجاب لكم**».

وقد روى مسلم فى صحيحه بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

ويستفاد مما تقدم أن عقيدة المسلم الفرد تجعله يراقب نفسه مراقبة تمنعه من أن يأخذ أموال الدولة بغير حق، وتجعله يؤدى حق الدولة كاملا، دون حاجة إلى رقيب خارجي، غير رقيب نفسه المنبثق عن عقيدته الصادقة، أى دون حاجة إلى أجهزة رقابية متخصصة، ولكن مما يبعث على الأسى أن الرقابة الذاتية قلت فى العصر الحديث.

وبالإضافة إلى رقابة المسلم لنفسه، فإنه مطلوب منه مراقبة الجماعة، فالمسلم مأمور بأن ينهى عن المنكر فى أى موضع كان، فيأمر كل من لم يؤد حق الدولة فى ماله أن يخرج هذا الحق، وينهى أيضا كل من أساء التصرف فى أموال الدولة عن ذلك، فالدين النصيحة لله ولرسوله، ولعامة المسلمين وخاصتهم، وهذا المبدأ هو الذى انبثق عنه فيما بعد نظام المحتسب، وهو المبدأ الذى راقب بحزم ولاة الأمور فى إنفاقهم لأموال الدولة، وتحصيلهم لإيرادات المال، كما أشرف على المرافق العامة.

هذه هى القواعد والتعليمات العامة التى وردت فى الكتاب والسنة، وقد وضع الرسول ﷺ القواعد التى تقوم عليها عملية الرقابة، فعدد إيرادات الدولة، ووضع مقادير الزكاة والجزية وكيفية تحصيلهما، كما بين طرق الانفاق العام وأحكامه، وقد كان يبعث إلى الأقاليم بأمرائه وعماله على الصدقات، ويوضح لهم هذه القواعد والأحكام.

لا تعصب فى الإسلام

إبراهيم حسن زعبل

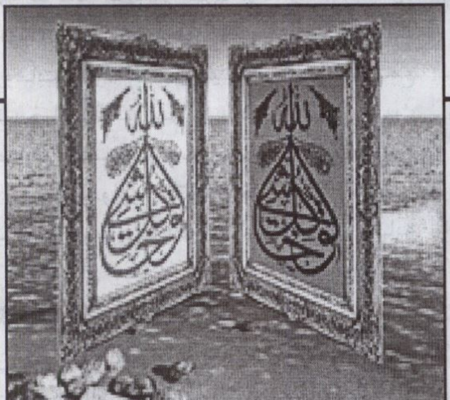

الإسلام دين سماوى دعا الله تعالى إليه البشر جميعا وهو مشتمل على ما سبقه من ديانات سماوية ومؤمن بها ومقر برسلها وكتابه القرآن الكريم محتو على أصول ما جاء فى الكتب السماوية السابقة ومشتمل عليها ومعرف لها تعريفا واضحا ومفصلا - فى تفصيل دقيق - دور وجهود الرسل السابقين ومواقف أقوامهم من الدعوة التى حملوها إليهم وما وصلوا إليه من مآل، فالقرآن الكريم مصدق للكتب السماوية السابقة ومهيمن عليها.. وليس هناك تناقض من بعيد أو قريب بين الكتب السماوية بعضها مع بعض أو بين رسل الله الذين أرسلهم لهداية عباده أو بين الشرائع التى شرعها الله وأرسلها على رسله - صلوات الله وسلامه عليهم - إلى أممهم.

قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ الشورى: آية ١٣.

فمن واجب المؤمنين من كل الأديان السماوية أن يلتقوا على عقيدة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن يتعاونوا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان، وأن يتزودوا بزاد التقوى والإخلاص لله تعالى والحب لعباده بل لسائر مخلوقاته.

ومن هنا كان قول الله - عز وجل - فى القرآن الكريم لنبيه محمد ﷺ: **﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾** الأنعام: آية ٣٥.

أى إن كان عظُم عليك إعراضهم وتوليهم عن الإيمان فإن قدرت أن تطلب سربا فى الأرض تخلص منه إلى مكان آخر. أو تطلب سلما سببا إلى السماء فتأتيهم بآية ليؤمنوا فافعل، وإذا

كان هذا ليس بوسعك فلا يشتد حزنك عليهم لعدم إيمانهم فأنت لا تستطيع هدايتهم. ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وطبعهم على الإيمان وألزمهم كلمة التقوى ولكن الله تعالى أراد أن يعطيهم حق الاختيار فيثيب من آمن ويعاقب من كفر.

فلا تحزن على كفرهم ولا تضق قلوب المؤمنين من كفرهم وإذايتهم فتقاربوا حال الجاهلين. كما أمر الله تعالى نبيه أن يعرض عن المشركين إذا استهزأوا بكتاب الله ولا يجلس معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾ الأنعام: آية ٦٨.

كما أمره الله - عز وجل - أيضا أن يبر ويحسن إلى الذين لم يقاتلوه أو يقاتلوا أحدا من المسلمين فى الدين ولم يخرجوه أو يخرجوا أحدا من المسلمين من ديارهم فهؤلاء المسالمين حقهم على المسلمين البر والإحسان والعدل والإنصاف والمعاملة الكريمة.

قال تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** الممتحنة: آية ٨.

فالإسلام دين سلام وعقيدة توحيد وشريعة اتحاد وحب ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظل التآلف والتعاون والخير والتواد. وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين.

وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله. لأنه يكره الخصومة ويرفض الاستجابة لها والهبوط إلى مستواها، وإذا ووجه بخصومة من غيره فإنه يرتفع بقيمه ومبادئه فوق ما يوجه إليه من خصومة ويستبقى أسباب الود فى النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة وتحرى العدل فلا ظلم ولا بخس للمخاصمين بل التزام بالحق وحرص على أدائه لأصحابه ولو كانوا كافرين.

كان ﷺ يواسى أهل الكتاب فى مصائبهم ويتعامل معهم تحقيقا للنفع والخير والصالح العام

فحالة السلم بين المسلمين وبين الناس جميعا هى الحالة الثابتة لا يغيرها إلا وقوع الاعتداء من الآخرين وضرورة رده. وفيما عدا هذا فهى السلم والمودة والبر والعدل للناس جميعا لأن المسلم يعيش فى هذه الأرض لربه الذى يأمره بالحق والعدل وإسداء المعروف وفعل الخير ونشر السلام. فلا ظلم ولا خصومة على مصلحة ولا قتال فى عصبية أىّ عصبية من جنس أو عشيرة أو نسب أو أرض ماداموا مسالمين.

وكان - عليه الصلاة والسلام - يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم، ويواسيهم فى مصائبهم، يعاملهم بكل أنواع المعاملات التى يتبادلها الناس تحقيقا للنفع والخير والصالح العام كما كان - عليه الصلاة والسلام - يقترض منهم أحيانا نقودا ويرهنهم متاعا. ولم يكن ذلك عجزا من أصحابه على إقراضه. فإن بعضهم كان ثريا وكلهم يتلهف عن أن يقرض رسول الله ﷺ لكنه يفعل ذلك تعليما لأمته وتثبيتا عمليا لما يدعو إليه من سلام ووئام ودليل على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير المسلمين.

وكان دأب الخلفاء الراشدين نهج رسول الله ﷺ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما كان بالشام وقد حان وقت الصلاة وهو فى كنيسة القيامة أراد أن يصلى فطلب منه البطريرك أن يصلى بها فاعتذر خشية أن يصلى بالكنيسة فيدعى المسلمون فيما بعد أنها مسجد لهم فيأخذوها من النصارى وصلى خارج الكنيسة.

وبينما يسير عمر رضي الله عنه بالشام لقيه قوم من نصارى أذرعات يلعبون بالسيوف أمامه كما تعودوا أن يفعلوا فى الاحتفال بالعظماء فقال: ردوهم وامنعوهم لأنه كان يكره الأبهة ومظاهر الملك فقال أبو عبيدة ابن الجراح ياأمير المؤمنين هذه عادتهم وإنك إن منعتهم رأوا أن فى نفسك نقضا لعهدهم. فقال عمر: **«دعوهم عمر وآل عمر فى طاعة أبى عبيدة»**.

وخشى أن يظن النصارى أن عمر مُبغض لهم، وقد اشتهر عنه أن كان ينصف من يشكو إليه من النصارى واليهود. فقد علم أن الوليد بن عقبة الوالى من قبله على بنى تغلب النصارى قد توعدهم فخشى أمير المؤمنين عمر أن يوقع بهم شرا فعزله وولى غيره. وحينما علم بجماعة من النصارى مصابين بالجذام أمر أن يعطوا من الصدقات وأن يرتب لهم معاش دائم يفى باحتياجاتهم وهذه بعض نماذج مما كان يفعله الخلفاء الراشدون والصحابة مع أهل الكتاب اقتداء برسول الله ﷺ فى الإحسان إليهم والإنصاف معهم.

وإذا رجعنا إلى أول وثيقة مكتوبة فى تاريخ الإسلام وهى الوثيقة التى حررها النبى ﷺ وهو يرسى أسس المجتمع الإسلامى فى المدينة المنورة والتى عرفت باسم «الصحيفة» نجدها قد تضمنت نصا اعتبر اليهود مع المسلمين أمة واحدة. الجميع متساوون فى الحقوق والواجبات لا فرق بين مسلم ويهودى «فسبقت المواثيق العالمية بقرون عدة فى مجال تطبيق مبدأ الحرية الدينية لجميع ذوى العقائد الدينية المختلفة والحرص على تحقيق الأمن والسلام الاجتماعى واستقرار مبدأ الوحدة الوطنية تطبيقا للقاعدة التى نص عليها حديث رسول الله ﷺ: **«لهم ما لنا وعليهم ما علينا»**، وقد سجل التاريخ أن المسلمين لم يكرهوا أحدا من أهل البلاد التى فتحوها على اعتناق الإسلام كرها. وإنما كان لقاؤهم بغير المسلمين متسما بالتسامح الدينى. انطلاقا من مبدأ وحدة الدين مع تعدد الرسالات والرسل ولذلك قرر القرآن الكريم **﴿لا إكراه فى الدين﴾**، وقد التزم الحكام المسلمون بهذا المبدأ على مدى أربعة عشر قرنا.

الإسلام دين سلام وعقيدة توحيد يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين

ولقد جاء فى سنة رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تحذر المسلمين من التهاون فى رعاية حقوق الذميين من أهل الكتاب فقال - عليه الصلاة والسلام -: **«من ظلم معاهدا أو انتقصه حقا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه (خصمه) يوم القيامة»**.

وقال أيضا ﷺ: **«من آذى ذميا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى»**، وقال ﷺ: **«من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»**.

ولذا فإن بعض الفقهاء نصوا على أنه يجب على الإمام حفظ حقوق أهل الذمة ومنع ما يؤذيهم فحاكم الدولة المسلمة ملتزم بحماية مواطنيها، والدفاع عنهم سواء كانوا مسلمين أو أهل ذمة (اليهود والنصارى) بل إن أفراد المجتمع المسلم عليهم التزام نحو حماية الذين يعيشون بينهم من أهل الكتاب الذميين إلى حد أن قرر فقهاء المسلمين أن الواجب على حكام المسلمين وأفراد المجتمع حمايتهم وبذل كل ما يمكن فى الدفاع عنهم إلى حد التعرض للقتال فى سبيل الحفاظ عليهم ودفع العدوان عنهم. ومما يؤكده هذه القاعدة موقف شيخ الإسلام ابن تيمية حينما تغلب التتار على الشام وأخذوا عددا من الأسرى من المسلمين ومن أهل الذمة اليهود والنصارى توجه الشيخ ابن تيمية إلى قائد التتار يتحدث إليه فى إطلاق سراح الأسرى وإعادتهم إلى ذويهم فوافق القائد التترى على إطلاق سراح الأسرى من المسلمين ورفض إطلاق الأسرى من أهل الكتاب اليهود والنصارى فرفض ابن تيمية قبول إطلاق الأسرى المسلمين دون الأسرى من أهل الذمة وقال: لا نرضى إلا بإطلاق جميع الأسرى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرا من أهل الذمة ولا من أهل ملة غير الإسلام فلما رأى القائد التترى إصرار الفقيه المسلم على موقفه تمسكا بتعاليم دينه أطلق سراح الجميع نزولا على إصرار الشيخ ابن تيمية.

من هذا يتضح جليا سماحة الإسلام وانطباع المسلمين بسماحته فى سلوكهم مع أهل الذمة المواطنين من اليهود والنصارى بل إن الإسلام يلزم جميع المسلمين بالإحسان والتراحم وإسداء الخير والمعروف لجميع بنى الإنسان ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾، فالمسلم بطبعه ومبادئ دينه يألف الناس ويحب الخير ويسعى إلى الإحسان والتعاون مع الآخرين، ولا ينطوى على الكراهية والعداوة أو المكر والخداع لأنها طباع لا تليق بكرامة المسلم ولا تتفق مع قيم الإسلام وآدابه بل إن الإسلام حرمها وحذر منها، ولذا فإنه لا يعقل بأى حال أن يثير بعض المسلمين فتنة طائفية لأنه عمل يتناقض مع مبادئ الإسلام وخلق المسلم وما يشاع حول بعض المسلمين من تعصب أو إثارة لفتنة طائفية إنما هو افتراء وكذب وبهتان محض والتى تمارسه وتشعل نار الفتنة العناصر الأخرى تنفيسا عما يعتمل فى صدورهم من الكراهية والبغضاء. وتعبيراً عما تفيض به مشاعرهم وتمتلئ به نفوسهم من عصبية ذميمة ومكر خبيث. ومع هذا فإن الإسلام أكبر وأعلى من أن يضيق ببعض الشائنين. والمسلمون على اختلاف فئاتهم أطيب وأكرم من أن يمارسوا صفات التعصب الذميم كالعداوة والشحناء والغل والكراهية. أو تضيق صدورهم وتضن بالصفح والاحتمال لأنهم يؤمنون بقول الله تعالى فى قرآنه الكريم ويعملون به: ﴿**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾.

حالة السلم بين المسلمين وبين الناس جميعا هى الحالة الثابتة لا يغيرها إلا وقوع الاعتداء من الآخرين وضرورة رده

الإرهاب بين الدين والواقع

خليل محمد خليل

الإرهاب معناه: التخويف، يقال: أرهب فلانا أى خوفه وفزعه(١)، والإرهابيون: وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية(٢).

ولقد أثبت الواقع أن الإرهابيين لهم أهداف متنوعة وليس هدفا واحدا منها: السياسية والدينية والاقتصادية، والفكرية.. وغير ذلك مما يهدفون إلى تحقيقه.

ومن المؤكد أن الإرهاب ظاهرة خطيرة انتشرت فى الآونة الأخيرة انتشارا واسعا، ووقعت حوادثه فى أنحاء متفرقة من العالم حيثما يكون الإرهابيون، وبات الناس فى كثير من الدول غير آمنين على حياتهم وأموالهم بما يشاهدونه أو يسمعونه من حوادث الإرهاب مما يدعو إلى الاهتمام بهذه الظاهرة الخطيرة عالميا والعمل على القضاء عليها فى كل مكان من العالم.

ومع أن الإرهاب ظاهرة اتسع مداها فى عالمنا المعاصر إلا أنه ظاهرة قديمة وليست حديثة، فالعنف والقهر والإرهاب والسلب والقتل ظواهر قديمة وانحرافات فى الفطرة صاحبت الخليقة منذ وجدت على ظهر الأرض، فلقد سجل القرآن الكريم قصة قابيل وهابيل ولدى آدم عليه السلام لما تنازعا الزواج من أخت قابيل التى ولدت معه وكانت جميلة وهى من حق هابيل، لأن الله شرع لآدم أن يزوج الأنثى من بطن للذكر من بطن آخر، وكانت أخت هابيل التى ولدت معه دميمة فأراد قابيل أن يستأثر بأخته لأنها وضيئة، فأبى آدم ذلك إلا أن يقدما قربانين، فمن تقبل منه فهى له، فلما قبل قربان هابيل غضب قابيل وقال لأخيه «لأقتلنك حتى لا تنكح أختى»، وهذا وعيد وتهديد، ونفذ قابيل وعيده وقتل أخاه، وما القتل إلا وسيلة من وسائل الإرهاب لتحقيق الهدف.

وتلك أول جريمة وقعت فى الأرض، دفع إليها الحسد والظلم والأثرة، وقد قص الله تعالى هذه القصة فى سورة المائدة من قوله تعالى: **﴿واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين* لئن بسطت إلىَّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين* إنى أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين* فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾** المائدة: الآيات ٢٧ - ٣٠.

ومما يؤكد أن سفك الدماء والإفساد فى الأرض موجود منذ أن خلق الله آدم - أن الله تعالى لما أخبر الملائكة أنه جاعل فى الأرض خليفة، أى قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل قالت الملائكة **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾**؟ وقد علموا أن بنى آدم يصنعون ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية، كما قال ابن كثير - فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف

من صلصال من حمإ مسنون أو أنهم قاسوهم على من سبق، وهذا السؤال من الملائكة ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبنى آدم وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة من ذلك، فقال الله للملائكة مجيبا عن سؤالهم: ﴿**إنى أعلم مالا تعلمون**﴾، قال ابن كثير: أى إنى أعلم من المصلحة الراجحة فى خلق هذا الصنف على المفاسد التى ذكرتموها مالا تعلمون أنتم، فإنى سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل إليهم الرسل، ويوجد فيهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء العاملون، والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ.

وامتدت الجريمة إلى اليوم، لم يخل مجتمع من المجتمعات منها فى كل زمان ومكان؛ لأن الذين يعيشون فيها بشر بكل ما تتضمنه البشرية من أطماع ونزعات وأهواء جامحة وحاجات ملحة وإن قلت نسبة الجرائم من مجتمع لآخر بحسب أحوال الناس فيه سعادة أو شقاء، وبمدى تحقيق رغباتهم وتلبية حاجاتهم، وبحسب إقبالهم على الله وخوفهم منه والتزامهم بشرعه أو انفلاتهم بعيدا عنه.

والواقع الأليم من حركات القمع والإرهاب على امتداد التاريخ والتى كانت من بعض الشعوب على غيرها لتحقيق أطماعها يحكى الكثير والكثير من حوادث الإرهاب، ومازالت ذاكرة التاريخ تحفظ للبشرية كلها الحملات الصليبية التى وفدت من الغرب المسيحى على الشرق الإسلامى فيما بين القرنين: الحادى عشر والثالث عشر الميلادى، وهى حملات حربية وجهها البابوات وملوك وأمراء أوروبا المسيحيون ضد المسلمين فى الشرق وظلت هذه الحروب ما يقرب من مائتى عام، جاءت خلالها الحملات الصليبية للسيطرة على ساحل الشام وبيت المقدس، ثم وجهوا حملاتهم من الشرق ومن أوروبا ضد مصر؛ لأنهم وجدوا أنهم لا سبيل إلى بقائهم واستمرارهم فى الشرق إلا بالاستيلاء على مصر، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل وانتهت بطردهم نهائيا من عكا آخر معاقلهم ١٢٩١م على يد السلطان المملوكى خليل بن قلاوون.

الإرهاب ظاهرة فردية لمجموعة توحدت أهدافها واتخذت من الإرهاب وسيلة لتحقيقها

ومن جرائم الصليبيين فى بيت المقدس أنهم لما استولوا على المدينة فى ١٤ يوليو عام ١٠٩٩م استباحوا دماء من بها من المسلمين واليهود والمسيحيين الذين لم ينضموا لمساعدتهم، وقتلوا الآلاف من الأبرياء دون أن يفرقوا بين رجل أو امرأة أو طفل، ولم يراعوا حرمة المسجد الأقصى فأجهزوا على كل من احتمى به من المسلمين واستولوا على مابه من أموال وآنية وقناديل فضية.

وكما فعل الصليبيون فى الشرق الإسلامى فعل التتار ـ أيضا ـ فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى. لقد تمكنوا من القضاء على الدولة الخوارزمية فسيطروا على فارس ثم تقدموا نحو بغداد واقتحموها فى فبراير ١٢٥٨م ونشروا بها الرعب والفزع فى كافة أرجائها، وقتلوا من رجالها ثمانمائة ألف فى مذبحة رهيبة استمرت أربعين يوما، ثم أشعلوا النار فى المدينة وقتلوا الخليفة المستعصم، وكان سقوط بغداد فى يد المغول نكبة

كبيرة حلت بالعالم الإسلامى، وكان لها أثر سئ فى نفوس المسلمين جميعا.

ثم واصلوا زحفهم على بلاد الشام فاستولوا عليها حتى وصلوا إلى غزة استعدادا للهجوم على مصر، وهناك أراد الله - عز وجل - أن يتوقفوا وأن تكون هزيمتهم المنكرة على يد السلطان قطز فى معركة عين جالوت المشهورة.

ويعد الاستعمار الغربى فى أفريقيا وآسيا حلقة من حلقات الإرهاب الممتد عبر التاريخ للاستيلاء على شعوب الأرض وفرض سيطرته بالقوة لتحقيق أطماعه. لقد بدأت الكشوف الجغرافية من أوروبا إلى أفريقيا وآسيا وكانت أسبانيا والبرتغال أسبق هذه الدول إلى هذه الكشوف حيث سعت البرتغال لمتاجر الشرق مباشرة شرق آسيا وجنوبها لتوجيه ضربة للمسلمين والاتصال بملك الحبشة للتعاون معه ضد الدول الإسلامية والقضاء على مصدر ثروتها وهو تحكمها فى التجارة بين الشمال والجنوب.

توغلت البرتغال فى بلاد أفريقيا وبدأوا بالاستيلاء على مدينة سبتة المغربية سنة ١٤١٥م، ثم واصلوا زحفهم إلى سيراليون وغيرها مستعملين العنف والقسوة مع أهالى البلاد التى نزلوها، ثم أخذوا الكثير والكثير من سكان هذه المناطق إلى أسواق أوروبا وباعوهم رقيقا بأغلى الأثمان.

ثم دخلت دول أخرى إلى القارة مثل انجلترا وفرنسا خلال القرنين: السابع عشر والثامن عشر الميلاديين للاستفادة بالرقيق الأفارقة فى مستعمراتهم فى العالم الجديد، ولقد سجل التاريخ صورا مزرية فى معاملة الأفارقة ومعايشهم ونقلهم إلى أوروبا فى سفن أعدوها لنقل البضائع موثوقى الأيدى والأرجل، وهناك أسكنوهم فى مساكن خاصة بهم بعيداعن الأوروبيين، ليس لديهم وسائل المعيشة الكريمة التى يتمتع بها الأوروبيون.

وفى آخر القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين شهد عالمنا المعاصر - ومازال - فى مواقع مختلفة من العالم وبخاصة الشرق العربى والإسلامى - سلسلة من حركات القمع والإرهاب التى تقوم بها قوى كبرى داخل بعض الدول العربية والإسلامية تنفيذا لمخططاتهم فى استغلال ثروات هذه الدول والسيطرة على أراضى غيرهم بالقوة، وضرب الإسلام والمسلمين فى عقر دارهم ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾ التوبة: آية ٣٢.

حرم الإسلام قتل النفس ظلما أيا كانت النفس مؤمنة أو كافرة

والمتعارف عليه فى السابق أن الإرهاب ظاهرة فردية تصدر من مجموعة من الناس توحدت أهدافهم واتحدت مطالبهم؛ ولذا اتخذوا الإرهاب وسيلة لتحقيق أهدافهم ومطالبهم، وفى عصرنا الحاضر رأينا إرهاب الدولة أو الدول أى أن الإرهاب تقوم به بعض الدول متفرقة أو مجتمعة لتحقيق مآربهم وفرض سيطرتهم بقوة السلاح لضرب الشعوب الآمنة فى عقر دارها واحتلال أراضيها واستنزاف ثرواتها، وهذا هو منطق العصر، منطق القوة والتكتلات، لا استقرار فيه ولا حياة للضعيف والمنفرد؛ ولذا فمن أرادوا حياة العزة والكرامة فعليهم بالاتحاد والقوة عملا بقوله

تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾، وقوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾،

فالإرهاب وسيلة قديمة حديثة معا لتحقيق الأطماع منذ وجد الناس على سطح الأرض، وهو ممتد مع الناس فى كل زمان ومكان؛ لأن الناس بشر، وفيهم غرائز جامحة وحاجات يتطلعون إلى إشباعها بأى وسيلة، والقوانين الوضعية التى تحكم الناس وتنظم حياتهم قاصرة على تلبية حاجاتهم وتربيتهم تربية سليمة تستقيم بها الحياة وتصلح بها المجتمعات؛ ولذا خرجوا عن طوقها وانفلتوا من قيودها، والإنسان حين ينفلت من كل الرقابات والقيود يصير وحشا كاسرا وحيوانا مدمرا، لا يفكر بعقله وإنما يندفع بغريزته فيدمر ويفعل كما تفعل العجماوات؛ ومن ثم كانت حاجة الناس إلى شريعة الإسلام حاجة ماسة؛ لأنها من وضع العليم الحكيم الذى خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، فهى أقدر على تربية الناس وتقويم سلوكهم وإشباع رغباتهم وتلبية حاجاتهم وتنظيم العلاقة بينهم على أساس من العدل والمساواة واحترام حقوق الآخرين، وبذلك كله ينعم المجتمع الإسلامى بحياة ملؤها الأمن والسعادة والاستقرار لجميع المواطنين.

لقد سعدت المجتمعات التى أقامت الإسلام عقيدة وشريعة أيما سعادة؛ لأن الإسلام جاء رحمة للعالمين، يسد منافذ الشر عند معتنقيه، ويفتح أمامهم أبوب الخير والرجاء لينعموا به فى دنياهم وأخراهم ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**﴾، ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**﴾.

لقد شرع الإسلام للخارجين على شريعته المفسدين فى الأرض الذين يروعون الآمنين ويسفكون دماءهم ـ عقوبات رادعة، تردع المجرمين وتنكل بالظالمين، وتجعلهم عبرة للمعتبرين، وكل جريمة لها عقوبة تناسب مرتكبيها لكى تقضى عليها فى مهدها وتطهر المجتمع من مغبتها قال تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم**﴾ المائدة: آية ٣٣.

لقد حرم الإسلام قتل النفس ظلما أيا كانت هذه النفس مؤمنة أو كافرة؛ لقوله ﷺ: «**لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل**» أخرجه البخارى ومسلم.

وحرم أيضا قتل أهل الكتاب المقيمين فى بلاد المسلمين؛ لقوله ﷺ: «**من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاما**» أخرجه البخارى.

فإذا كان هذا فى قتل المعاهد وهو من يحميه الإسلام، فإن الله تعالى شدَّد النكير فى قتل النفس المؤمنة، فقال تعالى: ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**﴾ النساء: آية ٩٣، وقوله ﷺ: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا**»(٣).

وهكذا يحرص الإسلام على تحقيق الأمن والأمان لكل من يعيش على أرضه من مسلمين وغيرهم، ويحارب الخارجين على الدين والقانون ولا يتهاون فى إقامة الحد عليهم وأدًا للجريمة فى مهدها حتى ينعم الناس فى ظل الإسلام بحياة ملؤها السعادة والاستقرار.

الهوامش:

١ ـ المعجم الوسيط.
٢ ـ المرجع نفسه.
٣ ـ أخرجه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

أبريل القادم المؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية حول:

«إنسانية الحضارة الإسلامية»

وراء الأخبار

منير بيومى

يوجه علماء ومفكرون من ٨٠ دولة عربية وأجنبية رسالة إلى شعوب الأمة الإسلامية من خلال المؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى يعقد فى ابريل القادم يدعون فيها المسلمين لإعادة النظر فى مواقفهم والالتفات إلى قيم الإسلام الحقيقية والسير على هداها كما يوجهون رسالة إلى العالم الخارجى لإعادة النظر فى مواقفه إزاء الإسلام والمسلمين اضافة إلى التأكيد على أن الإسلام ـ كما يتضح من خلال الرجوع إلى مصادره وتطبيقات حضارته فى عصر ازدهارها ـ هو «دين الإنسانية» بكل معنى الكلمة وأن الإنسان هو محور هذا الكون وقد خلقه الله ليكون سيدا فى هذا الكون وخليفة لله فى الأرض.

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق ـ وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ خلال المؤتمر الصحفى أن المؤتمر السنوى العالمى يشارك فيه وزراء وعلماء ومفتون من أكثر من ٦٥ دولة بخلاف عدد من الشخصيات العالمية وعشر منظمات إسلامية عالمية وتستمر جلساته أربعة أيام فى الفترة من ١٧ إلى ٢٠ أبريل ٢٠٠٥م الموافق ٨ إلى ١١ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، حيث تعلن التوصيات فى الجلسة الختامية صباح يوم ٢٠ ابريل.

وقال د. زقزوق إن المؤتمر هذا العام يعقد تحت عنوان «إنسانية الحضارة الإسلامية» ليكشف للعالم حقيقة مهمة وهى أن الإسلام هو أول من اهتم بحقوق الإنسان وصانها قبل أى دساتير ومواثيق وقوانين عالمية أخرى مشيرا إلى أن مصر ستظل تؤدى دورها الإسلامى فى العالم بوصفها بلد الأزهر الشريف.

وأضاف وزير الأوقاف أن اختيار موضوع المؤتمر وتحديد محاوره جاء نتيجة تزايد المقولات التى تزعم أن تأكيد مبادئ حقوق الإنسان والدفاع عنها من منجزات العصر الحديث.

وفى الوقت نفسه تعرض الإسلام ولايزال يتعرض لهجوم واسع النطاق فى الإعلام الدولى باتهامه بأنه لا يعرف حقوقا للإنسان وأنه دين يشجع على العنف والإرهاب وقد زادت حدة هذا الهجوم منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م.

وقال: من هذا المنطلق أخذ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على عاتقه القيام بدور إيجابى فعال فى هذا الصدد يتمثل فى عدم إضاعة الوقت فى الانشغال بتفنيد هذه الاتهامات الظالمة وإنما باللجوء إلى إبراز قيم الإسلام وتعاليمه التى تشتمل عليها

مصادر الإسلام الأساسية الموثقة تعريفا بحقائقه وتطبيقات ذلك فى الحضارة الإسلامية التى قدمت للبشرية الكثير من العطاء الحضارى. مشيرا إلى أن المعنى الإنسانى فى تعاليم الإسلام هو أبرز شىء فى هذا الدين الذى جاء رحمة للعالمين والذى رفع حقوق الإنسان إلى مرتبة الضرورات والفرائض التى لا يجوز التنازل عنها.

وأوضح د. زقزوق أن محاور المؤتمر أربعة:

المحور الأول يتناول الموقف من الآخر ويناقش وحدة الأصل الإنسانى، واعتراف الإسلام بالآخر، ومبدأ المساواة والتعددية وحرية الاختلاف.

والمحور الثانى: هو علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى والموقف من دعوى صراع الحضارات وأثر الحضارة الإسلامية فى الحضارة الغربية، وأثر الحضارة الغربية المعاصرة فى المجتمعات الإسلامية.

أما المحور الثالث: فيناقش خيرية الأمة الإسلامية ورفض ثقافة الكراهية والعنصرية، وتكريم الأنبياء والرسل وحاجة العالم المعاصر إلى القيم الإسلامية.

ويناقش المحور الرابع: نظرة الإسلام إلى المرأة وتكريمه لها والشخصية القانونية للمرأة وآثارها، وعقد الزواج وآثاره وانتهاؤه والدور السياسى للمرأة والأخطاء الشائعة عند الآخر حول الإرث والشهادة وتعدد الزوجات.

وقال وزير الأوقاف: إن لغة المؤتمر المعتمدة هى العربية ويمكن أن يقدم البحث بالإنجليزية أو الفرنسية مع ملخص باللغة العربية وسيتم ترجمة وقائع جلسات المؤتمر فى الحال من وإلى الإنجليزية والفرنسية.

٤٢ ألف مخطوطة نادرة و١٢٥ ألفا من كتب التراث للأزهر على شبكة المعلومات الدولية

يشهد شهر مايو المقبل إطلاق موقع «الأزهر أون لاين» على الإنترنت بعد أن تحولت ٤٢ ألف مخطوطة نادرة إلى وثائق رقمية يمكن مشاهدتها والاطلاع عليها دون الحاجة إلى الدخول والبحث بين جنبات المكتبات ودون تعريض أصل المخطوطة إلى التلف. كما يمكن للباحثين قراءة ١٢٥ ألفا من كتب التراث.

جاء هذا العمل الذى استغرق أربع سنوات بمبادرة من الشيخ محمد بن راشد ولى عهد دبى أثناء زيارته للأزهر ولقائه مع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، والذى بلغت تكاليفه خمسة ملايين دولار.

المشروع بدأ عام ٢٠٠٠ بهدف تحويل ٤٢ ألف مخطوط إلى وثائق رقمية يمكن إظهارها على الإنترنت اضافة إلى ما يقرب من ١٢٥ ألف كتاب مما سيتيح للدارسين الاطلاع على نوادر المخطوطات إضافة إلى ذلك سيتم ترجمة محتوياته إلى عدة لغات بالتعاون مع كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.

كما سيتم تأسيس شبكة اتصالات داخلية للربط بين عدد من المعاهد والمدارس الأزهرية والأزهر الشريف.

ومن بين المخطوطات النادرة المصحف الشريف الذى كتب بالخط الكوفى فى العام الرابع الهجرى ومجموعة من مخطوطات التراث فى علوم مختلفة.

مجمع البحوث الإسلامية يقرر

زكاة المال واجبة واستثناء إخراجها في حالات الاحتياج الضرورى لرأس المال

أكد مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته المنعقدة يوم الخميس الموافق ٣ فبراير الحالى برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن الزكاة واجبة على رءوس الأموال المودعة فى البنوك سواء كانت فى صورة شهادات استثمار أو غيرها وذلك بالمقدار الشرعى المحدد لزكاة الأموال وهو ٢,٥٪ وأن مقدار الزكاة يكون على رأس المال والعائد معا مالم يتم إنفاقه ومر عليه الحول.

أما إذا تم إنفاق العائد فتقتصر الزكاة فى هذه الحالة على رأس المال المودع فى البنك وأجاز الإمام الأكبر استثناء رأس المال من زكاة الأموال المقررة وقدرها ٢,٥٪ إذا ما كان هذا المبلغ ضروريا لحوائج الإنسان الأساسية ولا يستطيع أن يخرج منه الزكاة وإلا أضيرت حياته ومعيشته بشكل كبير، وبالتالى فإن هذا الرأى ليس قاعدة عامة، بل استثناء يجوز تطبيقه على من يقر بذلك أمام الله تعالى أولا وأمام نفسه ثانيا.

وأضاف: أن المسلم أكثر دراية بظروفه ونفقاته ومستلزمات حياته وبالتالى يمكنه تطبيق ذلك وفق حالته مؤكدا أن إخراج الزكاة فيه فوائد كثيرة للفرد والمجتمع. كما أنه تطهير للمال لذلك يجب عدم التقاعس عن إخراجها إلا فى حالات الاحتياج الضرورى لرأس المال.

وقال: إن شروط زكاة الأموال محددة شرعا بأنها كل مال يبلغ النصاب ويمر عليه الحول ويفيض عن حاجة الإنسان ويكون مالا ناميا.

قضايا اللغة والتعليم والهوية فى مؤتمر جمعية تعريب العلوم

استمرارا لأداء رسالتها فى دفع مسيرة التعريب تنظم الجمعية المصرية لتعريب العلوم مؤتمرها السنوى الحادى عشر حول اللغة والتعليم والهوية فى الفترة من ٩ إلى ١٢ مارس القادم الموافق ٢٨ المحرم إلى ٢ صفر ١٤٢٦هـ بدار الضيافة بجامعة عين شمس.

وأوضح الدكتور عبدالحافظ حلمى - رئيس الجمعية - أن الاهتمام فى المؤتمرات السابقة كان ببحث العديد من أوجه قضايا التعريب واستمرارا لهذا النهج ونظرا لارتباط تعريب العلوم بقضايا اللغة والتعليم والهوية باعتبارها روافد التنمية فى المجتمع لذلك يركز المؤتمر على منظومة اللغة والتعليم والهوية.

وسوف تتناول محاور المؤتمر التعريب وكفاءة العملية التعلمية، وتعريب العلوم وتعريب المجتمع، وتعريب التعليم والإبداع، واللغة القومية فى التعليم العام، وفى التعليم الجامعى، واللغات الأجنبية فى التعليم والثقافة والجوانب القانونية والاقتصادية لتعريب العلوم، وتعريب العلوم وتقنيات المعلومات، واللغة العربية والتوصيف القياسى، واللغة والبيئة.

وأضاف الدكتور محمد يونس الحملاوى - أمين عام الجمعية - أنه على هامش المؤتمر تعقد ثلاث حلقات نقاشية تعالج قضايا اللغة والهوية وتقييم مسيرة تعريب العلوم، وتعريب التعليم والعلاقة والتأثير المتبادل.

الدعوة الإسلامية فى ظل العولمة.. والتعددية السياسية فى الشريعة الإسلامية فى مسابقة د. الفنجرى عام ٢٠٠٦م

قررت اللجنة المشرفة على مسابقة وقف المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى لصالح جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامى تخصيص ٣٠ ألف جنيه جوائز أصلية لأحسن البحوث الفائزة فى مسابقة عام ٢٠٠٦م فى موضوعين الأول: الدعوة الإسلامية فى ظل العولمة، والثانى: التعددية السياسية فى الشريعة الإسلامية.

كما تم تخصيص ٢٠ ألف جنيه جوائز تشجيعية للبحوث الجيدة غير الفائزة بالجوائز الأصلية فى أحد الموضوعين وذلك فى حدود مبلغ ألف جنيه «لكل فائز».

وتقدم البحوث فى موعد غايته ٣١مارس ٢٠٠٦م إلى مكتب ناظر الوقف المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة بالدور العاشر بمجمع التحرير بالقاهرة. وذلك من عدد ثلاث نسخ بما لا يقل عن مائة صفحة ولا يتجاوز مائتين مع ملخص له من ثلاث نسخ بمالا يقل عن عشر صفحات ولا يتجاوز عشرين صفحة. ويشترط فى البحث المقدم أن يكون مُعدا للمسابقة ولم يسبق نشره أو تقديمه لأية جهة أخرى وأن يكون متميزا ويتضمن إضافات واجتهادات جديدة تنفع الإسلام والمسلمين وألا يكون صاحبه قد سبق له الحصول على جائزة أصلية فى المسابقة خلال ثلاث سنوات لإتاحة الفرصة لغيره وللجنة شئون الوقف طبع أى بحث فائز متى قررت ذلك. ويقام حفل توزيع الجوائز كالمعتاد بالنادى النهرى لهيئة قضايا الدولة بشارع أبو الفدا بالزمالك يوم الخميس الأخير من شهر يونيو من كل عام.

بدء مسابقة المولد النبوى الشريف التى تنظمها وزارة الأوقاف سنويا

أعلنت وزارة الأوقاف عن بدء فعاليات مسابقة المولد النبوى الشريف التى تنظمها سنويا لتشجيع شباب المسلمين على البحث والاطلاع فى إطار رسالة الوزارة فى تربية الأجيال الجديدة على التزود بالمعاوف والعلوم الشرعية التى تمنحهم منهجا ربانيا رشيدا لصلاحهم وتقواهم.

أوضح د. محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - أن المسابقة تشمل مستويين الأول من سن ١٦ سنة فأكثر ويقوم المتسابق بإعداد بحث فى أحد الموضوعات وهى: «الوقف وأهميته فى التكافل ونشر الدعوة»، و«فتح مكة دعوة إلى السلام العادل» و«عناية الإسلام بالطفولة والنشء»، و«الحفاظ على البيئة فريضة دينية وضرورة اجتماعية،» والمستوى الثانى أقل من ١٦ سنة فى حفظ وفهم المائة حديث الأولى من كتاب رياض الصالحين.

أشار د. زقزوق إلى أن أهم شروط المسابقة أن يكون المتسابق من غير خريجى كليات أصول الدين والدراسات الإسلامية والشريعة والقانون واللغة العربية والدعوة الإسلامية.. وألا يكون من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات، وتبدأ المديريات الإقليمية على مستوى الجمورية فى تلقى البحوث حتى ١٢ فبراير الحالى.

بعد تجاوز حجم مشتركيه حاجز ٦,٥ مليون مواطن

المحمول صداع فى رأس المجتمع

إهدار للوقت وتبذير للمال والأفضل أن يوجه إلى مصارف الخير

تحقيق
مصطفى إبراهيم خيان

لعل أخطر ما يمكن أن تبتلى به أمة من الأمم وهى تشق طريقها بين الأمم، وتخطو نحو التقدم، أن يتكالب أبناؤها ويتنافسوا فى سباق محموم نحو الإسراف والبذخ، ويشتد حرصهم على اقتناء كل ما تجود به التكنولوجيا الحديثة من أدوات، سواء ما كان منها نافعا أو كان لمجرد الاقتناء أو نوعا من الوجاهة الزائفة وحب التقليد، وتحول الأمر إلى لون من ألوان السفه الاستهلاكى الذى استشرى بين شتى طبقات المجتمع وفئاته فرأينا التنافس على امتلاك الهاتف المحمول بلا ضابط ولا رابط حتى صار كقطعة من قطع الديكور أو أداة للهو فى يد الأطفال ووسيلة للثرثرة وإضاعة الوقت.

والخطير فى الأمر أن استهلاك الهواتف المحمولة فى زيادة مضطردة حتى إن حجم ما يملكه المصريون منه قد تجاوز ستة ملايين ونصف المليون هاتف ينفق أصحابها مليارات الجنيهات سنويا، يضيع معظمها فيما لا طائل ولا جدوى من ورائه غير إهدار الوقت والإضرار باقتصاد البلاد واستنزاف ميزانية الأسرة.

وفى هذا التحقيق نتصدى بالرأى لهذه الظاهرة التى استفحل خطرها وصارت فاتورة المحمول تشكل صداعا فى رأس الأسر المصرية.

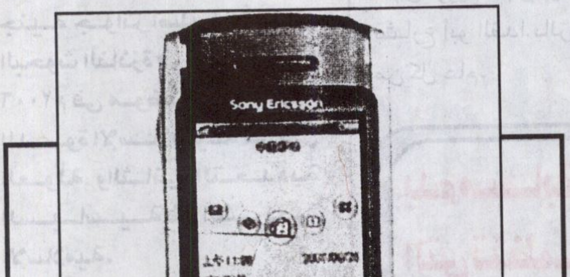

دين الوسطية والاعتدال

فى البداية كان علينا أن نستطلع رأى الدين فى الإنفاق الأمثل.. **الدكتور محمد المختار المهدى** ـ رئيس الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة والأستاذ بجامعة الأزهر ـ يوضح كيف نظم الإسلام قواعد الإنفاق ووضع له من الضوابط ما يضمن حسن استخدام المال، فيقول: إن الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال، فكما ينهى عن البخل والشح، فهو كذلك ينهى عن الإسراف ويحذر منه، يقول تعالى: **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾** الإسراء: آية ٢٩.

وليعلم كل إنسان أن ما تحت يديه من مال هو مستخلف فيه فحسب، وإنما المال هو مال الله، وعلى المرء أن يراعى الله فى هذا المال فينفق منه فيما أحله الله له دون إسراف أو تبديد للمال.

يقول جل شأنه: ﴿**وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾ الحديد: آية ٧. فنحن جميعا مستخلفون فى هذا المال وسوف نسأل عن مصدره وعن مصادر إنفاقه يوم القيامة فلنتق الله فيما بين أيدينا من مال نحن مستخلفون فيه.

تيسير المصلحة

ويضيف الدكتور المختار المهدى: إن ما نراه اليوم من مظاهر إنفاق بلا حساب فيما لا يفيد ولا ينفع ومنها الاستخدام السيئ للهاتف المحمول وما شابهه من وسائل فى غير ما خصصت له، يعد نوعا من أنواع التبذير الذى هو أكثر خطرا وأشد حرمة من الإسراف؛ فالإسراف يكون فى زيادة استهلاك الحلال، كأن يكون الإنسان فى حاجة إلى الطعام فيأكل فوق حاجته، أما التبذير فهو إسراف المال فى غير موضعه، وهذا ما ينطبق على حالة استخدام الهاتف المحمول فى غير الغرض الذى خصص له؛ فذلك تبذير شديد الحرمة.

ويؤكد الدكتور المهدى أن استخدام أدوات التكنولوجيا الحديثة يكون بغرض تيسير مصلحة الإنسان، وبقدر الضرورة تقدر المصلحة، أما من يسيئ استعمال هذه الأجهزة فى اللعب وقضاء الوقت، فذلك تبذير للمال وضياع للوقت ويكون عقابه فى هذه الحالة عقابين من الله، فقد أفنى عمره هباء منثورا وأنفق ماله فى حرام.

وليت هؤلاء ينفقون أموالهم لمساعدة من هم فى مسيس الحاجة إليه ابتغاء وجه الله ومرضاته، كأن يمد يد العون لمحتاج، أو يقدم دواء لمريض، أو يساهم فى عمل المشروعات التى تخفف حدة البطالة عن مجتمعنا وبلدنا.

إنفاق غير مقنن

وإذا كانت لغة الأرقام لا تكذب ولا تتجمل فإن **الدكتور عبدالفتاح مصطفى غنيمة** - أستاذ تاريخ الحضارة والعلوم بجامعتى الإسكندرية والمنوفية - يضع أمامنا الحقائق بالأرقام مؤكدا على أن تفشى ظاهرة الاستخدام السيئ للمحمول باتت غير مسبوقة فى أى مجتمع آخر، مشيرا إلى أن نفقات استهلاك المحمول بلغت فى العام الأخير ١٣,٨ مليار جنيه وهو ما يربو على ربع الدخل القومى العام - تبعا لتقديره - وهو ما يعد مؤشرا خطرا على الإنفاق غير المقنن الذى لم يعد قاصرا على الهاتف المحمول وإنما وعلى نفس المنوال يجرى استخدام الإنترنت فى أغلب الأحوال فى غير الغرض الذى خصص له والذى يقوم على نقل المعلومات بين المستخدمين وتسهيل عملية تبادل واكتساب المعرفة، إلا أنه تحول لدى الكثير من شبابنا إلى وسيلة للتسلية وإضاعة الوقت وإنفاق المال فيما يضر ولا ينفع.

التقليد الأعمى والوجاهة الزائفة وراء إهدار مليارات الجنيهات على المحمول

مظاهر البذخ

ويشير الدكتور غنيمة إلى أنه فى أحد الاستطلاعات التى أجريت على عدد من طلاب وأساتذة جامعة عين شمس وجد أن متوسط استهلاك الفرد من مكالمات الهاتف المحمول قد بلغ ١٨٠ جنيها شهريا، وهو رقم كبير إذا ما قورن بمتوسط دخل الفرد فى مصر، ويضيف إن ظاهرة الإسراف ببذخ قد تفشت فى السنوات الأخيرة بصورة لافتة للنظر حتى صار البعض يسعى لاقتناء كل ما تطرحه مصانع الغرب من منتجات حديثة سواء أكان فى حاجة إليها أو كانت لمجرد أن يتخذها ديكورا يتباهى به حتى صارت بعض الدول تحجم عن تقديم المساعدات لنا بسبب مظاهر الثراء والبذخ التى تبدو على سلوك الكثيرين عندنا، مما يعطى انطباعا لدى الآخرين أننا لسنا بحاجة إلى قروض أو مساعدات طالما أن إنفاقنا بهذه الصورة التى لا وجود لها فى العديد من دول العالم حتى تلك الدول المتقدمة منها.

ضوابط ضرورية

ويدعو الدكتور على عجوة - عميد كلية الإعلام السابق - إلى ضرورة تقنين استخدام أدوات التكنولوجيا الحديثة مع وضع الضوابط التى تكفل سريان المال فى قنواته الشرعية التى تكفل الحفاظ

على المليارات التى تهدر سنويا، والتى نحن فى مسيس الحاجة إليها للتغلب على العديد من مشاكلنا الاجتماعية والاقتصادية وذلك إذا ما تم توجيهها إلى مصارفها الضرورية. مؤكدا على أن استخدام المحمول ينبغى أن يكون قاصرا على حالات معينة كالإبلاغ عن أى تطورات مهمة أو متابعة عمل معين، أو الاطمئنان على أحد أفراد الأسرة، أو لاستدعاء شخص ما بصفة عاجلة.

فقد القدرة على التفكير

ويضيف أن سوء استخدام المحمول قد أحدث خللا كبيرا فى ميزانيات الأسر غير القادرة. أما بالنسبة للأسر ميسورة الحال، فقد بات استخدام المحمول بلا ضرورة يمثل نوعا من الاستفزاز للآخرين، وفضلا عن كل ذلك فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هناك أضرارا شديدة على المخ تسببها الإشعاعات الضارة المنبعثة من تلك الهواتف خاصة فى حالات استخدامه لفترات طويلة.

ومما يؤسف له أيضا أن العديد من شبابنا قد أصيب بنوع من البلاهة واللامبالاة فأصبحت الثرثرة فى الهاتف لديه نوعا من الإدمان، وبالتالى لم يعد قادرا على التفكير السليم أو على مواجهة أعباء الحياة ومشكلاتها.

وعن دور الإعلام أكد الدكتور على عجوة أن الإعلام سلاح ذو حدين فإذا أسيئ استخدامه فقد يؤدى إلى ترسيخ هذه العادات السيئة أما إذا أحسن استعمال وتوجيه الرسالة الإعلامية فسوف ترتقى بفكر الناس وعاداتهم، وذلك يحتاج منا إلى تنسيق الجهود بين الإعلام وكافة هيئات المجتمع حتى يكون المنتج الإعلامى معبرا عن نبض الشارع والمجتمع.

مرض اجتماعى

أما الدكتور أحمد المجدوب ـ مستشار المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ فينظر إلى تلك الظاهرة باعتبارها أحد الأمراض التى أصابت المجتمع بما تنطوى عليه من سعى للاستعراض وحب للمظهرية.

ويشير إلى أن تغلغل هذاالداء فى نفس الشخص يدفعه إلى أن يتخذ موقف المعاند الذى يصر على اقتناء كل ما يقتنيه غيره من الناس، حتى وإن كانت حالته الاجتماعية والمادية لا تسمح له بذلك، إلا أن ذلك يجعل الشعور الزائف ينتابه بأنه لا يقل مكانة وأهمية عن غيره، ومع مرور الوقت يستفحل ذلك الداء حتى يصعب علاجه.

الإعلام سلاح ذو حدين وواجبنا أن نوجهه لإعلاء قيم الخير والفضيلة

سلوك مدمر

ويضيف أن الاستهلاك قد أخذ أبعادا خطيرة فصار تنافسا بين الأفراد وبين الأسر وبعضها البعض بل تطور الأمر إلى ما يشبه الصراع فى شتى مجالات وأنواع الاستهلاك، واستفحل الأمر مع دخول الطبقات الفقيرة حلبة الصراع فاضطرت بعض الأسر إلى الاقتراض والاستدانة بل وإلى سلوك طرق غير شريفة للحصول على المال من أجل مجاراة الآخرين تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة.

وهذا الهوس الاستهلاكى يتبعه بطبيعة الحال أمراض اجتماعية خطيرة كالطمع والحسد والحقد، وينضم إلى ذلك كله التراجع المستمر فى مستوى التضامن الاجتماعى، وبالتالى تسللت الأنانية إلى النفوس وصار المجتمع أفرادا، كل يفكر فى ذاته، بل قد يصل الأمر بالبعض إلى التفكير فى تدمير الآخرين طالما أنه يرى أن لديهم ما ليس لديه.

ويدلل الدكتور المجدوب على مدى السفه الذى حل ببعض العائلات، فيذكر أن صديقا حكى له أنه دفع مبلغ ثلاثة آلاف جنيه سدادا لفاتورة المحمول، ولما أبدى تعجبه، أخبره أن لديه ولدين لكل منهما هاتف محمول، معظم استخدامهما للهاتفين يتم بينهما عندما يكون كل منهما فى حجرته وبالطبع فحديثهما لن يخرج عن كونه ثرثرة فارغة ومضيعة للوقت.

البارودى فى مئة عام

شعر: نوال مهنى

يشدو الزمان بذكركم ويشيد ... يا صاحب الإحياء يا محمودُ
قرن مضى يروى بديع بيانكم ... وكأن شعرك للزمان نشيدُ
حسب القوافى حين تحيى نبضها ... فيعود فيها روحها المفقودُ
من بعد أن غطى القريض غشاوة ... وجنى عليه تخلف وجمود
ذوت البلاغة من ركاكة عصرها ... حتى أتاها الفارس الموعودُ
فإذا لواء الشعر يخفق عاليا ... وإمارة للمبدعين تسودُ
مئة من الأعوام مرت بينما ... يبقى قصيدك شامخٌ وجديدُ
يا فارس الشعراء ذكرك عاطر ... قلمٌ وسيفٌ فى يديك شهودُ
قلم يشار إلى براعة لفظه ... وروائع الأنغام حين يجودُ
والسيف يزهو فى يمينك معلنا ... أن الفداء بسالة وصمودُ
تحمى به وطنا عشقت ترابه ... ترعى حماهُ صادقا وتذود
أمضيت عمرا فى جهاد دائب ... وجهادكم فى الحالتين مجيدُ
لو كنت تعلم ما جرى فى شعرنا ... وتراثنا - إن البلاء شديدُ
سيل الحداثة والغثاثة جارف ... والمخلصون طريقهم مسدودُ
ريح السموم تروم عطب سفينهم ... وهم إذا يطغى العبابُ جنودُ
فاطلل بروحك سوف تلقى سلة ... من مؤمنين نضالهم مشهودُ
ساروا على نهج وضعت أساسه ... يذكيه أرثٌ للقريض فريدُ
فعسى يعود إلى القصائد مجدها ... وعسى يعودُ بهاؤها المنشودُ

مساجد لها تاريخ

مسجد الحاكم بأمر الله

محمد كامل شاهين

تصوير: سيد الزفزاف

كثير منا لا يعرف أن شارع المعز لدين الله يعتبر متحفا مفتوحا للعديد من الآثار الإسلامية النادرة، فبه المساجد والأسبلة التى تحكى عن عظم تاريخ دولة المماليك فى مصر.. تلك الدولة التى رصدت كل غالٍ ونفيس من أجل نهضة معمارية إسلامية على مستوى عالٍ من جمال البناء وزخرفته بزخارف نباتية غاية فى الدقة، يقف أمامها المرء مشدوها متسائلا كيف استطاع عامل البناء المصرى أن يتفوق على نفسه ويبدع مثل هذه العمائر؟

غير أن شارع المعز يجمع إلى جانب الآثار المملوكية مسجدى الحاكم بأمر الله والأقمر وكليهما من المساجد الفاطمية النادرة التى بقيت شاهدة حتى الآن على عظمة تلك الدولة وما خلفته من آثار رائعة.

وقد حرصت مجلة «منبر الإسلام» على أن تلقى الضوء على مسجد الحاكم بأمر الله لأهميته الأثرية والتاريخية.

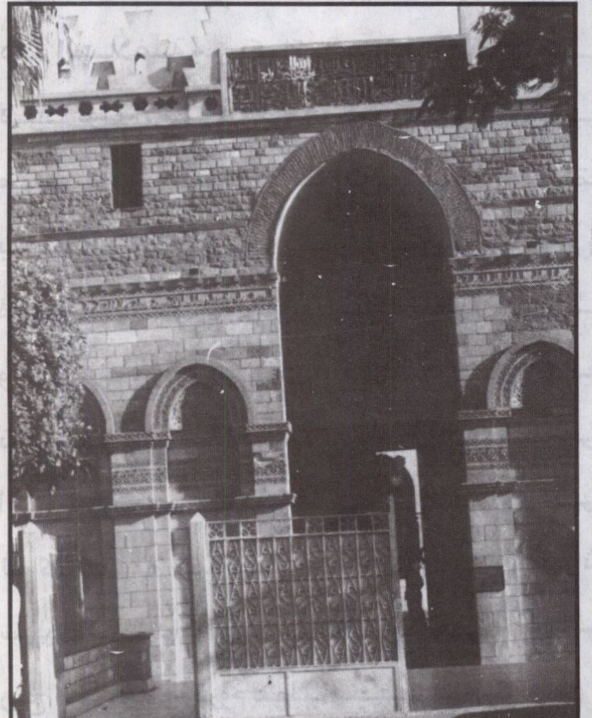

مدخل المسجد ويرى آثار الترميم الحديث مع بقاء جزء من الأثر القديم

صحن المسجد تتوسطه الميضأة وتظهر المأذنة فى الخلف

مسجد الحاكم بأمر الله.. تحفة معمارية رائعة من الفاطميين

شرع فى بناء هذا الأثر الكبير الخليفة الفاطمى «العزيز بالله» ٣٦٥ - ٣٨٦هـ ومات قبل أن تنتهى عمارته فأكمله من بعده ابنه الحاكم بأمر الله الذى عهد إلى وزيره «يعقوب بن كلّس» بتكملته فباشر عمارته حتى افتتح للصلاة سنة ٤٠٣هـ - ١٠١٢م، وبلغت تكاليف بنائه حوالى ٤٠ ألف دينار وهو مبلغ كبير إذا قيس على لغة عصرنا.

***

ويقسم المؤرخون خلافة الحاكم بأمر الله إلى ثلاث فترات زمنية مختلفة تمتد أولاها: من سنة ٣٨٦هـ إلى ٣٩٠هـ وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة، وكان لا يعلم فيها من أمور الخلافة شيئا لأن السلطة كانت فى يد أستاذه «برجوان» ووزيره «ابن عمار».

وتمتد ثانيتها من سنة ٣٩٠هـ إلى ٣٩٥هـ وكان للحاكم رغم حداثة سنه سلطة كبيرة فى أمور الخلافة.

وتمتد ثالثتها من سنة ٣٩٦هـ إلى ٤١١هـ وفيها كانت سياسته أكثر تذبذبا وتقلبا، ومع ذلك فقد تمتعت مصر فى عهده برخاء أدى إلى ترف البلاد ورفاهيتها.

وقد اختلفت الروايات فى سبب وفاته فقال البعض إن أخته «ست الملك» هى التى دبرت قتله لسوء تصرفه، وقال البعض الآخر إن رجلا من أهل الصعيد طعنه بسكين فمات.

شخصية مثيرة للجدل

كانت شخصية الحاكم بأمر الله مثيرة للجدل، فقد منع النساء من الخروج من البيوت وإمعانا فى ذلك أمر «الأساكفة»(١) بعدم صنع أحذية لهن، وقلب ليل القاهرة إلى نهار حيث أمر الناس بالعمل طوال الليل واللجوء إلى الراحة وقت النهار، وكان مولعا بالتنجيم واستطلاع الكواكب، وبنى لنفسه مرصدا أعلى جبل المقطم وهو نفس المكان الذى شهد نهايته، إذ يحكى أنه خرج كعادته فى إحدى الليالى متوجها إلى مرصده وأمر حينها مرافقيه على غير العادة.. بانتظاره عند سفح الجبل وصعد وحيدا هو وبغلته حيث اختفى دون أن يعثر له على أثر!!

يقول المؤرخ جمال سرور فى كتابه «مصر فى عهد الدولة الفاطمية» لم يكن الحاكم بأمر الله شريرا أو شاذا فى كل أطواره إذ أنه مال إلى التقشف والزهد فى حياته العامة والخاصة، ومنع الناس من ذكر عبارة «سيدنا» و«مولانا» فى المكاتبات الواردة إليه وحتّم عليهم أن يلقبوه بأمير المؤمنين، كما منع ضرب الطبول والأبواق حول القصر الفاطمى، ونهى عن إقامة الزينات فى طريقه إلى المصلّى الذى أقامه بجبل المقطم، وكان يخرج للصلاة فى أبسط المظاهر».

يرى بعض المؤرخين أن بعض شطحاته مقنعة وموضوعية فقد تمتعت مصر فى عهده برخاء اقتصادى كبير أدى إلى ترف ورفاهية، وبالتالى إلى الدعة والتراخى، ونوع من الفوضى الاجتماعية.. الأمر الذى رأى الحاكم معه أن يقر الآداب العامة مثل وضع حد لشرب الخمر حيث أمر ألا يشترى الفرد أكثر من أربعة أرطال من العنب فى كل مرة، وكذلك أمر بمنع ذبح البقر إلا فى عيد الأضحى رغبة منه فى تنمية الثروة الحيوانية. كما تلجأ الحكومات الحديثة إلى نفس الإجراءات حفاظا على الثروة الحيوانية(٢)، ولقد ترك لنا هذا الخليفة جامعه الكائن بحى الجمالية بداخل بوابة الفتوح.. أثرا رائعا من آثار مصر الإسلامية.

***

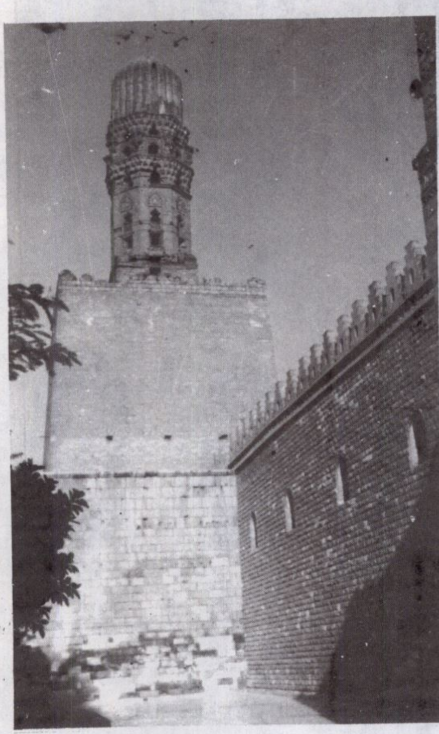

المئذنة الجنوبية للمسجد

مداخل مسجد الحاكم بأمر الله.. منقولة عن مسجد المهدية بتونس

الجهة الشرقية لصحن المسجد، وحوض مخصص للوضوء

مسجد الحاكم بأمر الله.. يبرز جماليات الفن الإسلامى فى العصر الفاطمى

عمارة المسجد

يتألف مسجد الحاكم بأمر الله من عدة أروقة أكبرها رواق القبلة الذى يشتمل على خمسة صفوف من العقود المدببة المحمولة على دعائم تشبه دعامات الجامع الطولونى وتسير موازية لجدار القبلة.

ويقطع هذا الرواق فى الوسط مجاز مرتفع يمتد من الصحن إلى المحراب حيث ينتهى أمامه بقبة، كما نجد فى طرفى بلاطة المحراب الشمالى الشرقى، والجنوبى الشرقى قبتين كما هو الحال فى الجامع الأزهر.

ويتميز هذا الجامع بجدرانه السميكة المشيدة بخليط من الحجارة والآجر فيما عدا الأجزاء الظاهرة من البوابة الغربية فهى من الحجارة المصقولة، وكان يعلو واجهات الصحن صف من الشرفات الهرمية المدرجة.

ويشير مصلح رجب - مدير آثار شارع المعز - إلى أن جامع الحاكم بأمر الله يحتوى على ثلاثة عشر مدخلا..خمسة بالواجهة الغربية وثلاثة بالواجهة الشمالية ومثلها بالواجهة الجنوبية، ومدخلين بجدار القبلة، ومن بين هذه المداخل ثلاثة مداخل بارزة تتوسط الواجهات الشمالية والجنوبية والغربية.

أما المدخل الرئيسى فيتوسط الواجهة الغربية ويعد أقدم مدخل بارز فى عمارة مصر الإسلامية، فهو يتألف من برجين ضخمين

من الحجارة المصقولة يبلغ طول كل منهما ثمانية أمتار وعرضه ستة أمتار.

ومن المعروف أن هذا النوع من المداخل البارزة منقول عن مسجد المهدية بتونس الذى يرجع إلى أوائل القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادى. كما توجد هذه المداخل البارزة فى مسجد السلطان بيبرس البندقدارى.

ويضيف مدير آثار شارع المعز أن منارتى المسجد قد شيدتا من حجارة مصقولة باستثناء الأجزاء العليا التى شيدت من الآجر بعد زلزال سنة ٧٠٢هـ - ١٣٠٣م الذى ضرب أعلى المئذنتين، وتتكون المئذنة الجنوبية من ثمانية طوابق مُثمنة تتدرج فى ارتفاعها تدرجا ملحوظا وتتميز هذه المنارة بكثرة زخارفها النباتية والهندسية.

أما المئذنة الشمالية فتتكون من قاعدة مربعة يعلوها ثلاثة طوابق اسطوانية مستديرة يقوم فوقها أربعة طوابق مثمنة من الآجر ويتوج قمتها قبة مضلعة، وهذه المنارة تفوق المنارة الجنوبية طولا إذ يصل ارتفاعها إلى حوالى ستة وأربعين مترا فوق سطح الأرض أى بزيادة خمسة أمتار عن المنارة الجنوبية.

اصلاحات عديدة

يقول علاء عاشور - مدير آثار خان الخليلى - : طرأ على هذا الأثر كثير من أعمال الإصلاح والترميم ففى سنة ٧٠٢هـ - ١٣٠٣م حدث زلزال كبير بمدينة القاهرة، أدى إلى تهدم عقود المسجد والأكتاف الحاملة لها وإلى سقوط السقف وقمتى المئذنتين، فكلف السلطان الناصر محمد بن قلاوون «بيبرس الجاشنكير» بترميمه وإصلاحه، وأثبت ذلك على لوحة رخامية بأعلى الباب الرئيسى ولاتزال آثارها باقية حتى اليوم فى قمتى المئذنتين اللتين بنيتا على شكل قمة مئذنة خانقاه «بيبرس الجاشنكير» بالجمالية، واحتفظت رقبة القبة التى تعلو المحراب فى المجاز القاطع ببعض الشبابيك الجصية من هذه العمارة إلى جانب بعض الشبابيك الجصية الأصلية التى ترجع إلى عمارة الحاكم، وقد رمم الجامع أيضا سنة ٧٦٠هـ - ١٣٥٨م.

مئذنتا المسجد من أروع آيات الفن والزخرفة التى شهدتها الحضارة الإسلامية

وفى سنة ١٢٢٣هـ - ١٨٠٨م قام السيد عمر مكرم - نقيب الأشراف - بتجديد أربعة أروقة فى إيوان القبلة وجعلها بيتا للصلاة، ثم كُسِىَ المحراب بالرخام ووضع إلى جواره منبرا.

غير أن جامع الحاكم بأمر الله قد شهد فى العصر الحديث أكبر عملية ترميم وصيانة مرت به منذ إنشائه على أيدى طائفة «البهرة» التى رصدت له مبلغا كبيرا من المال لإعادته إلى حالته الأولى التى كان عليها وقت تشييده.

***

هذا هو مسجد الحاكم بأمر الله الذى يبرز جماليات الفن الإسلامى فى العصر الفاطمى. وصدق الحق إذ يقول: ﴿إنما يُعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ التوبة: آية ١٨.

الهوامش:

١ - جمع إسكاف وهو صانع الأحذية أو مصلحها.

٢ - مساجد مصر وأولياؤها الصالحون أ. د. سعاد ماهر - الجزء الأول ص٢٣٣.

قال تبارك وتعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ صدق الله العظيم

شريعة العدل

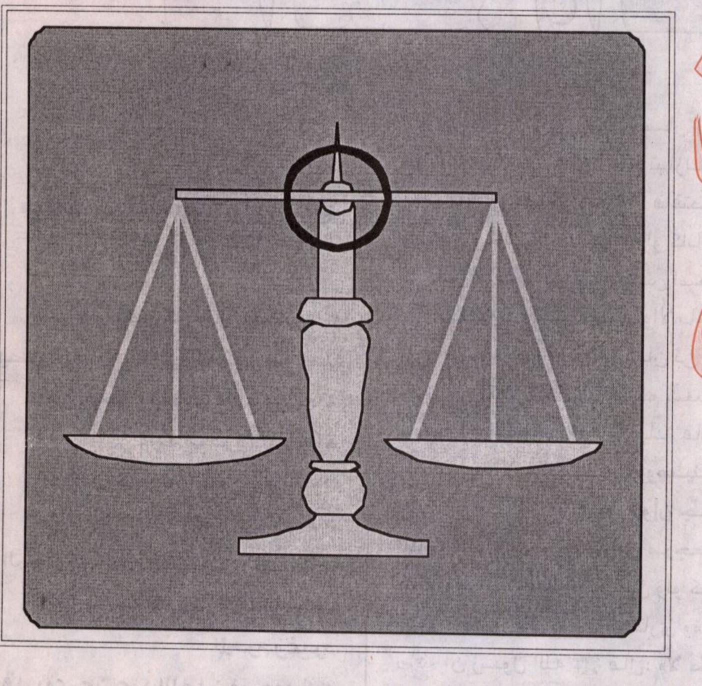

شعر / عمر موسى
موسى البرعى

إن العدالة فى الدنيا بأجمعها — فرض من الله فيها الظلم ينتحب
بالعدل ساد الوجود الأمن فى زمن — فكان صرحا من الآمال ينتصب
من ظن يوما بأن الظلم مفخرة — فذلك الحمق والتضليل والكذب
يا ظالم الناس إن الظالمين لهم — يوم القيامة فى النيران منقلب
ظلمت نفسك بالتضليل معتقدا — أن الضلال حليف شأنه عجب
وقد ظننت بأن العدل منقصة — وأنه للمخازى والخنا سبب
راع الإله فإن الله مُطَّلع — من اتقى ربه دانت له السحب
واحذر من الظلم إن النار مهلكة — وقودها الناس والأحجار والحطب
فالحر من خشى الرحمن متعظا — وهو الذى مجدت أوصافه الكتب
فاحرص على العدل إن العدل مكرمة — إن الحكيم لشرع الله منتخب
إن الذين أقاموا العدل موطنهم — دار السلام فلا همّ ولا تعب

قطوف البر والصلة

محمد سيد أحمد على الدين

البرُّ هو عمل كل خير يفضى - أى يصل - بصاحبه إلى الجنة، أما الصلة فهى درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة.

والبرُّ يكون للوالدين، أما الصلة فتكون للأرحام.

والرحم كما قال القرطبى: اسم لكافة الأقارب، من غير فرق بين الرحم المحرم وغيره.

وقد روى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حُسنا﴾ العنكبوت: آية ٨، قال: «سألت النبى ﷺ أى العمل أحب إلى الله - عز وجل -؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أىُّ؟ قال: ثم برُّ الوالدين، قلت: ثم أىُّ؟ قال الجهاد فى سبيل الله، قال: حدَّثنى بهن، ولو استزدته لزادنى» رواه الإمام البخارى.

وبرُّ الوالدين يكون بالإحسان إليهما، وفعل الجميل معهما، وفعل ما يسرهما، وقد قال الحق تبارك وتعالى: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا﴾** الأحقاف: آية ١٥، فاقتضت الآية الكريمة الوصية بالوالدين عموما، والأمر بطاعتهما، ولو كانا كافرين، إلا إذا أمرا بالشرك، كما كان من أم سعد بن أبى وقاص لسعد.

فقد روى الإمام أحمد والإمام مسلم والترمذى - أن أم سعد بن أبى وقاص، حمنة بنت سفيان بن أمية، وهى ابنة عم أبى سفيان بن حرب بن أمية - حلفت لا تكلم سعدا أبدا حتى يكفر بدينه، وقالت له: زعمت أن الله أوصاك بوالديك، فأنا أمك، وأنا آمرك بهذا.

فنزلت الآية الكريمة **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا﴾** وتتمة الآية من سورة العنكبوت **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلىَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾** آية ٨، فالأمر بالإحسان للوالدين ولو كانا كافرين لا يقتضى طاعتهما فى الأمر بالكفر، فقد روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى: عن علىّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا طاعة لأحد فى معصية الله، إنما الطاعة فى المعروف»**.

وروى الإمام أحمد والحاكم عن عمران والحكم بن عمرو الغفارى - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **«لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»**.

ويدخل فى الإحسان إلى الوالدين وبرهما الإحسان وإكرام صديقهما، وقد جاء ذلك فى آداب العرب شعرا:

أكرم خليل أبيك حيث لقيته
ولقد عققت أباك إن لم تفعل

حسن الصحبة:

عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: جاء رجل - قيل هو معاوية بن حيدة رضي الله عنه - إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، **«من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال أبوك»**. رواه الإمام البخارى والإمام مسلم وابن ماجة.

وفى تكرار الأم ثلاثا إشارة إلى أنها تستحق النصيب الأوفر من البر والإحسان بل بمقتضاه: كما قال ابن بطال؟ أن يكون لها ثلاثة

أمثال ما للأب من البر، وكأن ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع، فهذه الأمور الثلاثة تنفرد بها الأم وتشقى بها ثم بعدها تشارك الأب فى الرعاية والتربية وفى ذلك إشارة إلى قول الحق تبارك وتعالى: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىَّ المصير﴾** لقمان: آية ١٤ حيث سوى بينهما فى الوصاية ثم خص الأم بالأمور الثلاثة (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ١١ ص١٣ وما بعدها.

أكبر الكبائر الرجل يسُبُّ والديه

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يارسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يَسُبُّ الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه»** رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى.

من هذا الحديث الشريف نعلم أن الكبائر متفاوتة بعضها أكبر من بعض، وإنما كان السب والشتم واللعن من الكبائر لأنها نوع من العقوق وهو الإساءة فى مقابل الإحسان، والأصل فى ذلك الحديث الشريف قول الحق تبارك وتعالى: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾** الأنعام: آية ١٠٨.

من وصل رحمه وصله الله

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرَّحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك. قالت: بلى يارب. قال: فهو لك.**

قال: قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾.

محمد: آية ٢٢، رواه البخارى ومسلم.

صلة الوالد المشرك

عن أسماء بنت أبى بكر الصديق - رضى الله عنهما - قالت: أتتنى أمى - (أمها قُتيلة بنت عبدالعزى بن أسد - واسمها عند الزبير بن بكار قيلة) - وهى راغبة فى عهد النبى ﷺ - أى راغبة فى برى وصلتى مع شركها - فسألت النبى ﷺ أصلها؟ وفى رواية أخرى «أفأصل أمى» قال ﷺ **نعم صلى أمك**. قال سفيان بن عيينة: فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾** الممتحنة: آية ٨.

وكذلك وصل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخا له من أمه يسمى عثمان ابن حكيم بحلة أهديت إليه من الحرير وكان ذلك قبل إسلام أخيه عثمان.

قاطع الرحم لا يدخل الجنة

عن جبير بن مطعم بن عدى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة قاطع رحم»** رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى.

ومن المعروف أن المطعم بن عدى كانت له يد عند رسول الله ﷺ لأنه الذى كان أجار رسول الله ﷺ حين قدم من الطائف من دعاء ثقيف وقد أسلم جبير بين الحديبية والفتح ومات فى خلافة معاوية.

الإحسان إلى الأقارب

عن أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«من أحب أن يبسط له فى رزقه، وينسأ له فى أثره - فليصل رحمه»** رواه البخارى ومسلم.

والمعنى أن صلة الرحم تكون سببا فى بسط الرزق والبركة فى العمر، الذى يبعث على الترحم لصاحبه والدعاء له بعد موته.

والرحم التى توصل عامة: وهى رحم الدين: وتجب مواصلتها بالتواد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة من إجابة الدعوة وإقراء السلام.. وغيرها.

ورحم خاصة: وهى صلة أولى القربى وتزيد على ما تقدم بالنفقة على القريب المعسر وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم لذا فثوابها الدخول فى رحمة الخالق تبارك وتعالى.

وذلك قول الحق تبارك وتعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾** النساء: آية ٣٦.

أنت تسأل والفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

القمر والسموات السبع

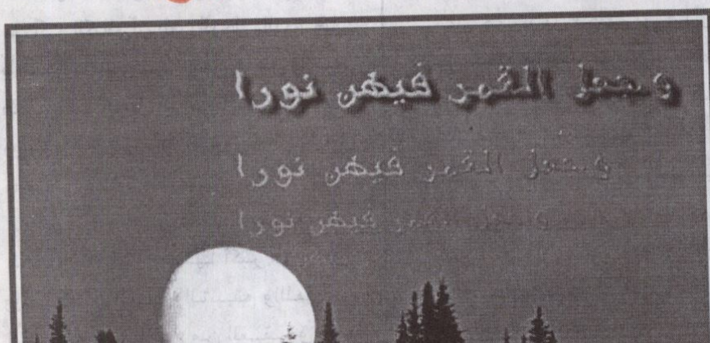

السؤال من القارئ/ ن. أ. م، من محافظة القاهرة، يقول:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا﴾ نوح: آية ١٥، ١٦.

فهل القمر فى السموات السبع أم فى مدار الكواكب؟ حيث يدعى البعض أن هناك خطأ علميا فى الآية؟

الجواب: جاء فى تفسير القرطبى لقوله تعالى: ﴿وجعل القمر فيهن نورا﴾ أى فى سماء الدنيا، كما يقال: أتانى بنو تميم، وأتيت بنى تميم، والمراد بعضهم، قاله الأخفش، قال ابن كيسان: إذا كان فى إحداهن فهو فيهن، وقال قطرب «فيهن» بمعنى معهن، وقاله الكلبى، أى خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والأرض، وهناك جواب آخر: أنه يروى أن وجه القمر إلى السماء، وإذا كان إلى داخلها فهو متصل بالسماوات.

هذا ما قاله المفسرون، ولعل فى العلوم الحديثة ما يوضح معنى الآية، وإذا وصل العلم إلى حقيقة فهو لا يتعارض مع النص القرآنى عند الفهم الصحيح.

نقصان الأرض

السؤال من القارئ/ أ. م. أ. من محافظة القاهرة، يقول: يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾ الرعد: آية ٤١، فهل تنقص الأرض وكيف؟

الجواب: هذه الآية من سورة الرعد: آية ٤١، وقيل فى تفسيرها: إن المراد بالنقص من أطرافها هو موت العلماء والصالحين، فالأطراف هم الأشراف كما قال ابن عباس والقشيرى، وقيل: المراد ما يغلب عليه المسلمون مما فى أيدى المشركين كما فى رواية عن ابن عباس، وعنه أيضا هو خراب الأرض حتى يكون العمران فى ناحية منها، وقال عطاء بن أبى رباح: المراد ذهاب الفقهاء وخيار أهلها، وهو موافق لرأى ابن عباس وارتضاه كثير من المفسرين.

ومعنى الآية: أو لم تر قريش هلاك من قبلهم وخراب أرضهم بعدهم، أفلا يخافون أن يحل بهم مثل ذلك، وقيل: المراد نقص بركات الأرض وثمارها، وذلك بجور أهلها، والقرطبى صحح هذا القول، لأن الظلم يخرب البلاد بقتل أهلها وانجلائهم عنها ورفع البركة من الأرض.

وما يقال الآن: إنه دليل على أن كروية الأرض ليست تامة، بل هى مفرطحة من الجانبين فهو غير قطعى، وليس مناسبا للمقام، حيث تتحدث الآيات عن وعيد الله للكافرين، وعما حدث للماكرين الكافرين من قبلهم، فأولى أن يفسر النقص من أطراف الأرض بإهلاك الكفار والجبابرة فى أية بقعة من بقاع الأرض.

الله جل جلاله

السؤال من القارئ، وائل فؤاد، من الجيزة، يقول: ما معنى: الله جل جلاله؟

الجواب: من مادة الجلال جاء فى نهاية ابن الأثير فى أسماء الله تعالى ذو الجلال والإكرام، الجلال العظمة، ومنه الحديث **«أجلوا الله يغفر لكم»**، أى قولوا: ياذا الجلال والإكرام، وقيل: أراد عظّموه، ومن أسماء الله تعالى الجليل وهو الموصوف بنعوت الجلال، والحاوى جميعها هو الجليل المطلق، وهو راجع إلى كمال الصفات. كما أن الكبير راجع إلى كمال الذات والعظيم راجع إلى كمال الذات والصفات. لعل فى هذا النقل إجابة للسؤال.

سب الدهر

السؤال من القارئين/ د. محمود أبو النصر، من دسوق، ومن وائل فؤاد، من المنيل، يقولان:

ماهو سب الدهر وكيف تكون عباراته لتجنبها وحكمة النهى عنه فى الإسلام؟

الجواب: سب الدهر يكون بعبارات مختلفة تدل على الضيق منه ولعنه واحتقاره، ولا يلجأ إليه إلا من وقع فى أزمة شديدة لا يجد خلاصا منها، وبخاصة إذا وجد غيره من الناس يتمتع بكل أنواع النعيم.

والرسول ﷺ نهى عن لعن أى شىء كما رواه أبو داود والترمذى فقال: «من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه»، والذى يلعن الزمان أو المكان خالف هدى الرسول ﷺ فى النهى عن اللعن وبخاصة الدهر، جاء فى حديث البخارى ومسلم «قال الله تعالى: **يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر، بيدى الليل والنهار**»، وفى رواية: **«أقلب ليله ونهاره، وإذا شئت قبضتهما»**، وفى رواية لمالك: **«لا يقل أحدكم يا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر»**.

يقول الحافظ المنذرى: معنى الحديث أن العرب كانت إذا نزلت بأحدهم نازلة أو أصابته مصيبة أو مكروه يسب الدهر، اعتقادا منهم أن الذى أصابه هو فِعْلُ الدهر، فكان هذا كاللعن للفاعل، ولا فاعل لكل شىء إلا الله تعالى خالق كل شىء، فنهاهم النبى ﷺ عن سب الدهر، لأنه مدرجة لسب فاعل الأمور وخالقها وهو الله تعالى.

الجلالة

السؤال من القارئ/ وليد شحاتة، من العياط، بمحافظة الجيزة، يقول:

هل نهى الرسول ﷺ عن أكل الجلاّلة أو شرب لبنها، وماهى الجلاّلة؟

الجواب: وردت عدة أحاديث تنهى عن أكل الجلالة وشرب ألبانها، منها حديث رواه أصحاب السنن إلا النسائى، وحسنه الترمذى، **والجلاّلة هى كل ما يتناول العذِرة** - بكسر الذال - والأرواث، وهى تشمل الإبل والبقر والغنم والدجاج والأوز وغيرها من كل ما يتناول هذه المواد - ولا يطلق عليها وصف الجلالة إلا إذا كان غالب علفها من النجس كما جزم به النووى، يقول الخطابى: فأما إذا رعت الكلأ واعتلفت الحَب وكانت تتناول مع ذلك شيئا من الجلة - أى البعر - فليست بجلاَّلة.

ومناط النهى هو وجود رائحة النجاسة، وتغير طعم اللحم أو اللبن أو البيض، وذلك تابع فى الغالب إلى كثرة ما تعلف به الدابة من النجاسة أو قوة تأثيره، يقول الدميرى فى كتابه «حياة الحيوان الكبرى»: إن لم يظهر بسبب ذلك تغير فى لحمها فلا تحريم ولا كراهة.

وإذا وجدت الرائحة أو تغير الطعم وقال العلماء يمنع تناول اللحم وما ينتج عنه فما هى درجة المنع، هل هى الحرمة أو الكراهة؟ قال بعض العلماء بالحرمة وقال البعض بالكراهة، وإذا كانت العلة هى الطعم والرائحة فكيف تزول هذه العلة؟ قال جماعة: يكفى زوالها بأية وسيلة، وقال آخرون لابد من حبس الدابة مدة حتى تزول الرائحة، مع إعطائها علفا طيبا، وقال بعض يكفى غسل لحمها غسلا جيدا.

الموضوع طويل فى المجلد الأول من «أحسن الكلام» خلاصته أن الدواب التى يخلط علفها بمادة نجسة ولم يظهر فساد فى لحمها أو لبنها أو بيضها ولا ضرر فى تناوله - لا يحرم أكل ذلك ولا يكره، لزوال علة النهى وهى الفساد، أما إن كان علفها كله من مادة نجسة وظهر فساد اللحم أو اللبن أو البيض فالخلاف موجود بين الحكم بالحرمة أو الكراهة التحريمية أو التنزيهية، وإن لم يكن فساد فلا حرمة، والأولى علفها بمادة طيبة مدة من الزمان حتى تقبل النفس عليها، وكلام الأطباء والمختصين فى هذا المقام له وزنه إن أجمعوا عليه.

هلاك فرعون

السؤال من قارئ/ يقول:

قال الله تعالى: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾ يونس: آية ٩٢، فلماذا بقى فرعون ببدنه؟ وأين محل غرقه؟ وأين يوجد الجسد الآن؟ وهل يستحب النظر إليه؟ وهل حقا أسلم فرعون عند الغرق؟

الجواب: الإجابة فى عدة نقاط:

١ ـ بقى فرعون ببدنه ليكون عبرة للناس عندما يعثرون عليه، كما نصت عليه الآية.

٢ ـ ومحل غرقه يقول عنه القرطبى فى تفسيره هو بحر القلزم ـ البحر الأحمر وخليج السويس.

٣ ـ الجسد الآن موجود فى المتحف المصرى، انظر بحثا عميقا عن موسى للشيخ فكرى ياسين فى مجلة الأزهر ـ المجلد العاشر ص٣٠١، المجلد ٣٤ ص٧٤٢.

٤ ـ لا مانع من النظر إليه للعبرة.

٥ ـ لم يسلم إسلاما صحيحا، بل نطق بالإسلام فى اللحظات الأخيرة من حياته، ولا يعتد بهذا النطق وقد نصت عليه الآية **﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾** فرد عليه رب العزة بقوله: **﴿ءالآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾**، ويؤكد أن الإسلام فى هذه اللحظة غير مقبول قوله تعالى **﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار﴾** النساء: آية ١٨.

كفالة اليتيم

السؤال من القارئة/ منال متولى، تقول:

هل كفالة اليتيم ببذل المال فقط للجمعيات الخيرية يحصل بها الأجر المترتب فى حديث النبى ﷺ: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين». وهل تحسب من زكاة المال؟

الجواب: كفالة اليتيم تشمل كل ما يحتاجه من غذاء وكساء وسكن وعلاج وتعليم، تماما كالأولاد يلزم أبوهم أن يرعاهم الرعاية الكاملة، وفى السؤال تشمل الكفالة رعاية الدار التى تجمعهم والمدرسين الذين يعلمونهم والكتب التى تلزمهم والعلاج الكافى لكل ما يؤلمهم ماديا ونفسيا.

والجمعيات الخيرية هى وكيلة عن الأفراد الذين يقدمون لها الأموال والإعانات وغيرها، ويجب عليها أن تلتزم بكل ما يكفل حياة طيبة لليتامى ولمؤسسى هذه الجمعيات ثواب فى ذلك، وهذه الأموال المدفوعة يمكن أن تكون من الزكاة، لأن الغالب فى الأيتام أنهم فقراء، وهناك فصل خاص لرعاية اليتامى فى الجزء الرابع من موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام.

حد الفقر

السؤال من القارئ/ أحمد إبراهيم، يقول:

ماهو حد الفقر الذى يجوز معه الأخذ من الزكاة فى زماننا هذا؟

الجواب: حد الفقر فى استحقاق الزكاة فيه آراء، فعند الأحناف: الفقير هو الذى يملك أقل من النصاب الشرعى فى الزكاة أو يملك نصابا غير تام يستغرق حاجته، والمسكين هو الذى لا يملك شيئا أصلا، وعند المالكية الفقير هو من يملك من المال أقل من كفاية العام فيعطى من الزكاة ولو ملك نصابا، وتجب عليه زكاة هذا النصاب، والمسكين هو من لا يملك شيئا أصلا، فهو كما عند الحنفية أسوأ حالا من الفقير.

وعند الحنابلة: الفقير هو من لم يجد شيئا، أو لم يجد نصف كفايته، والمسكين هو من يجد نصف حاجته أو أكثر، فالفقير أسوأ حالا من المسكين.

وعند الشافعية: الفقير هو من ليس له مال أصلا ولا كسب من حلال، أوله مال أو كسب من حلال لا يكفيه بأن كان أقل من نصف الكفاية، والمسكين هو من قدر على مال أو كسب حلال يساوى نصف ما يكفيه أو أكثر، فالفقير أسوأ حالا من المسكين. هذا ما جاء فى كتاب «فقه المذاهب الأربعة» نشر أوقاف مصر.

حبس الحيوان واللهو به

السؤال من القارئ/ أبو بكر عبدالحميد حسن، من أولاد يحيى الحاجر، يقول:

هل حرام حبس الحيوانات فى حديقة قياسا على أن الإنسان لا يستطيع العيش فى مكان محبوس فيه دائما؟

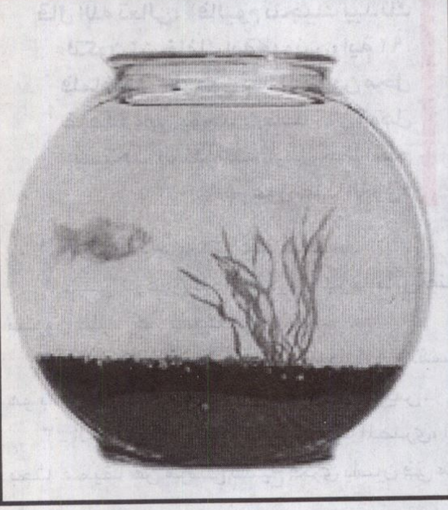

الجواب: فى المجلد الأول من «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» تحدثت عن حكم حبس الطيور والأسماك للزينة، وبينت أن الأصل فى ذلك أنه حلال مادام ذلك فى حدود الشرع وبشروط، ومن هذه الشروط ألا يقصد التفاخر بها والخيلاء، وألا يلهى التمتع بها عن واجب من الواجبات، وألا يهمل فى رعايتها من حيث الغذاء ونحوه، وقد ورد فى الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لى أخ لأمى فطيم يقال له عمير، فكان الرسول إذا جاءنا قال: **«ياأبا عمير ما فعل النغير»** وعمير تصغير عمر أو عمرو، والفطيم بمعنى المفطوم، والنُّغَيْر تصغير نُغر، وهو طير كالعصافير حمر المناقير، وأهل المدينة يسمونه البلبل.

قال الدميرى فى كتابه «حياة الحيوان الكبرى»: فى الحديث دليل على جواز لعب الصغير بالطير الصغير، وقال أبو العباس القرطبى: لكن الذى أجازه العلماء هو أن نمسك له وأن يلهو بحبسه، وأما تعذيبه والعبث به فلا يجوز.

ومنع ابن عقيل الحنبلى من ذلك وجعله سفها وتعذيبا، يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: تجىء العصافير يوم القيامة تتعلق بالعبد الذى كان يحبسها فى القفص عن طلب أرزاقها وتقول: يارب هذا عذبنى فى الدنيا - والجواب أن هذا فيمن منعها المأكول والمشروب، وقد سئل القفال عن ذلك فقال: إذا كفاها المؤونة جاز، بل فى الحديث دليل على جواز قنصها - صيدها - للعب الصبيان بها، وكان بعض الصحابة يكره ذلك، ورأيت لأبى العباس أحمد بن القاص مصنفا حسنا فى ذلك.

ويؤخذ مما ذكره الدميرى أن حبس الطيور للزينة وغيرها جائز مادام يكفيها مؤونتها، ومادام لا يعذبها، ومن كره ذلك من بعض العلماء محله عند التقصير والإيذاء، والكراهة على كل حال لا تعنى الحرمة، فالحرام معصية يعاقب عليها، والمكروه ليس معصية ولا يعاقب عليها، وحكم الطير يسرى على الأسماك المتخذة للزينة فى أحواض ضيقة ليست فى سعة الأنهار والبحار، وكذلك على الحيوانات فى الحدائق المعدة لها، وقد حبست فى أقفاص أو أبنية ليست فى سعة الصحراء والغابات التى كانت تعيش فيها من قبل.

ومن المعلوم أن حدائق الحيوانات بهذه المواصفات لها فوائد كثيرة، علمية واقتصادية وترفيهية وغيرها، وليس فيها ضرر على الحيوانات بتصرف عابث، كعدم تغذيتها أو ضربها ضربا مبرحا لا فائدة منه.

□ أ. حسين السكرى □

فضائل سورة الملك

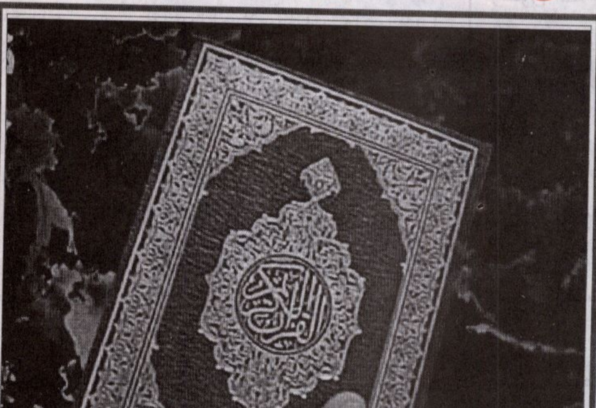

للقارئ/ محمد أحمد الديب.

قال رسول الله ﷺ: «**إن فى القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، تبارك الذى بيده الملك**»، وقال أيضا هى المانعة هى المنجية تنجى من عذاب القبر، وقال ﷺ: «**وددت أنها فى قلب كل مؤمن، تبارك الذى بيده الملك**».

وقال ابن عباس لرجل: «**اقرأ تبارك الذى بيده الملك واحفظها وعلمها أهلك وجيرانك فإنها المنجية من عذاب القبر والنار**».

وقال ﷺ: ««**سورة من كتاب الله ماهى إلا ثلاثون آية شفعت لرجل وأخرجته يوم القيامة من النار وأدخلته الجنة هى سورة تبارك، وهى ثلاثون آية وثلثمائة وثلاث وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة وواحد وعشرون حرفا**»، وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه - وكرم الله وجهه -: «**من قرأها يجىء يوم القيامة على أجنحة الملائكة وله وجه فى الحسن كوجه يوسف عليه السلام**».

***

تبارك الله الذى بيده القوة والقدرة والهيلمان والبطش والعفو والحلم والسماح والرضا والنعيم الكبير المتعالى الذى لا يغلبه غالب، وإذا تدبرنا فضائل هذه السورة الكريمة المباركة وما فيها من خيرات فلا يسعنا إلا أن نحفظها عن ظهر قلب ونرددها صباح مساء، فمن منا يترك هذه السورة المنجية والتى تخرج صاحبها وقارئها من النار وتدخله الجنة؟ لا أعتقد أن أحدا لا يرضى عن ذلك بل ويفكر فيه دائما.

حسن الخلق

للقارئ/ شوقى السعيد حامد سليمان ـ المطرية ـ دقهلية.

قال الله تعالى: **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**، فحسن الخلق أصل فاضل عظيم النفع أساسه الصبر والحلم وآثاره العفو عن الزلات ومقابلة السيئات بالحسنات، وهو أنا نأخذ ما صفى لنا من أخلاق الناس واغتنم ما وجد منها وغض النظر عما تعذر تحصيله منهم وعن نقصها وكدرها، ومعنى ذلك أن نشكر الناس على ما جاء منهم من الخير والإحسان وما سمحت به طباعهم من الخلق الطيب، أما من كان يريد من الناس أن يكونوا كاملين لكل ما يحب ويستحب وإذا أخلوا بشىء عاقبهم وأهدر ما جاء منهم من الخير والإحسان فهو عن حسن الخلق بعيدا وسيكون معهم فى عتاب ونزاع، إنما الحازم من يؤهل نفسه على تقصير المقصرين والناقصين، قال رسول الله ﷺ: **«لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها خلقا آخر»**، فهذا أمر بالإغضاء عما فيها من العيوب ويكون نظره إلى ما فيها من المنافع والمحاسن ويجعله شفيعا لها وبذلك تدوم الحياة والصحبة الطيبة والصفاء، ويقل النزاع والخصام، وعلينا أن نقيس على هذا جميع المعاملات والحقوق والواجبات فى جميع المعاملات، قال رسول الله ﷺ: **«إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم»** حديث صحيح، إن صاحب الخلق الحسن يسهل عليه إدراك المطالب وتلين له كل القلوب.

***

مالا يدرك كله لا يترك كله وإدراك الكمال من المحال، فالكمال لله وحده ـ عز وجل ـ فلابد أن يغض الإنسان الطرف عن الهفوات اليسيرة والعثرات السهلة حتى تدوم عشرته بين الناس وحتى لا يجافيه أحد ولا يكدر صفوه إنسان وتكون الحياة لينة وصافية بينه وبين الجميع، ومن هنا يعيش آمنا مطمئنا راضى النفس مرموق الجانب.

امرأة مطابقة للمواصفات

للقارئ/ محمد السيد محمد أحمد ـ سوهاج ـ جرجا ـ كوم الصعايدة ـ آل عمر.

سئل أعرابى حكيم: كيف تريد امرأتك؟ فأجاب: أريدها لا بالجميلة فيطمع فيها غيرى ولا بالقبيحة فتكرهها نفسى، ولا بالطويلة فأرفع إليها رأسى، ولا بالقصيرة فأطأطئ لها عنقى، ولا بالسمينة فتسد علىّ منافذ الهواء، ولا بالهزيلة فأحسبها عصا، ولا بيضاء فتكون كالشمع، ولا سوداء فتكون كالشبح، ولا بالجاهلة فلا تفهمنى، ولا بالغنية فتقول: مالى وثروتى ولا بالفقيرة فأشقى بفقرها وحدى، وقد ظل هذا الأعرابى يبحث طيلة حياته عن امرأة مطابقة لهذه المواصفات فلم يجدها، ولو تخلى قليلا عن هذه المواصفات وبحث عن ذات الدين وظفر بها تربت يداه وأراح واستراح.

***

لقد فات هذا الأعرابى الحكيم أن ديننا دين الوسطية فى كل شىء، فلو أخذ بالوسطية ولم يقحم فى حديثه البيضاء والسوداء والطويلة والقصيرة والغنية والفقيرة، والجاهلة لوجد ضالته المنشودة واضعا فى اعتباره أول ذات الدين التى تصون عرضها وتحفظ فرجها وتطيع زوجها ولا تخدل فى مالا يعنيها ولا تكون وسواسة دساسة ولا نمامة مغتابة، وبهذا يكون قد جنى الثمرة وحظى بالمراد.

الحياء خير كله

للقارئ/ أبو العباس فخرى سعد محمد - كفر العلوى - تلا - منوفية.

قد يمزج بعض الناس بين الحياء وبين أمور أخرى أو أن هناك تعارضاً بين الحياء وصفات أخرى وذلك مثل ظن البعض أن الحياء صورة من صور الضعف لكن الحياء فى الإسلام هو شعبته العظيمة والجليلة حيث قال رسول الله ﷺ: **«الحياء خير كله»** رواه البخارى.

وقال ﷺ: **«الحياء لا يأتى إلا بخير»** رواه مسلم، وقال أيضا: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»** رواه الطبرانى وحسنه السيوطى، **وأنواع الحياء كالآتى:** الحياء من الله - عز وجل - لأنه إن لم يكن يرى الله فإن الله يراه، قال رسول الله ﷺ لأحد أصحابه: **«أوصيك أن تستحى من الله - تعالى - كما تستحى من الرجل الصالح من قومك»** رواه الطبرانى.

ثم الحياء من الناس حيث قال رسول الله ﷺ: **«من لا يستحى من الناس لا يستحى من الله»**، ثم الحياء من النفس فقد قال رسول الله ﷺ: **«ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت»**، ومن هنا نجد أن الحياء لابد أن يكون لازما لكل مسلم ومسلمة، فلابد من التحلى به فى كل وقت وحين لاسيما أننا فى عصر قد طغت فيه الماديات واهتم كثير من الناس بأمور دنياهم وابتعدوا عن الآخرة والدين.

***

كل هذه الشعب التى أشار إليها رسول الله ﷺ لازمة وضرورية ولا غنى عنها؛ فإذا لم يستح العبد من ربه وخالقه ورازقه فكيف يستحى من غيره وأين إسلامه وإيمانه بالله - عز وجل - وإذا لم يستح من الناس فكيف يتعامل معهم وهم يعرفون عنه هذه الصورة؟ ثم متى يقف مع نفسه ليحاسبها إذا لم يترك الآثام والنزوات والملذات بشتى أنواعها؟

مسابقة منبر الإسلام الدينية - المحرم ١٤٢٦هـ (٥)

السؤال :إن من تمام الإعجاز أن ينجى الله نبيه بعنكبوت لا يدفع عن نفسه فيدفع الله به الشر عن نبيه وبحمامة لا تحمى نفسها فحمى الله بها رسوله.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... **اسم الكاتب :** ....

العنـــوان : ....

العمـــل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفـــون :** ....

تاريخ الميلاد : ....

رقم البطاقـــة: .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة العمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٥هـ حتى شعبان ١٤٢٦هـ

بريد التعارف

الاسم : محمود سلامة محمود الهايشة
الهواية : ترجمة وتبسيط العلوم - الكتابة الإسلامية
العنوان : ٩ ش الشهيد صلاح عويس من ش الثانوية - المنصورة

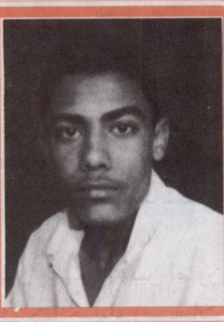

الاسم : محمد سويلم محمد سويلم
الهواية : قراءة القرآن الكريم - الاطلاع الدينى الخطابة
العنوان : طليا - أشمون منوفية

الاسم : حمدته مهدى عمارة أحمد
الهواية : كتابة الشعر والزجل والاطلاع الدينى
العنوان : كوم بلال - نقادة - قنا

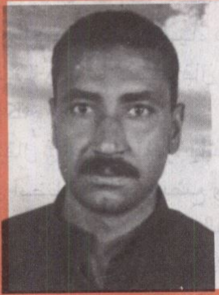

الاسم : السيد هريدى عبدالحافظ
الهواية : الاطلاع والمراسلة
العنوان : المواطين - طما - سوهاج

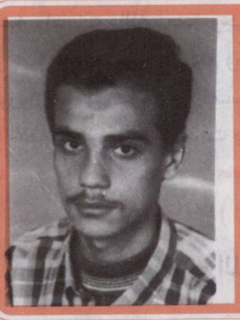

الاسم : محمد سعد الدين عبدالعزيز
الهواية : الخطابة والاطلاع الدينى
العنوان : ميت يعيش - ميت غمر - دقهلية

الاسم : محمد سمير سعد
الهواية : حفظ القرآن الكريم
العنوان : الفشن - ش الشرفاء - محافظة بنى سويف

الاسم : بشير على غطاس
الهواية : المراسلة والتعارف
العنوان: ادكو - محافظة البحيرة - مدرسة ادكو الاعدادية العامة للبنات

الاسم : رضا أبو الحسن خليل
الهواية : قراءة القرآن حفظ الحديث
العنوان : محلة قليس - شبراخيت - بحيرة

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

- □ **كلمة التحرير** ١
- □ **حديث الشهر** (الهجرة المطلوبة فى أيامنا) .... بقلم أ. د. عبدالصبور مرزوق ٢
- □ **القرآن الكريم وعلومه** ٥
- ● تفسير سورة النبأ .... أ. د. محمد سيد طنطاوى ٦
- ● انتشار ترجمات معانى القرآن الكريم .... السيد أحمد أبو الفضل ٩
- ● مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامى والغرب.. وفاق أم صدام؟ .... أ. د. محمود حمدى زقزوق ١٥
- ● صور تاريخية فى مجلس أسامة بن منقذ .... أ. د. محمد رجب البيومى ٢٠
- ● الطريق إلى محمد ﷺ .... فتحى الإبيارى ٢٨
- □ **فى رحاب الهجرة النبوية الشريفة** ٣١
- ● الهجرة.. العيد الإسلامى الأكبر .... أ. د. محمد عبدالمنعم خفاجى ٣٢
- ● من وحى الهجرة النبوية .... فضيلة الشيخ: محمد عبدالمجيد زيدان ٣٧
- ● دروس من الهجرة .... فضيلة الشيخ: فكرى حسن إسماعيل ٤٠
- ● أم سلمة ذات الهجرتين .... سعيد صالحة ٤٣
- ● الأرقم بن أبى الأرقم ودار الإسلام الأولى .... د. الشبراوى محمد عبدالهادى الجهورى ٤٥
- □ **الأسرة فى التشريع الإسلامى** ٤٩
- ● مشكلة المغالاة فى المهور وكيف حلها الإسلام .... أ. د. أحمد عمر هاشم ٥٠
- ● محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة (١٠) .... أ. د. عبدالعظيم المطعنى ٥٣
- ● لماذا أسلم هؤلا؟ «الإسلام كرم المرأة» .... أحمد حامد ٥٩
- ● رحلة المقرى فى طلب العلم .... أ. د. عبدالمقصود باشا ٦٣
- ● جمال الدين الأفغانى.. رمز الصحوة .... كمال عبدالوهاب ٦٨
- ● العلمية والسننية فى التاريخ قانون إسلامى .... د. عبدالحليم عويس ٧٣
- ● غابة العصر الجديد (شعر) .... حسن أبو الغيط ٧٦
- □ **الحضارة والعلوم** ٧٧
- ● حضارة الإسلام .... أ. د. عبدالرحيم الكردى ٧٨
- ● مصادر التوثيق اللغوى .... أ. د. محمد بلاسى ٨٢
- ● مفهوم التنمية فى الإسلام .... فضيلة الشيخ شوقى عبداللطيف ٨٨
- ● الأمراض المعدية.. أسبابها والوقاية منها .... أ. د. عبدالمعبود عمارة ٩٤
- ● الإحسان فى الإسلام .... أ. د. أحمد عبدالرحيم السايح ٩٧
- ● نافذة على المعلومات .... منى القاضى ٩٩
- ● الأقلية الإسلامية فى كوت ديفوار .... أ. د. مصطفى رجب ١٠٠
- □ **الدعوة والدعاة** ١٠٣
- ● هذا هو الإسلام. العدل والتسامح الإسلامى .... أ. د. محمد عمارة ١٠٤
- ● الرقابة المالية فى الدولة الإسلامية .... د.عبد الرحمن محمد بدوى ١٠٨
- ● لا تعصب فى الإسلام .... إبراهيم حسن زعبل ١١٢
- ● الإرهاب بين الدين والواقع .... خليل محمد خليل ١١٦
- ● وراء الأخبار .... منير بيومى ١٢٠
- ● المحمول صداع فى رأس المجتمع .... مصطفى إبراهيم خيان ١٢٤
- ● البارودى فى مائة عام .... نوال مهنى ١٢٧
- ● مساجد لها تاريخ «مسجد الحاكم بأمر الله» .... محمد كامل. شاهين ١٢٨
- ● شريعة العدل (شعر) .... عمر موسى موسى البرعى ١٣٣
- ● قطوف (البر والصلة) .... محمد سيد أحمد علىّ الدين ١٣٤
- □ **أنت تسأل والفقيه يجيب** .... فضيلة الشيخ عطية صقر ١٣٦
- □ **مع القراء** .... يحرره: حسين السكرى ١٤١
- □ **بريد التعارف** ١٤٤

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها :

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد ـ مصطفى إسماعيل محمود على البنا ـ محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١ : ٥

وتيسيرا على القارئ المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى مكتبة مسجد النور بالعباسية	٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير ٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)	مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٤٢ شارع سعد زغلول		

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر